**وزارة التعلـ ـيم العالي والبحث العلـ ـ ـمي**

**جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية**

**كلية الآداب و اللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية**

**قسم اللغة العربية وآدابها**

**الموضوع:**

# بنية الحِجاج في" ألف ليلة وليلة "

دراسة تداولية لحكاية الرجل اليمني و الجواري الست

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

تخصص أدب شعبي

**إعداد الطالبة:** **إشـراف:**

**نوال جوابلية** **د/ حميد علاوي**

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. كاديك جمال.....رئيسا/جامعة المدية

د. علاوي حميد ..... مقررا / جامعة الجزائر

د. زوقاي محمد .....عضوا مناقشا/ جامعة المدية

د. عبد اللي السعيد.....عضوا مناقشا / جامعة البليدة

السنة الجامعية: 2010 ـ 2011


بسم الله الرحمن الرحيم

# إهداء...

إلى والديّ الكريمين...براً وإحساناً

وإلى كل من أحببت ومنهم تعلمت:

أن الشمس لا تزول ...

بل تنحني...

نحو ليل آخر... في ساعة الأفول.

أهدي حصاد موسمي، مرصعاً بآيات شكري وعرفاني...

نوال

# شكر وعرفان

شكر خالص لا يشوبه نقص ولا يخالطه رياء، أرفعه تضرعاً لرب كريم واسع العطاء ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأَٰخِرِينَ (**الشعراء** 78-84).

وشكر خاص للأستاذ المشرف "الدكتور حميد علاوي"، على توجيهه وحسن رعايته، والأهم على تفهمه لما يساور حاضر الباحث من رهانات، وإلى كل أساتذتي الكرام بجامعة الدكتور يحي فارس بالمدية الذين ساعدوني باهتمامهم وتوجيههم، وكريم عطائهم...

و امتنان لا يحده اسم ولا يقصره مكان، إلى كل من بسط لي كفه مساعداً، ومؤازراً وساعيا -ولو بكلمة - لبعث خوالج التحفيز والاستنهاض من أصدقاء وزملاء، خاصة أولئك الذين لقنوني بعصيب أحوالهم أن النجاح لا يمكن أن يكون إلاّ صناعة محلية .

# مقدمـــــــــــــــة

## مقدمة

لقد حظيت الموروثات الشعبية -باعتبارها إبداعا متميزا بالأصالة والعمق-بهالة من الاهتمام جعلت منها حقلا خصباً للدراسة والبحث والتنقيب، بعدما أدرك الباحثون أن الإبداعات الشعبية ليست مجرد وسيلة لاستكشاف العقلية الشعبية وما يلامسها من عادات وتقاليد ونمط عيش ،بل هي مجال خصب من مجالات الدراسات النظرية والتطبيقية ولا سيما بعدما كشفت المناهج الحديثة خصوبة الأدب الشعبي وغزارة رموزه ومعانيه.

والحكاية الشعبية جنس أدبي نشأ بين أوساط الطبقات الشعبية الكادحة،تغذى من آمالها وآلامها،فترعرع بارأً بها معبرا عن واقعها وطموحاتها، فاسحا المجال لها للتعبير حينا، وللتنفيس عن ضغوطات الحياة اليومية المضنية أحايين أخرى؛ مما أهلها لأن تحتل مكانة لا يستهان بها داخل إطارها الاجتماعي الثقافي الذي كتبت فيه،وهذا لا يعني بتاتاً تقهقرها بفعل التراكمات الحضارية اللاحقة ؛بل لا تزال تحافظ على مركزها شأنها في ذلك شأن العديد من الأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى، لأنها ليست مجرد تجربة ماضية لاكتها الألسن، بل هي فعل صميمي وثابت، إن لم نقل إنه فعل متجدد، حمل في ثناياه الواقع والبديل ،الماضي والمستقبل ، فهي علامة مليئة بالرموز والدلالات والإيحاءات ؛ قابلة للقراءة والتأويل، باعتبار أن نسيجها حيك من مصادر متعددة،كالأساطير والخرافات ،وبعض التفاسير الميثولوجية لمظاهر الطبيعة المختلفة ،التي حاول الإنسان عبر مختلف الحقبات التاريخية أن يعبر عنها ويترجم وعيه بها .

والملاحظ أن القصص الشعبي قد رافق الإنسان منذ وجوده الأول ،حيث كان الرجل البدائي يعيش في عالم يكتنفه الغموض الذي لم يكن بإمكانه أدراك كنهه، أو إيجاد تفسير موضوعي له؛فأطلق العنان لخياله،يفكر ويبدع باستخدام لغة بسيطة مبنية على الصور الخيالية،إلى أن أصبحت هذه القصص صحيفة تاريخية تنقل أحداث من سلفوا، وتخلد أسماء من رحلوا،وتضفي على مجالسنا واجتماعاتنا العائلية الإمتاع والإفادة.

ومن ذلك حكايات " ألف ليلة وليلة " التي تعتبر مرجعية للعديد من الحكايات الشعبية العربية،ناهيك عن تأثيرها الكبير في الكثير من القصص العالمية نظرا لثرائها وزخمها النادرين ؛ فمؤلفها (لو سلمنا بأنه شخص واحد) لم يكتف بما أورده فيها من حكايات وأساطير وخرافات ونوادر وأخبار وصور رسمها لشخصيات كثيرة ومتباينة بل عزز متنها بإيراد الكثير من أشعار العرب وأقوالهم وكأنه يصور لنا البيئة العربية بكل تفاصيلها واتساعها.

وكان اختيارنا لهذه المدونة اختياراً يقوم على هذه الأسس التي نراها موضوعية،وأخرى تميل إلى منازع الذات ، ترسم معالم ميول شخصي لدراسة هذا النوع من الحكايات الشعبية، منذ أن وقفنا عليها في مراحل تعليمية سابقة، بإشارات لم تكن كافية لاستكشاف كل دلالاتها واستكناه رموزها المكنية إلاّ بالقدر اليسير، فنشأنا مع هذه القصص تسلينا حيناً، وتدغدغ فينا مكامن التشويق أحايين أخرى ؛ إلى أن صار بإمكاننا اليوم رؤيتها من زاوية مغايرة تماماً.

هذه الزاوية أردنا عبرها – ومن خلال هذا البحث-أن نسقط عن الحكاية الشعبية صفة السردية التي لا تتجاوز الترفيه والمتعة الذاتية المتولدة عن عوالم الخوارق والخيال، إلى التأكيد على أنها خطاب وفق في زمن مضى في فهم الواقع والتعبير عنه وأنه قادر أيضا على تجاوز الماضي شأن كل أدب حي ليؤثر اليوم في واقعنا ويعمل على تغييره نحو الأفضل.

لذلك سننطلق في دراستنا للحجاج في الحكاية الشعبية العربية من هذه الفكرة تعزيزا لجهود العديد من الباحثين الذين نادوا بتبني المناهج النقدية الحديثة في دراسة الأدب الشعبي مثل : "تودوروف" ،"رولان بارث"، "أندري ميكائيل" وغيرهم؛ وإن كان مسعانا من خلال هذه الدراسة يحاول تعزيز وظيفة اللغة التفاعلية من منطلق أن التعاملات اليومية للإنسان توجب عليه تجاوز الوظيفة الوصفية للغة إلى إقامة العلاقات وتثبيتها وكذا الإقناع والتأثير من خلال الخطاب اللغوي .

لذلك جاء اختيارنا لهذا الموضوع من باب تسليط الضوء على الحكاية الشعبية العربية من زاوية جديدة تعنى بالحجاج والمحاجة إيمانا منا أن هذا النص الزاخر لم يتخذ وسيلة للتسلية والتنفيس فقط ، وإنما اعتمد كقناة للاحتجاج لرأي أو سبيلا لدحض فكرة قصد إقناع المتلقي باستخدام العديد من الآليات والوسائل اللغوية وغير اللغوية .

ولعل أهمية هذا المنهج ومراميه التي تساوق ما نشهده اليوم من تطورات متسارعة إلى جانب ثراء المدونة المختارة وغناها هو ما جعل هذا الموضوع محور بحثنا،إضافة إلى ميل شخصي لتطبيق هذه المناهج الحداثية خاصة المنهج التداولي الذي تمحور حوله موضوع مذكرتنا لنيل شهادة ليسانس،لذلك جاء اجتهادنا منصبا حول الغاية الكبرى من تطبيق هذه المناهج الحداثية على الخطاب العربي بمختلف أشكاله،وهي التأكيد على غناه من جهة،وإثبات أن النص الشعبي - ممثلا في الحكاية الشعبية- يتجاوز فكرة أنه مجرد وثيقة تاريخية أو سردية للهو والسمر.

وبهدف تجسيد هذه الأهمية عمدنا إلى اختيار قصة واحدة من قصص هذا السفر المشهور، وهي "حكاية اليمني والجواري الست "الممتدة من الليلة الرابعة والثلاثين بعد المائة الثالثة إلى الليلة الثامنة والثلاثين بعد المائة الثالثة، قصد الوقوف على أهم الوسائل التي اعتمدها مؤلف (أو مؤلفو) الكتاب ليحتج لآرائه قصد إقناع المتلقي وحمله على الإذعان لما يعرضه من آراء وتوجهات، فجاء اختيارنا لهذه القصة دون غيرها بعد فحص دقيق، وتمحيص مؤسس،اعتمدنا فيهما على نظرتنا لمدى ملائمة بنية هذه الحكاية لمقتضيات المنهج وإجراءاته التطبيقية، وقدرتها على الإجابة عن الأسئلة المترتبة عن إشكالية البحث الأساسية، ولعلّ من أهمها:

- ما هي الأساليب التي اعتمدها المرسل في إقناع المتلقي بأفكاره وحمله على مناصرة مبادئ وقيم إنسانية سامية ؟ وما هي وسائل الإثارة والتأثير التي وظفها للإلمام بمقتضيات المقام من جهة، ولإصابة هدفه من الخطاب من جهة أخرى، بصورة تجعل هذا المتلقي يتحرك إيجاباً إزاء ما يسمع ؟

- ما هي الحجج المستخدمة في الخطاب ؟ وما العلاقة الموجودة بينها ؟ والى أي مدى استطاعت الانتقال بالحكاية الشعبية من مجرد إصدارات صوتية تقتصر على الوصف إلى أفعال لغوية تضطلع بوظائف اجتماعية معينة ؟

وفي محاولة منا للإجابة على هذه التساؤلات عمدنا في بحثنا إلى دراسة بنية الحجاج من ناحية واستقصاء أساليبه وتصنيفها من ناحية أخرى، اعتمادا على المنهج التداولي كمنهج أساس، مدعماً بآليات الوصف والتأريخ ، ودعائم الإحصاء وفق خطة ارتأينا تقسيمها إلى مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة على هذا النحو :

جاء التمهيد عبارة عن دراسة نظرية تأريخية للمدرسة التداولية من خلال الإشارة إلى جذورها ومنطلقاتها وأسس التحليل القائمة عليها، من باب الإحاطة بالإطار العام لنظرية الحجاج.

أما الفصل الأول فهو الآخر دراسة نظرية حول الحجاج والسياق من خلال مفهوم الحجاج،روافده،بنية الخطاب الحجاجي والعلاقات الكامنة بين عناصره ، وكذا مراتب الحجاج، إيماناً منا أن أي مقاربة مهما نوعها لا تقوم لها قائمة إلاّ إذا كان لها مرتكز نظري،يوحي بتأطير محكم لها.

كما تطرقنا من جهة أخرى إلى مفهوم السياق ، أنواعه ووظائفه من منطلق أن ما يحيط بالخطاب يعد ركيزة أساسية تسهم بطريقة مباشرة في تأويله وفهمه على الوجه الذي يجب .

وخصصنا الفصل الثاني لمحاولة الكشف عن بنية التواصل الحجاجي في الحكاية محل الدراسة، وذلك بإسقاط بعض الجوانب التنظيرية- التي تطرقنا إليها سابقا خاصة في الفصل الأول- على المدونة إذ عمدنا إلى تقسيمه إلى شقين : تطرق الأول منهما إلى المسار التواصلي للمدونة، برسم حدودها والكشف عن درجة التواصل الكامنة فيها، بينما تطرق الشق الثاني إلى عناصر الخطاب والتفصيل في ما يربط بينها من أواصر اعتماداً على علاقة

المتخاطبين ببعضهما البعض، في إشارة إلى كفاءة كل واحد منهما وسلطته وعلاقة ذلك بمجريات الخطاب وأساليبه، فيما سعينا أيضا إلى التنقيب عن علاقة هذه الأطراف بالخطاب في حد ذاته، في محاولة للإحاطة بمقتضيات السياق النصية والمقامية، حتى يتسنى لنا الانتقال فيما بعد وبسلاسة إلى الفصل الثالث دون إحداث أي قطيعة بين ما يحيط بالخطاب وبنيته.

وتمحور الفصل الثالث أساساً حول فكرة الكشف عن بنية الحجاج وأساليبه داخل الخطاب المدروس، للكشف عن أساليب الإثارة والتأثير الموظفة لاستمالة المتلقي عاطفياً، في إشارة إلى وظيفة اللغة الجمالية قي علاقتها بالبعد الحجاجي، سواء على المستوى اللغوي أو البلاغي.

كما اتسع هذا الفصل للبحث في بنية الحجج وجملة الروابط التي انتقلت بالقول من مجرد ادعاء إلى قضية ملزمة،إذ سعينا إلى استقصائها ثم تصنيفها، فالبحث عن دورها ،إيماناً منا أن الخطاب الحجاجي ليس مجرد استدعاء للحجج ، بل هو مسار أسسته مقدمات محكمة الانتقاء، نجم عنها أثر ، يمثل في حقيقته الهدف الذي بني عليه الخطاب منذ لحظة التلفظ، أو ربما بعدها.

تجدر الإشارة إلى أنه وباعتمادنا على الإجراءات المنهجية المذكورة استبعدنا بعض المباحث المتصلة بالحجاج مثل مستويات اللغة ، خاصة المستوى المعجمي في علاقته بحجاجية الحكاية المدروسة، والتي نرى أنها تصلح لأن تكون بحثاً مستقلاً، ولا تكفي الإشارة إليها في ثنايا بحث آخر، لذلك جاء تركيزنا منصباً حول ما رأيناه من صميم نظرية الحجاج، بما يفيد الدارس والمهتم دون الزج به في قضايا تصلح لأن تكون مواضيع مستقلة .

كما عمدنا إلى ذلك أيضا برغبة الحفاظ على توازن الخطة من جهة، والإلمام بما يخدم مرامينا العلمية في هذا المستوى من البحث الذي يستلزم الدقة والابتعاد عن العموميات من جهة أخرى؛ فاقتصرنا على ما رأيناه مفيدا وجوهرياً في مسار البحث.

بيد أن رحلة البحث هذه ما كنا لنقطع كل أشواطها دون أن نتعثر ببعض ما صادفناه من صعوبات، خاصة فيما تعلق بضبط بعض المصطلحات وفك إبهامها،نظراً للتداخل الحاصل بينها، حتى بات من الصعب التأكد من بعض التصنيفات الخاصة ببعض الحجج ،التي صنفتها مراجع في خانات وصنفتها مراجع أخرى في خانات مغايرة، بالإضافة إلى قلة المراجع المتميزة ، حيث أن معظم المراجع تكرر بعضها بشكل لافت ولا تتجاوز في الغالب القضايا التنظيرية، وهذا لا يعني بتاتاً عدم استفادتنا من بعضها، على غرار مؤلفي "طه عبد الرحمان" (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي وفي أصول الحوار وتجديد علم الكلام )، و"الحجاج في الشعر العربي" لصاحبته "سامية الدريدي" ، وكذا "استراتيجيات الخطاب" "لعبد الهادي بن ظافر الشهري"، وغيرهم.

على أن ما ذكرنا – و ما لم نذكر- ما كان ليثنينا عن مواصلة مشوار البحث والتنقيب، بل هو على النقيض من ذلك ، قد كان الوخز الذي جاءت استجابتنا له محاولة لا ندعي من ورائها الكمال العلمي ، ولا إصابة كل مكامن المطلوب والمتوخى من وراء بحث من هذا الحجم ، بل نحن نعترف أننا حاولنا تغطية أكبر قدر منه ، وفق ما توفر لدينا من مراجع، وحسب اجتهادات شخصية ترجمتها منهجيتنا التي نأمل بالفعل أن ترقى إلى عتبة ما سطرنا ، وعريض ما طمحنا، بالرغم من أن الفصل الثاني ظهر بحجم أقل من الفصلين الآخرين، وهو الأمر الذي لا نجد له إلاّ مبرراً واحداً هو شح مادته التي لم نستطع تغطيتها بالرغم من مساعينا لذلك ،المؤكدين أن التمحيص والمراجعة والحرص على كسب رهان الوقت ،ثالوث رافقنا منذ البداية، يشد أزرنا حيناً ويحفزنا أحايين أخرى، إلى أن وصلنا إلى الضفة الأخرى من المسير، محملين بحصاد نأمل أن يسهم –ولو بقسط يسير- في إثراء منظومة أبحاثنا العلمية من جهة ، وفي رد الاعتبار لتراثنا الشعبي الضارب في الأعماق من جهة أخرى.

فإن حدث وأصبنا بجهدنا هذا عظيم الهدف وكريم المقصد فهو توفيق من الكريم المعطي بغير حساب، وإن حاد عن مسار بعض ما رسمنا ، فما ذاك إلاّ قصر لا تقصير ، وحسبنا في هذا الحد من المسير أن يقال إنها سعت، والسعي وجه آخر للاجتهاد.

والله من وراء القصد

الطالبة: نوال جوا بلية

2011

# تمهيـــــــــــــــــــد

تعتبر النظرية التداولية من أهم النظريات الحديثة التي أحاطها الدارسون بهالة من الاهتمام والعناية؛ لما تمثله من حضور وجدوى في الدراسات الأدبية واللغوية، وعليه يصبح من الحتمي تتبع المسار التاريخي لهذه المدرسة،وكذا تطور المفهوم ودلالات المصطلح في السياق المعرفي والنقدي، من باب الإحاطة بالموضوع من كل جوانبه.

لقد عرف مصطلح البراغماتية أو «التداولية»[1] مدلولات عديدة، فقد أخذ مصطلح" pragmatique" من الأصل اليوناني"pragma" الذي يعني العمل "action" ومنه اشتقت الصفة اليونانية "pragmatikos " التي «تحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل action»[2].

وقد استعمل المصطلح لأول مرة خلال القرون الوسطى في فرنسا في مجال الدراسات القانونية،وابتداء من القرن السابع عشر الميلادي انتقل المصطلح إلى الميدان العلمي فصارت لفظة "pragmatique" تعني «كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يعرف أو يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار علمية»[3]، لذلك فقد أطلق هذا النعت " c'est un pragmatique" لوصف شخص ما، له القدرة على إيجاد حلول عملية وحقيقية لمشكل ما .

هذا ويعتبر التعريف الذي قدمه" موريرmoriore" سنة 1938 «أقدم تعريف للبراغماتية، إذ أن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات» [4]، في الوقت الذي نظر إليها" فرانسيس جاك j. Française " كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في آن واحد.

---

[1] أورد الكثير من الدارسين مثل "طه عبد الرحمن" مصطلح التداولية كمقابل للبراغماتية لذلك سنعتمد هذا الطرح،للاستزادة ينظر: طه عبد الرحمان:في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ،المغرب ،الطبعة الأولى،1987 ص22.

[2] لوصيف الطاهر:(التداولية اللسانية )،مجلة اللغة والأدب ،جامعة الجزائر العدد 17 ،جانفي ،2006 ، ص 06.

[3] المرجع نفسه ،ص07.

[4] حفناوي بعلي:التداولية :(البراغماتية الجديدة ،خطاب ما بعد الخطابة)، مجلة اللغة والأدب،ص53.

لذلك فقد تبدو البراغماتية ملمة بكل ما يتعلق بالمجالات الاجتماعية، واللسانية والفلسفية؛ وهذا ما يبرر عناية الفلاسفة بالخطاب الممتدة إلى الفلسفة اليونانية، انطلاقا من "سقراط Socrate" و"أفلاطون Platon" و"أرسطو Aristote"، وصولا إلى المناطقة أمثال "فريج Frege"،"رسل B.Russell" و"كارناب R. Carnap "...إلخ؛ وكذا عناية أولئك الذين يهتمون منذ أمد بعيد بآثار الخطاب على المتكلمين والمستمعين من سوسيولوجيين، وبلاغيين،وممارسي التواصل أمثال "بيرلمان ch.Perlman"،ديكرو O.Ducrot"، وغيرهم.

ولئن كان "أوستين JL.Austin " مؤسس النواة الأولى للبراغماتية رفقة تلميذه "سيرل J.Searl" من خلال اهتمامهما بمفهوم العمل بالقول، أو ما يعرف "بالأفعال الكلامية"، فإن التفاف الدارسين حول هذا المفهوم امتد إلى غيرهم ممن رأوا أن البراغماتية «هي اختبار حقيقة سلوك ما من خلال المحاسن التي تنتج عنه ...»[1]؛ بينما انطلق " تشارلز موريس Ch. Morris"من التمييز بين النحو (syntaxe) والدلالة (sémantiquee) والتداولية(pragmatique) فرأى أن التداولية «يقصد بها كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللغة وخصائصه ... أي الحوافز النفسية للمتكلمين وكذا النماذج الاجتماعية وموضوع الخطاب وغير ذلك ...في مقابل المظهر التركيبي،الذي يعني بالعلاقات التركيبية الشكلية، والمظهر الدلالي الذي يعنى بالعلاقات القائمة بين مدلول الوحدات اللغوية والواقع »[2].

لذلك فقد اتخذت التداولية بالنظر إلى توجه الباحثين تعاريف كثيرة، إذ عرفت من منظور من اهتم بدراسة المعنى في السياق التواصلي بأنها «دراسة المعنى التواصلي،أو معنى

[1]-[2]حفناوي بعلي ،المرجع السابق،ص53.

المرسل في قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله »[1]، في حين تعرف التداولية من وجهة نظر المرسل بأنها « كيفية إدراك المعايير والمبادئ في توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق،بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده وتحقيق هدفه »[2].

هذا و يعترف "كارناب" بأن التداولية درس غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بتأكيده على أنها قاعدة اللسانيات، إذ أنها محاولة للإجابة عن أسئلة تطرح نفسها ولم تجب عليها المناهج اللسانية الأخرى[3]؛ مثل :«ماذا نصنع عندما نتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا ،بينما في مقدوره أن يفعل؟ فمن يتكلم إذن؟ وإلى من يتكلم ؟... ماذا علينا أن نعمل حتى يرتفع الإبهام عن جملة؟...كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله ؟هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟»[4].

لذلك فقد تعددت تطبيقات هذه النظرية ،كما تعددت مباحثها، إذ حاول الباحثون الاستفادة منا في طرق تعليم اللغات الأم وتعلمها ،وفي تعليم اللغات الأجنبية، بل حتى في الدراسات المقارنة بين اللغات التي تنتمي إلى ثقافات متباينة، وفي بحث آليات إنتاج الخطاب من خلال البحث عن أفضل طريقة ينتهجها المرسل ليصدر خطابا يؤثر به في المرسل إليه، في الوقت الذي يبحث فيه المرسل إليه عن أفضل طريقة للوصول إلى مقاصد المرسل كما يريدها عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ .

---

[1] نقلا عن الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتجيات الخطاب ـ مقاربة لغوية تداولية ـ دار الكتاب الجديد المتحدة ،لبنان ،ط1،2004، ص22،( George Leech :Principles of pragmatics, p3-4) .

[2] المرجع نفسه، ص22.

[3] خاصة نظرية النحو التوليدي،للاستزادة ينظر: المعايطة ريم فرحان عودة:براغماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة، دار اليازوردي العلمية للنشر والتوزيع،الأردن،د/ط،2008،ص05.

[4] أرمنيكو فرانسواز :المقاربة التداولية ،تر/سعيد علوش،مركز الانماء القومي ،الرباط،د/ط، 1986 ص07.

ولا يتأتى ذلك إلا من خلال استخدامات لغوية تجسد هذه المقصدية التي لا يقتصر دورها على وظيفة وصف الواقع ،أو نقل الخبر ،بل تتعداها إلى إنجاز أعمال اعتمادا على ما يتلفظ به ، لذلك فإن الاستعمال الخاص للغة هو ما يخرجها من حالة السكون إلى نوع من الحركية، لا تتبلور عبر قواعد تجريدية كما هو الحال في النحو ،بل عبر كفاءة تلم بكل عناصر السياق.

لذلك فقد أكد" ليفنسون S.Levinson" أن السبب الأول لظهور هذا المنهج هو تقصير المناهج اللسانية السابقة في دراسة اللغة من جانب استعمالها ومستعملها، وكذا من جانب ما يترتب عنها من وظائف اجتماعية مختلفة ،وحصرها في جانب تجريدي خالص لا يتعدى الملكة الذهنية وهو ما يجعل المعنى محصلة لجملة من العناصر السياقية التي تتقاطع فيها آثار عدة يجلبها الخطاب، هذا الأخير الذي يتعدى الإفهام إلى ابتغاء إحداث تغيير في سلوك المخاطب بطريقة أو بأخرى .

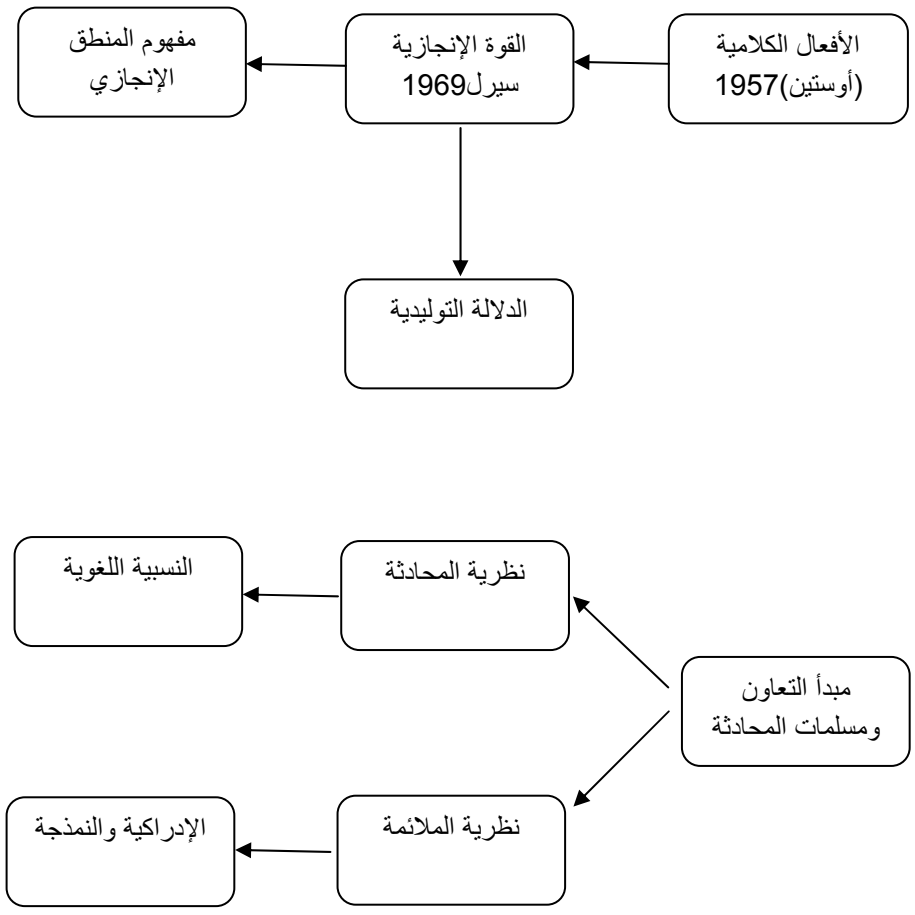
تجدر الإشارة إلى أن أول من استخدم مصطلح "التداولية" كمقابل لمصطلح البراغماتية هو"طه عبد الرحمن" في كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام "،إذ قال:«وقع اختيارنا على مصطلح التداوليات مقابلاً للمصطلح الغربي براغماتيقا لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنى الاستعمال والتفاعل معاً ...»[1]؛ وهو مصطلح يبدو أنه«قد حظي ولاشك بالإجماع والتداول »[2]، وإن فضل بعض الباحثين استخدام مقابلات أخرى مثل: الذرائعية ، البراجماتية ،النفعية ، الوظائفية ،وعلم التخاطب...إلخ.

---

[1] طه عبد الرحمن:في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،ص22.

[2] مقبول إدريس:الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سبويه، عالم الكتب الحديث ودار الكتاب العالمي ،الأردن،د/ط، 2008، ص262.

ولاختصار أهم النظريات المنضوية تحت مظلة النظرية الأم (التداولية)، التي تبنت مبادئها وطورتها من خلال التركيز على دراسة زاوية معينة، نورد هذا المخطط التوضيحي[1]:




**-مخطط يمثل أهم النظريات التداولية-**

[1] صحراوي مسعود: لتداولية عند العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني- دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،ط1، تموز 2005،ص45.

## الفصل الأول: بين الحجاج والسياق

1- الحجاج مفهومه وبنيته:

1-1- أهم الدراسات المتعلقة بالحجاج.

1-2- روافده وتقنياته.

1-3- مراتب الحجاج.

2-السيـــــــــــــــــاق:

2 -1- مفهوم السياق.

2- 2 - عناصر السياق.

## أولا: الحجاج

**الحجاج لغة:** الحجاج من مادة"ح ج ج"،وقد ذكر ابن منظور : «الحجة : البرهان، وقيل الحُجة :ما دفع به الخصم ...وقال الأزهري :الحُجة :الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ...ورجل مِحجاج: أي جدِلٌ ، والتحاج: التخاصم،وجمع الحجة: حجج وحِجاج، وحاجه محاجةٌ وحجاج :نازعه بالحُجة...وحجّه: يحجه: حجا: غلبه على حجته وفي الحديث: "فحج آدم موسى " أي غلبه بالحجة....واحتج بالشيء :اتخذه حجة ،قال الأزهري :إنما سميت حجة لأنها تحج،أي تقصد،لأن القصد لها وإليها ،وكذلك محجة :[الطريق] :هي المقصد والمسلك ،وفي الحديث:"إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه ...»[1].

وعلى هذا يكون الحجاج مرادفاً للجدل،وهو ما أكده أيضاً ورودهما مترادفين في العديد من الدراسات العربية القديمة [2]،وهذا لا يعني أن المعنى اللغوي للحجاج سيطغى على مباحثه كلها ،وهو الأمر الذي سنحاول استقراءه من خلال وقوفنا على أهم الدراسات المرتبطة به - عند العرب والغرب – في محاولة لتتبع منطلقاته ،وتطور مباحثه كرونولوجياً.

[1] ابن منظور :لسان العرب ،دار صادر، بيروت ،المجلد الرابع ،ط1 ،2000،ص38ـ39.

[2] للاستزادة :ينظر صولة عبد الله ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،دار الفرابي ،لبنان ،ط2 ـ2007 ،ص12-13-14.

## 1ـ أهم الدراسات المتعلقة بالحجاج :

### أ ـ عند الغرب:

### أ ـ 1ـ في البلاغة اليونانية:

بالرغم من أن "أوستين JL.Austin " هو أول من أسس نظرة مكتملة تهتم بالكلام وتأثيراته الفعلية من خلال إيجاد مفهوم العمل بالقول ،إلاّ أن عناية الفلاسفة بالخطاب قديمة، تمتد جذورها إلى الفلسفة اليونانية التي وجدت فيها حقلا خصباً للنماء والتطور، يمكن رصد مراحله مع سقراط وأفلاطون،وأرسطو والسفسطائيين ،وإن كانت اهتمامات أرسطو هي أهم تلك الأعمال و أشدها تأثيراً.

أولاً :الحجاج عند أفلاطون :

لقد ظهرت السفسطائية كحركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية والخبرة الجدلية، و ذلك ما عكسته تسميتهم «التي كانت تعني الحكيم الخبير بكل فن وأسلوب »[1]؛وهو أمر أسفر عن اهتمام بالغ بالطرائق الحجاجية و الإقناعية حتى ذاعت شهرتهم البلاغية الخطابية،إذ كانوا «يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السلطة بالمدينة ...فللقول عندهم قوته وجبروته، وعمله.»[2].

لذلك فقد اهتموا ببلاغة القول ومتعلقاتها،بل اتخذوها حرفة يلقنونها لأبناء الأعيان مقابل مبالغ مالية،حتى لا تدرك العامة تلك الأساليب، فيسهل بذلك إقناعهم ووقوعهم تحت سلطة القول؛ هذه النظرة أدخلتهم في صراع مع أفلاطون الذي ألصق بهم صفة قدحية، إذ أصبح اسمهم مرادفاً للنقاش الفارغ وغير المجدي، فخطابهم «لا ينحصر في جنس الخطابة، وإنما

---

[1] الطلبة محمد سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة ـ بحث في بلاغة النقد المعاصر ـ دار الكتاب الجديدة المتحدة،لبنان،ط1، 2008 ،ص24.

[2] المرجع نفسه ،ص24 -25.

هو قول زئبقي يمكن له أن يتسلل ليحرر الخطابة من شرط تحديد الموضوع ... فهو قول يعقده صاحبه على الظن لا على العلم...»[1] .

هذا وقد اهتمت الخطابة عند السفسطائيين بإيجاد التفاعل الوجودي بين البشر من ناحية، وبين الكائنات من ناحية أخرى ،إذ بنوا حججهم على فكرة " النفعية" المتعلقة باللذة لا النفع المتعلق بالمثل والخير ،مراعين بذلك مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار، وذلك اعتمادا «على توظيف سلطة القول force du langage في الاحتيال على الحقيقة ...(إذ تعتبر فكرتا ) التوجيه orientation والتوظيف fonctionnement من الأفكار السفسطائية التي لها دور بنائي ...في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة »[2] .

لذلك فقد تصدى "أفلاطون" لهذه الممارسات الحجاجية ،بالاعتماد على إستراتجيات الكشف،أي كشف القناع عن أغاليطهم ومزاعمهم وتلاعباتهم اللغوية ؛من خلال تفرقته بين نوعين من الإقناع وهما« إقناع يعتمد العلم ،وإقناع يعتمد الظن ،وهذا الثاني هو موضوع الخطابة السفسطائية ،( فالأول ) مفيد لأنه يكسب منه الإنسان المعرفة ،أما الظن فلقيامه على الممكن probable والمحتمل vraisemblable ...لا يكسب الإنسان المعرفة ،بل ينشئ لديه اعتقاداً croyance...»[3] .

من هنا تبين أن "أفلاطون "قد اعتمد معيارا قيمياً (العلم /الخير) ،إذ يرى أن الحجاج السفسطائي لا يحرر فكر الإنسان ،لأن الجمال في نظره« مداره ...الحقيقة والفضيلة وتلازم اللغة والفكر»[4]، لذلك شبه "أفلاطون" الإنسان في حقيقته بالقول من حيث مثاليته وقدسيته، منتهجا بذلك منهجاً دينياً يعارض الظن والمراوغة والمنفعة غيرالمشروعة، فالحجاج ـ عنده ـ يقوم على ثلاثة أركان هي«اعتماد المنهج الجدلي، ومعرفة أنواع النفوس

---

[1] الطلبة محمد سالم محمد الأمين ، المرجع السابق،ص26.

[2] المرجع نفسه ،ص27.

[3] الريفي هشام:( الحجاج عند أرسطو) ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،إشراف حمادي صمود،مطبوعات جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ،منوبة ،،تونس ،سلسلة آداب ،مجلد xxx1x ،د/ط،د/ت ،ص63.

[4] المرجع نفسه،ص72.

وما يناسبها من أقاويل،ومعرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب»[1]، ومن ثم فقد نظر أفلاطون إلى الحجاج من زاوية مثالية خالصة ،وهو الأمر الذي نقده فيه تلميذه أرسطو،الذي سنقف عند نظرته إلى الحجاج التي تركز أكثر على الخطابة.

ثانيا:الحجاج عند أرسطو :

لقد انطلق "أرسطو Aristote" من فكرة جعلت من الحجاج قاسما مشتركاً بين الخطابة والجدل ،ذلك أن الخطابة بالمفهوم اليوناني أو "الريتوريقا "كما ترجمها العرب القدامى هي « فن الإقناع عن طريق الخطاب ...»[2]؛ ومن هنا كان الحديث عن الحجاج عند أرسطو «فن الإقناع أو مجموع التقنيات التي تحمل المتلقي على الاقتناع أو الإذعان ،وهو حديث يستدعي ضرورة مصطلحاً آخر هو الجدل ...»[3].

لذلك فقد أكد "أرسطو" على وجود الحجاج في الخطابة كما في الجدل ،أو بمعنى آخر أن الخطابة تعتمد الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل مع اختلاف بنية الحجاج في كليهما؛ فهو في الخطابة حجاج بالمثل ولكنه في الجدل حجاج بالقياس ،وهو ما يفضي إلى أن الحجاج هو «سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة ،أو الطريقة التي تطرح بها الأدلة»[4].

فالحجاج الجدلي هو ما عرضه "أرسطو" في كتابه "الطوبيقى" و«معناه المواضع أي مواضع القول،ومداره على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي

[1] الريفي هشام:المرجع السابق ،ص80ـ 81 .

[2] الدريدي سامية:الحجاج في الشعر العربي القديم ،عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي ،الأردن ،الطبعة الأولى 2008 ،ص17.

[3] المرجع نفسه ،ص18 .

[4] صولة عبد الله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص 17 .

المجرد»[1]،في حين أن الحجاج الخطابي -وهو ما عرضه في كتابه الخطابة- هوحجاج «موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة ،في مقامات خاصة »[2].

هذا وقد أشار "أرسطو" إلى التداخل الحاصل بين الخطابة والجدل،مؤكداً أن مرتكزات الحجاج في الجدل هي مرتكزات عقلية ،فلا يخاطب المحتج لقضية أو موقف أو رأي في متلقيه سوى العقل ،في حين تكون مرتكزات الحجاج في الخطابة عاطفية بالأساس، يصل أحياناً إلى حد الإثارة والتحريض فهو « حجاج موجه إلى الجماهير »[3].

و من هنا يتضح أن البلاغة اليونانية خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد، كانت أقدم مبحث اهتم باستعمال اللغة استعمالاً خطابيا يهدف إلى استمالة النفوس والعواطف من جهة، والعقول من جهة أخرى؛و هو ما جعل الخطابة تزدهر كنشاط لغوي تظهر فعاليته الاجتماعية من خلال طابعه اللابرهاني، أي من خلال قاعدة مشتركة بين الخطيب والسامع، وهذا ما يؤكد وجود أبعاد تهدف البلاغة الخطابية إلى تحقيقها لارتباطها بجمهور يتعاطاها بصورة مباشرة،وبالتالي« وجود مسافة ما بين المتكلم (الخطيب) والسامع (الجمهور) ،هذه المسافة التي بحث فن الخطابة عن كيفية تقليصها من خلال الأساليب اللغوية المستخدمة في التعبير اليومي»[4].

وهو ما يؤكد ارتباط الخطابة بواقعها الاجتماعي عبر اللغة ووساطتها الإقناعية التي تبحث عن التأييد والإجماع العقلي بدل الإقناع البرهاني السلطوي،لذلك عرفت لديهم بأنها« فن الحديث إلى الجمهور بطريقة إقناعية ،حيث يتم استخدام اللغة المنطوقة ...أمام جمهور مجتمع في مكان عام من أجل الحصول على تأييده لقضية مطروحة عليه، فهدف

[1-2] صولة عبد الله:المرجع السابق ،ص18 .

[3] الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص18.

[4] عمارة ناصر:الفلسفة والبلاغة ـ مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ـ الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ،لبنان / الجزائر،ط1، 2009 ،ص19.

الخطابة هو طلب تأييد العقول ...»[1]، وهو الأمر الذي أدى إلى أن ترافق الخطابة المغالطة والخداع والإيهام، مما جعلها متهمة بتشويه الحقيقة وتزييف الواقع ،حتى انعكس ذلك على خطاب السفسطائيين من خلال اضطرابه و« ... وانحرافه عبر التوجيه المغلوط للحوارات الجدلية، وهذا يمثل في الحقيقة بدايات الكشف عن الإمكانيات المتاحة داخل نسيج اللغة وحركة الخطاب»[2]؛ وهذا راجع إلى التأسيس السفسطائي للخطاب الذي ينطلق من فكرة أن الحقيقة هي خلاصة اتفاق جماعي ومنه فإن تعرضها(الخطابة) لانزلاقات الجدل واقع لابد؛ ومنه فقد تمحورت توجهات "أرسطو" المنطقية حول تحديد المعايير الثابتة التي تضبط المسافة بين اللغة وموضوعها من جهة،وبين الخطيب وسامعيه من جهة ثانية ،وبين الكلام والحقيقة من جهة ثالثة،وذلك من خلال صورنة سياقاتها وتحديد مواضع ثابتة للمتخاطبين تحفظ المسافة المعرفية (الحقيقة) ، فتضبط الاتفاقات العملية (الأخلاق ،السياسة ، المبادئ...) بينهما.

## ثالثًا: الحجاج بعد أرسطو :

إن تهمة المغالطة والإيهام التي رافقت الحجاج عبر هذه المراحل التاريخية كانت وراء تراجع الخطابة الكلاسيكية تراجعا كبيراً خلال القرن التاسع عشر الميلادي، إذ تجمع الدراسات الدائرة حول الخطابة والحجاج أن أعمال "ديكارت " تعتبر أهم ضربة وجهت إلى الحجاج، من خلال دعوته الرافضة للجدل والاحتجاج انطلاقاً من مقدماته المشهورة ،طارحاً بذلك منهجاً بديلاً وهو الشك المنهجي القائم على فكرة أن لا حقيقة بديهية وبالتالي «لا تدرك الحقيقة إلا بالعودة إلى الذات واعتماد العقل »[3].

---

[1] Chaïm Perlman et Lucie Olbrechs –tyteca: Traité de l’argumentation , Editions de L’université de Bruxelles , 6e édion , 2008, T01, p07.

[2] عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة ،ص20 .

[3] الدريدي سامية : الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص19.

وإلى جانب "ديكارت R.Descartes" ساهم فلاسفة آخرون في تقليص مساحة الخطابة بل حملها على التراجع ،أمثال الفلاسفة التجريبين من الإنجليز خاصة، إذ اعتمدوا التجريب كوسيلة وحيدة للكشف عن الحقيقة،مؤكدين أن «الخطابة بحيلها الأسلوبية تؤدي إلى الانصراف عن التجربة وبالتالي عن الحقيقة ...»[1] ، أمثال "جون لوك J.Lock" الذي كان أشد المعارضين للخطابة جاعلا منها « فن الأكاذيب»[2].

على أن الخوض في أمر الخطابة ظل قائماً إلى حدود القرن التاسع عشر، وذلك للحاجة إليها لاسيما في ميادين السياسة والقضاء و التبشير، لكن ظهور تيارين فكريين جديدين خلال هذا القرن شكل بالفعل الضربة القاضية التي أجهزت على الخطابة، وهما :

أ-التيار الوضعي:الذي رفض الخطابة باسم الحقيقة العلمية، واستبدل البلاغة بفقه اللغة وتاريخ الآداب .

ب -التيار الرومنطيقي: الذي رفض الخطابة باسم الصدق ،فكان شعار "فيكتو هيغو " في كتابه "السلم للنحو حرب على الخطابة " إقراراً بضرورة احترام القواعد اللغوية دون تجاوزها، الأمر الذي أدى إلى اختفاء الخطابة من التعليم الفرنسي ، وتعويضها بتاريخ الآداب اليونانية واللاتينية والفرنسية.

خلاصة القول إن المنطق الأرسطي ذو الطابع الصوري قد سيطر على المعرفة العقلانية لأكثر من ألفي سنة ،إذ تلونت به مختلف المعارف النظرية العملية ،لذلك فإن البلاغة القديمة بنيت على أساس «تطابق الكلمات ومعانيها كشرط لإقامة الحقيقة ،غير أن هذا التطابق هو توهم ومغالطة بالمعنى السفسطائي للكلمة »[3]؛الأمر الذي أكد أن "أرسطو" هو أول من أسس لتقويض حقيقي للبلاغة بالبحث عن حدودها وآليات اشتغالها ؛ باعتبارها ملكة إيجاد مواضع الإقناع في قضية ما، وإن كان التفكير المنطقي من "أرسطو" إلى

---

[1] الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم،ص19.

[2] نقلاً عن المرجع نفسه، ص19، (تودوروف :نظريات الرمز ،ص77-78).

[3] عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة،ص58 .

"راسل B.Russell " حاول بناء قواعد عقلية تدفع التناقضات، ويبعث من خلالها قيمتي الصدق والكذب.

ومن خلال هذا المسار الطويل للمعرفة المنطقية كانت البلاغة في تراجع مستمر مما أدى إلى انفصال الخطابة عن تاريخها ومصادر إنتاجها، لتنتقل إلى مسار آخر يوجه الفكر نحو« مبدأ انتصار الرأي،(أي) المحاجة والإقناع وليس شكلاً صورياً معزولاً عن شروطه التاريخية »[1].

## أ ـ 2 ـ حديثا: (نظرية الخطابة الجديدة ):

### أولا: الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه:

يعد الحجاج فعلاً طبيعياً من الأفعال اللغوية ،تربع على كل المجالات مثل المجال السياسي والقانوني و الفني ،وقد أدرج ضمن مباحث البلاغة باسم الجدل ،ليستعمل مصطلح الخطابة لأول مرة سنة 1958م من طرف "بيرلمان CH.Perlman" وزميله "تيتكاه Lucie Olbrechs –tyteca " في كتابهما "مصنف في الحجاج " Traité de l'argumentation " والذي يعتبر فتحاً جديداً وأساساً في عالم الخطابة الجديدة « بوصفها خطابة تستهدف عقل المتلقي والتأثير في سلوكه أي الإقناع »[2].

ويشير استخدام مادة (Argue) في الإنجليزية الحديثة على وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل طرف منهما إقناع الآخر بوجهة نظره،وذلك بتقديم الأسباب والعلل التي تكون حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك،حيث حاول برلمان «تحليل التفاعل بين الباث والمتلقي في الخطاب المكتوب تحديداً، وكان حريصاً على الظهور بمظهر المتلقي المتمكن من آليات التفكير ،لا رجل بلاغة فحسب ...»[3].

---

[1] عمارة ناصر: المرجع السابق ،ص58.

[2] جميل عبد المجيد :البلاغة والاتصال ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، د/ط ،2000،ص105.

[3] الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص21.

كما نجد أن "برلمان Ch. Perlman " قد قدم مفهوماً للحجاج بجعله «جملة من الأساليب التي توظف في الخطاب لاستثارة المتلقي وحمله على الاقتناع (والتصديق) بما يعرض عليه من أطروحات،أو الزيادة في حجم هذا التصديق »[1]؛ مؤكداً أن غاية الحجاج الأساسية إنما هي « الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل...»[2].

من هنا يتبين أنه من الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها «إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمرسل إليه »[3]؛ وهو ما يعرف بالاستمالة ،أي استمالة المتلقي لما يعرض عليه من آراء والتأثير العملي في سلوكه ،وتلك غاية قديمة للخطابة اليونانية،باعتبارها من منظور أرسطو« قوة تتكلف الإقناع الممكن ...»[4].

وعلى هذا الأساس يتبين أن "برلمان"إنما ينزل الحجاج في صميم التفاعل الحاصل بين الخطيب وجمهوره، وصلة هذا التوجه بالخطابة الأرسطية واضحة ،إذ استند في تعريفه على صناعة الجدل من جهة ،وصناعة الخطابة من جهة أخرى؛ولكنه حرص على إنزال الحجاج منزلة ثالثة مفارقة لهما ـ رغم اتصاله بهما ـ فالحجاج«يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي وإذعانه إذعاناً نظرياً مجرداً لفحوى الخطاب،وما جاء فيه من آراء ومواقف ،وهو يأخذ من الخطابة أيضاً توجيه السلوك أو العمل والإعداد له والحض عليه ...»[5]؛لذلك فإن الخطاب الحجاجي هو « عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين...لهذا فإن الباعث الأول للحجاج هو الاختلاف ،إذ لا نحاجج في أمر مأخوذ على حقيقة يقينية راسخة،وإنما نحاجج ...فيما هو مرجح، وممكن، محتمل...»[6].

---

[1] Chaïm Perlman et Lucie Olbrech –tyteca, Traité de l'argumentation, p59.

[2] Ibid., p59.

[3] الشهري عبد الهادي بن ظافر : استراتيجيات الخطاب ،ص444.

[4] عبد المجيد جميل: البلاغة والاتصال،ص108 .

[5] الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص 22 .

[6] عبد المجيد جميل، المرجع السابق ،ص107 .

هذا وقد أكد"برلمان" على ضرورة قيام الحجاج على مبدأين أساسيين هما: المعقولية و المقامية، بهدف تحقيق الحرية الإنسانية من حيث هي اختيار عاقل،إذ أن «الحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي هو وحده ... الذي يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار العاقل ،فأن تكون الحرية تسليماً اضطرارياً (إلزاميا) بنظام طبيعي معطى سلفاً ، معناه انعدام كل إمكان للاختيار،وإن لم تكن ممارسة الحرية مبنية على العقل ،فإن كل اختيار يكون ضرباً من الخور،ويستحيل إلى حكم اعتباطي يسبح في فراغ فكري.»[1]؛ويمكن تلخيص طبيعة العلاقة الحجاجية من خلال الجدول التالي[2]:

| الباعث | طبيعة الموضوع | العلاقة بين الطرفين أثناء الحجاج | الحجج: دورها،طبيعتها، شروطها | المحور | الغاية | الغاية الأسمى |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الاختلاف | الاحتمال والإمكان | تفاهم،تقارب، تعاون | الترجيح،المعقولية، المقامية | المتلقي | الاستمالة، التأثير العملي | الحرية |

**-جدول يمثل طبيعة العلاقة الحجاجية-**

[1]-[2] عبد المجيد جميل، المرجع السابق ، ص 111.

**ثانياً:الحجاج عند ديكرو :**

لقد أولى"ديكرو O. Ducrot" وزميله"جان كلود انسكمبر""J.C.Anscombre" أهمية كبرى للحجاج من زاوية تختلف عن نظرة "برلمان" في مؤلفهما " الحجاج في اللغة"،إذ نظرا إليه على أنه « يقوم على اللغة بالأساس ، بل يكمن فيها؛ بينما عرف برلمان الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب ،تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية»[1].

فالحجاج عند "ديكرو" «يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق،فتكون بعضها حججاً تدعم وتثبت بعضها الآخر ...»[2]؛أي أن المتكلم إنما يجعل قولاً ما حجة لقول آخر ،هو بلغة الحجاج "نتيجة" يروم إقناع المتلقي بها، وذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمني ،أي أن المتكلم قد يصرح مباشرة بالنتيجة مما يمكن له أن يخفيها ،وفي هذه الحالة يصبح دور التلقي هو كشفها باستنتاج مضمونها اعتمادا على الأرضية اللغوية المشتركة بينهما.

هذا وقد ركز "ديكرو" في نظريته الحجاجية على مفهوم أساسي وهو "التوجيه"،إذ رأى أن الهدف من الخطاب الحجاجي يتمثل في أن تفرض على المخاطب نمطاً من النتائج، بجعلها الوجهة الوحيدة التي يمكن له أن يسير فيها ، وهو ما يؤكد وجود سلطة للخطاب الحجاجي ،باعتبار أن هذا الخطاب يحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها اعتمادا على ما يعرف لديه بـ"منطق اللغة" ؛ الذي يجعل من القول «نسقاً حجاجياً عقلانياً مستقلاً بذاته ،وفاعلاً في الحقيقة ببنياته الخاصة»[3]، فتلفظنا لجملة معينة معناه أننا نحاجج للوصول إلى نتيجة معينة، لذلك فإن«نشاط اللغة التوجيهي مرتبط بالمتلقي بما هو تحصيل لنتائج هذا النشاط ،أما محصلة التوجيه والحجاج فهي قيمة حقيقية»[4]،وهي الصورة

---

[1] الدريدي سامية :الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص22.

[2] نقلا عن المرجع نفسه،ص22.( ديكرو :الحجاج في اللغة،ص28).

[3] عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة،ص 103 .

[4] المرجع نفسه ،ص 104.

الجديدة التي أعطاها "ديكرو" للسان على أنه "بلاغة متكاملة"، عكس ما نظر إليه"دوسوسير F.De.Saussure" بأنه «عبارة عن مجموعة اتفاقات (اصطلاحات) تسمح بالفعل المتبادل بين الأفراد،تتيح لهم فرض أنفسهم ولعب أدوار متبادلة في عملية الكلام»[1]؛ فالخطاب الحجاجي من هذا المنظور هو سلسلة إثباتات لغوية هدفها الأول هو إنجاز أغراض اجتماعية مختلفة.

**ب ـ الحجاج عند العرب:**

**ب ـ 1ـ الحجاج في التراث العربي:**

رغم أهمية المقصدية الحجاجية بوصفها واحدة من أهم الآليات التي تحقق الهدف الخطابي في العديد من المجالات ،إلا أن الاهتمام المطلوب بهذا الجانب ،لم يحظ بالتنظير اللازم إلا ما أشار إليه البلاغيون ضمن دراساتهم المختلفة،إلاّ أن اهتمامهم العملي بهذا الجانب قد امتد إلى العصر الجاهلي ، حيث تنامت الخطابات التي تجسد هذه الإستراتيجية، بسبب كثرة النزاعات والمنافرات القبلية مثل الخطب؛ والتي تعد « ضرباً من الكلام البليغ يلقيه رجل عظيم،نابه الشأن في جمع من الناس،وأهم ما تقتضيه الإقناع،وأصولها ثلاثة:إيجاد المعاني الجديرة بالإقناع من الأدلة والآداب، والتنسيق على نظام واحد من أحكام الربط، والترتيب والتعبير الذي يراعي فيه حالة السامع »[2].

هذا وقد اختصت الخطابة في ذلك العصر بالحث على الصلاح والحض على العديد من الخصال المستحبة آنذاك،لذلك وضعوا شروطاً لها ،وضوابط تحددها كأن يكون الخطيب مقداماً جهور الصوت،غير مبالغ في الصنعة والإنشاء،ولا منقادا لقوة البديهة وإن توفر له ذلك،لأن إعمال الفكر أولى وأهم من ذلك .

---

[1] جان سيرفوني: الملفوظية ـ دراسة ـ تر /قاسم مقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،لبنان،د/ط،1998،ص109.

[2] إبراهيم عبد الله: التلقي والسياقات الثقافية ،دار الكتاب الجديد المتحدة ودار أوبا للنشر والتوزيع،لبنان /ليبيا ،ط1 ،2000، ص124.

أما عن تجليات هذا البعد الخطابي في عصر الإسلام،فهي واضحة من خلال النص القرآني، الذي اعتمد هذه الإستراتيجية لتبليغ الرسالة ؛وما الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع إلاّ دليل على ذلك ،مثل كتاب "الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية" لصاحبه "عبد الله صولة"؛كما تبلورت هذه الإستراتيجية فيما بعد في العديد من السياقات؛ إذ ظهرت في الكثير من العلوم كعلوم الفقه وأصوله وعلم الكلام والعلوم اللغوية، بالإضافة إلى المناظرات والنقاشات التي كانت تعتمد الإقناع كوسيلة لإثبات الذات، «والسبيل الأقوم لإبراز هذه العلوم والدفاع عنها ومحاولة إحلالها في موضعها الذي تستحقه»[1]؛ لينتقل الحجاج فيما بعد إلى الخطب و الرسائل،حيث أصبحت الحاجة إليه أشد،بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية ،فاستخدمه الخلفاء والقادة لتوجيه الناس وتثبيتهم .

بينما حضور الإستراتيجية الحجاجية تراثياً في الجانب التنظيري، فنجدها في جانبين هما:«أولهما التنظير لإستراتيجية الإقناع ذاتها ،أما الأخرى فهي التي عنيت بوضع الضوابط للسياقات التي تستعمل فيها ...»[2]؛ إذ يعد "الجاحظ"(ت255هـ) أول من تطرق إلى الإقناع من خلال كتابه "البيان والتبيين"، إذ فصل القول فيما يخص الخطيب من صفات جسدية وقدرات ذهنية و«المميزات التي تمنح خطابه القبول من حلاوة القول والحذق فيه ،بل تفطن إلى التنبيه على الخصائص السلبية التي تضعف من موقفه مثل العيوب النطقية والعي»[3].

كما أنه أشار إلى العلامات السيميائية ودورها في الإقناع من خط وإشارة وحال...إلخ ، وكذا أهمية المكان باعتباره علامة خطابية ذات سلطة يجب مراعاتها؛ دون أن يغفل عن إيضاح مفهومي البيان والبلاغة مستشهداً بما لدى الحضارات الأخرى خاصة الهندية منها بقوله :«كن في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاثة أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً...مع موافقة الحال، وما يجب

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب،ص 447.

[2]-[3] المرجع نفسه ،ص448 .

لكل مقام من مقال ...»[1]؛ أما البيان عنده يتغير بتغير المقام، « ولكنه في كل الحالات هو بلاغة والبلاغة هي حجاج ...»[2]؛ لذلك فقد اهتم الجاحظ بالفعل الكلامي واعتبره الركيزة الأساسية لكل عملية بيانية حجاجية،بالإضافة إلى اهتمامه بجملة العوامل الأخرى التي تسهم في بلورة المقصدية الحجاجية،كالسامع والمقام وظروف المقال .

هذا وقد ركز في دراسته لأصول الخطابة على مقصدية القول الإقناعية من خلال حديثه عن "الغاية " و" مدار الأمر" وغيرها من المصطلحات التي استخدمها في مؤلفه، فالخطاب في منظوره له غاية خطابية من جهة وتتمثل في الإقناع ، وغاية الفهم والإفهام من جهة ثانية ،إذ«أنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أخف ولا ألذ في الاستماع ، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة،ولا أفتق للسان ...من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء »[3].

أما عن "عبد القاهر الجرجاني"(ت729هـ) فقد عني بالحجاج من خلال كتابه "دلائل الإعجاز "،إذ «نحا منحى برهانياً تداولياً يضع الحجاج والإفهام في مقدمة أولوياته،ويعتبر المعنى المناسب للمقاصد غايته ... »[4] ؛مع التأكيد على الالتزام بالقواعد الصرفية والنحوية ،وإن كان العدول عنهما-من منظوره- لا يخرج الخطاب عن بلاغته ،بل إن استيعاب المادة الانزياحية جزء من عملية النظم .

كما تحدث في هذا المضمار "ابن خلدون "(ت808هـ) في مقدمته تحت عنوان الجدل، عن الحاجة لاستعمال الحجاج بوصفه آلية من آليات الإقناع المثلى؛ بسبب كثرة الخلافات والمنازعات، إذ أكد أن الجدل « هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ... ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في

---

[1] الجاحظ أبو عثمان :البيان والتبيين ،دار إحياء التراث العربي ودار التراث العربي، لبنان ،1968،المجلد 1 ،ص95.

[2] الطلبة محمد سالم محمد الأمين:الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص 211 .

[3] الجاحظ، المرجع السابق ،ص101 .

[4] الطلبة محمد سالم محمد الأمين،المرجع السابق ،ص264 .

الاستدلال، التي يتوصل بها على حفظ رأي أو هدمه،( سواء ) كان ذلك الرأي في الفقه أو غيره »[1].

ومهما يكن من أمر فإن الحديث عن الحجاج في التراث العربي حديث بالدرجة الأولى عن العديد من الخطابات التي برزت فيها هذه الإستراتيجية ،مثل الخطب والمناظرات اللغوية والدينية والفلسفية ،وعلم الكلام وغيره،بوصفها ممارسات ترمي إلى الإقناع بالدرجة الأولى،وحديث أيضاً عن اهتمام واضح بالمقام والأحوال، التي تعزز كفاءة المتكلم التداولية .

**ب-2 – الحجاج في الدراسات اللسانية الحديث:**

إن الدراسات العربية الحديثة المرتبطة بالحجاج ،جاءت متفرقة على هيئة كتب ومقالات، تراوحت بين الاستفادة من الموروث العربي القديم ،وبين استثمار شبه كلي للأطروحات المعاصرة ،وهذا ما سنحاول الإشارة إليه من خلال التطرق إلى أهم المؤلفات التي تناولت الموضوع بالدراسة وعلى رأسهم المدرسة المغاربية ممثلة في الجهود التونسية والمغربية وعلى رأسها جهود "محمد العمري" الذي تنبه مبكراً إلى دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية والخطابية ،وذلك بسعيه «إلى تطبيق نظرية الإقناع عند (أرسطو) على نماذج من خطابة القرن الهجري الأول، متبعاً في ذلك تقسيم أرسطو الثلاثي لعناصر الخطابة،وهي وسائل الإقناع أو البراهين ،والأسلوب أو البناء اللغوي ،وترتيب أجزاء القول...»[2]؛ مؤكداً على إمكانية النظر إلى القديم من زاوية بلاغية معاصرة ، من خلال كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي " الصادر سنة 1986م،ثم من خلال ترجماته المتعددة لكلٍ من المؤلفات لكل من: جان كوهين 1986م،هنريش بليت 1989م ،وكذا كتابيه اللاحقين "البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها " و" الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية " ؛ إذ ركز على استجلاء الأبعاد

[1] ابن خلدون : مقدمة ،دار الكتب العلمية، لبنان ،ط 9، 1428هـ/2006م،ص362.

[2] الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب ،ص450 .

التداولية في البلاغة العربية القديمة وعلاقتها بالنحو والمنطق والنقد...(وتتبع مسيرتها ) في اهتمامها بالحجاج من جهة ،وفي علاقتها بالنصوص الأرسطية من جهة ثانية»[1].

كما نجد أيضاً "طه عبد الرحمن" من خلال مؤلفيه :"في أصول الحوار وتجديد علم الكلام " و"اللسان والميزان أو التكوثر العقلي " قد ركز على تحديد بنية الخطاب الحجاجية، إذ عقد باباً في هذا الأخير سماه "الخطاب والحجاج" تعرض فيه إلى تعداد أنواع الحجج وأصناف الحجاج وكذا مراتب الحجاج والاستعارة بأبعادها الحجاجية .

دون أن ننسى جهود "حمادي صمود" الذي يعد « من الباحثين العرب المعاصرين القلائل الذين تبنوا البلاغة بمفهومها الواسع( الشرقية و الغربية ؛القديمة والمعاصرة) خياراً بحثياً ...وعلى وجه التحديد أطروحته ( التفكير البلاغي عند العرب:أسسه وتطوره إلى القرن السادس )...»[2]،والذي شكل فيما بعد فريق بحث لتقصي بلاغة الحجاج في التقاليد الغربية،إذ صدر أول كتاب له سنة 1998م،المعنون ب"أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم ".

تجدر الإشارة إلى أن ما ذكرنا لا يعد حوصلة لكل الأعمال ، بل إن القائمة طويلة تظم أعمال آخرين أمثال "أبو بكر العزاوي" (الخطاب والحجاج) ،"عبد الله صولة"(الحجاج في القرآن )،"صلاح فضل "(بلاغة الخطاب وعلم النص ) ...إلخ ، وهي كلها أعمال استثمرت النظريات الغربية وحاولت تطبيقها على الخطاب العربي.

[1] الطلبة محمد سالم محمد الأمين : الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص 261 .

[2] المرجع نفسه، ص272 .

## 2 ـ روافد الحجاج ومسوغاته :

تتأسس إستراتيجية الإقناع اعتماداً على هدف الخطاب، والذي يسعى إلى إحداث تغيير في مواقف المتلقي الفكرية والعاطفية ؛فالوظيفة الإقناعية من وظائف البلاغة الأساسية، إلى جانب الوظيفة التأويلية ،والكشفية ،والتربوية،ولما كان الخطاب الذي يعتمد الحجاج «ليس مجرد إقامة علاقة تخاطبية بين جانبين أو أكثر...بل هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها »[1]؛ كان الحديث عن مسوغات استخدام هذه الإستراتيجية دون غيرها أمراً لابد منه، من باب التأكيد على أهميتها، وبالتالي حاجتنا الدائمة لها في مختلف مجالات الحياة ؛ و من أبرز هذه المسوغات نذكر:

- تتميز المقصدية الحجاجية بالفاعلية «لأن تأثيرها في المرسل إليه أقوى، ونتائجها أثبت وديمومتها أبقى...»[2] ، لأنه خطاب لا يعتمد الفرض والإكراه ،بل يعتمد البرهان والمنطق، ويضمن حرية الاعتراض .

-تنامي الخطاب بين المرسل والمرسل إليه ،بسبب اعتماده على تبادل الحجج، فحقيقة الخطاب فيه تضيف إلى جانب القصدين التخاطبيين القائم على أساسهما - وهما : قصد التوجه إلى الآخر بالقول، وقصد إفهامه فحوى القول ـ قصدين آخرين هما: قصد الإدعاء وقصد الاعتراض ...»[3]؛ والمقصود بقصد الادعاء حسب "طه عبد الرحمان" ؛ أن المنطوق لا يكون خطاباً حقاً حتى يتيقن المتكلم مما يقول، وتكون له جميع الآليات والوسائل التي تساعد على إقامة الدليل إذا ما استدعى الأمر ذلك .

أما قصد الاعتراض فهو حق المرسل إليه ( المنطوق له ) في « مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه ،ذلك لأن فقد المنطوق له لهذا الحق ،يجعله إما دائم التسليم بما يدعيه الناطق ،فلا سبيل إلى تمحيص دعاويه، وإما عديم المشاركة في مدار الكلام ...»[4]، لذلك أكد

---

[1] طه عبد الرحمان :اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ص 226 .

[2] الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب ،ص 445

[3]-[4] طه عبد الرحمان : المرجع سابق ،ص225 .

"بيرلمان" على أن الحجاج هو« هو دعوة لتحكيم العقل بحرية...»[1]؛ هذه المقاصد تجعل المرسل « عندما يطالب غيره بمشاركة اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه ، ولا تدرج على منهج القمع ؛وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة ، تجر الغير جراً إلى الاقتناع برأي المحاور ...»[2].

-الإستراتيجية الحجاجية أصبحت في الوقت الراهن من أكثر الإستراتيجيات استخداماً؛ حتى وإن توفر للمرسل سلطة تخول له استخدام استراتيجيات مغايرة مثل التوجيه، نظراً للتغيرات التي يعيشها المجتمع «فالمرسل إليه قد تغيرت ثقافته وإدراكه لكثير من الأمور،ولم يعد بالتالي يتقبل بعض الإستراتيجيات، كما أن ...دغدغة العواطف لم تعد تنطلي عليه »[3].

- شمولية الخطاب الحجاجي، إذ يمكن ممارسته على كافة الأصعدة ،ودون اعتبار للمستوى الثقافي،فقد يمارسه الرئيس مع مرؤوسيه،كما يمكن أن تمارسه الأم مع ولدها ...إلخ؛ لذلك يمكن القول إن الخطاب الحجاجي هو خطاب مبدع ،يبدع سلطة للمرسل تخول له التأثير على المرسل إليه قولاً وعملاً .

[1] Chaïm Perlman et Lucie Olbrech –tyteca : Traité de l’argumentation, p73.

[2] طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 38 .

[3] الشهري عبد الهادي بن ظافر : استراتيجيات الخطاب ،ص 446 .

## 3- بنية الخطاب الحجاجي :

إن الحديث عن بنية الحجاج حديث يقودنا إلى استقصاء جملة من التصورات التي يقيم عليها المحاجج خططه البرهانية وتشمل :

### أولاً: مقدمات الحجاج :

وهي التي تؤسس المنطلق الفعلي للحجاج ، وتؤخذ على أنها مسلمات يقبل بها الجمهور؛و إن كان اختيار هذه المقدمات وطريقة صياغتها وترتيبها يعد في حد ذاته قيمة حجاجية،بل هي ركن ركين فيه؛ لذلك كان لزاماً على المحاج أن يحسن اختيار هذه المقدمات « على أساس نوعية الجمهور المتلقي للحجاج ... و أهم وسيلة تعتمد (في ذلك) تتمثل في استحضار العنصر المقتنى للمحاجة، وجعله ماثلاً في أعين المخاطبين وفي أذهانهم...»[1]، مما يجعل تأثيرها مباشراً وأكثر فعالية؛بالإضافة إلى ذلك ،فإن ضرورة تأويل هذه المعطيات التي ينطلق منها الحجاج يعتبر أيضاً من وسائل الاختيار الأنجع لها ، باعتبار أن «الملفوظ الاستدلالي يقوم على تعدد الدلالات والتأويلات ،فهو محفوف بالغموض ...»[2]، ومن هذه المقدمات نذكر :

- الوقائع : وهي ثابتة، غير معرضة للشك ،إذ « تمثل كل ما هو مشترك بين عدة أشخاص، أو بين جميع الناس ... والتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلاّ تجاوباً منه يفرض نفسه على جميع الخلق »[3] ،وتنقسم إلى وقائع معاينة ووقائع مفترضة .
- الحقائق: وغالباً ما تكون مفاهيم فلسفية أو دينية أو علمية ،لذلك نجد أن من ضوابط الخطاب الحجاجي«أن يكون ضمن إطار الثوابت مثل الثوابت الدينية والعرفية،فليس

[1] صولة عبد الله: (الحجاج أطره و منطلقاته) ،ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " ، ص314.
[2] المرجع نفسه ،ص 315.
[3] الطلبة محمد سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص111 .

كل شيء قابل للنقاش أو الحجاج»[1]؛ ويقوم المحاج من خلال توظيفها بربط هذه المفاهيم بالوقائع، لذلك أكد "بيرلمان " على أهمية القيم كعنصر أساسي من عناصر الحجاج الذي يؤدي إلى إحداث تغيير في سلوك السامعين.

o المواضع : وهي عبارة عن مقدمات أعم ،تستخدم الاستدلال الجدلي ،وتعتبر «أعم وأشمل من كل العناصر السابقة »[2]،إذ اعتبرت في البلاغة اليونانية « مخازن الحجاج»[3]؛ وقد قسمها "برلمان" إلى مواضع الكم ( الكل أفضل من الجزء) ومواضع الكيف( الحق يعارض الباطل ).

o القيم : ولا تختلف كثيراً عن سابقاتها،إذ تصنف ضمن أهم المقدمات خاصة في المجال السياسي والفلسفي والقانوني ،وتغيب تماماً في المجالين العلمي والشكلي ؛تنقسم إلى قسمين : قيم مجردة ( الحرية ،العدل ) ومحسوسة ( الوطن ،المسجد )...إلخ .

**ثانياً :عرض المقدمات وشكل الخطاب :**

لقد سبق وأن تحدثنا عن أهمية اختيار المقدمات حجاجياً ؛ولكن الاختيار الجيد لهالا يعد كافياً،إذا لم تخضع هذه المقدمات لطريقة عرض ناجحة؛ لذلك يرى "برلمان" وزميله"تيتكاه" أنه من الضروري إلمام المحاج ببنى الحجاج من الجانبين الشكلي و المضموني ،إذ «لا يمكن دراسة البنى الأسلوبية منفصلة عن أهدافها الحجاجية...فحتى ما ينشأ في الخطاب من تناغم وإيقاع وغير ذلك ...يمكن أن يكون له تأثير حجاجي من خلال ما يتولد عنه من إعجاب ...وحماس لدى جمهور السامعين»[4].

ومن طرائق العرض الحجاجية ،اعتماد أسلوب متأنٍ لا عجلة فيه ولا إطناب، وكذا اعتماد التكرار قصد إبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها، مع استخدام بعض

---

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب ،ص 465.

[2] الطلبة محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص115 .

[3] المرجع نفسه ،ص113 .

[4] صولة عبد الله : (الحجاج أطره ومنطلقاته)، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم "،ص 317.

المظاهر الصوتية كالنبر والتنغيم والاستعانة بالتمثيل وإيراد بعض الآراء التي قيلت في الموضوع محل المحاجة ؛كما يجب على المحاج أن يحسن انتقاء ألفاظه ذات القيمة الحجاجية الثابتة ،إضافة إلى حسن اختيار الموجهات اللسانية التي تتناسب مع مقتضيات السياق ،خاصة التوجيهات الإلزامية والاستفهامية .

**ثالثاً :الحوار**

بما أن الخطاب الحجاجي خطاب متنام، يضمن للمرسل إليه حق الاعتراض كما ضمن للمرسل حق الادعاء؛ فإن الإلمام بضوابط الحوار أمر لابد لكلا الطرفين باعتبار أن«الحوار (يعد) أنجع سبيل ينتهجه مرسل الخطاب لدراسة حجج ومواقف مخاطبيه، بطريقة مقبولة تمنح حجاجه في النهاية النفاذ والمصداقية »[1]؛ وهو أمر لا يتحقق إلاّ باهتمام المرسل بمستوى العقول المستهدفة بالإقناع.

لذلك فقد اهتمت نظرية الحجاج ببعض مباحث علم النفس للتعرف على الطبائع والنفوس،واهتمت البلاغة المعاصرة في الوقت نفسه بالتأسيس لما يعرف بـ "المسافة التخاطبية"؛والتي تتحدد بين الخطيب والسامع كرأي معروض للحوار والمناقشة ؛ وهو الأمر الذي جعل أول خطوات بناء الثقة مع المحاور تتمثل في الاحتواء التام له، والمشروط بضوابط يجب مراعاتها حفاظاً على ميثاق التواصل بين أطراف الخطاب؛ ولعل من أهمها:

- ضرورة خلو الحجاج من الإيهام والمغالطة، حتى لا يصبح الخطاب «من قبيل الخطاب العام الذي لا يكشفه المرسل إليه إلا بعد حين »[2].

-التركيز على أهمية الفعل الحجاجي وما يتطلبه من عمل جاد وقناعة ذاتية، والإلمام بالمعارف المشتركة بين طرفي الخطاب ،ومن بينها امتلاك رصيد معرفي يحول دون عجز المرسل عن « إيجاد دعوى أو تبني اعتراض معين»[3] من جهة ، وعن جعل «مخاطبيه في أقوى حالات

[1] الطلبة محمد سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص 119 .

[2]- [3] الشهري عبد الهادي بن ظافر :استراتيجيات الخطاب،ص 468 .

إرهافهم وانتباههم، لأن الحجاج خاصة والإلقاء بصفة عامة يجابههما عدوان قاتلان هما :عدم الانتباه والنسيان »[1] من جهة أخرى.

-الابتعاد عن الطرق التعسفية التحريضية،باعتبار أن التحريض « عيب بلاغي»[2]، تضاف إليه ثلاثة عيوب أخرى[3]؛ وهي الالتفات ،التجسيد ،والتساخر .

-الاستعانة بقواعد الاستنباط ،لما للعملية من فعالية كبرى في إنجاز عمليات التخاطب داخل السياق، فهي عملية« تشبه فك الترميز اللساني،وعملية لا تبحث فقط عن تقوية التمثل المفهومي، ولكنها تضمن صحة كل نتيجة من خلال المقدمات »[4]، باعتبار أنها لا تقع بمعزل عن المعارف الأخرى ،بل هي « الحساب العفوي والآلي للتضمينات التحليلية والسياقية ،فكل معلومة جديدة تعالج داخل سياق معلومة قديمة »[5].

هذه الضوابط يتضح أنه لا تخرج الحجاج عما يتطلبه من مراعاة للمقام وللمرسل إليه ؛ لذلك جاء التركيز منصباً حول الاهتمام بحوارية الحجاج،وبالتالي بفاعليته الخطابية، من خلال التأكيد على التزاوج القصدي والوظيفي والسياقي ،واستثمار العلاقة الكامنة بين الشكل والمضمون من جهة، والاختيار والعرض من جهة أخرى ،حتى يصبح الحجاج «بنية تداولية يجتمع فيها التوجيه المقترن بالأفعال والتقويم المقترن بالأخلاق »[6]،ويصبح الخطاب الحجاجي ذو قوة هائلة وتأثير دامغ.

---

[1]-[2] الطلبة محمد سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص 124 .

[3] الالتفاف: هو العدول المفاجئ في الخطاب عن موضوع آخر دون تهيئة السامع لهذا الانتقال.

التجسيد :محاولة إقناع السامع بحجج واهية .

التساخر والتساذج :هو استمراء تعاطف المعنيين ،كي يسبغوا على المحاجج صفات جيدة ، للاستزادة ينظر الطلبة محمد سالم محمد الأمين، المرجع السابق ،ص 124 .

[4] عشير عبد السلام: عندما نتواصل نغير- مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج – إفريقيا الشرق ،لبنان ،2006 ،ص109.

[5] المرجع نفسه ،ص110.

[6] طه عبد الرحمان :اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص272

## 4- خصائص الخطاب الحجاجي :

إن الحديث عن خصائص الخطاب الحجاجي لا يتأتى إلا من خلال مقارنته بغيره من النصوص الأخرى،كالنص الخبري،والنص التحليلي ، والنص التوجيهي...إلخ،باعتبار أنه يختلف عما سواه من جهة أفكاره ومقاصده ،لذلك فإن «الخطاب الحجاجي يتميز عن باقي الخطابات الأخرى ،بكونه خطاباً مبنياً وموجهاً ،وهادفاً ...»[1]؛إذ يرى البعض أن كل خطاب هو ليس بالضرورة حجاجاً، في الوقت الذي عارض فيه "طه عبد الرحمان" هذه الفكرة، بالتأكيد على أن «الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية ،بناءً على أنه لا خطاب بغير حجاج. »[2].

وبما أن الخطاب الحجاجي يهدف أساساً إلى « جلب اعتقاد أو دفع انتقاد »[3]، فإنه يخضع لمراقبة مضاعفة من طرف عدة جبهات: الجبهة الاجتماعية (المعتقدات والإيديولوجيات ) ،الجبهة العقلية ،الجبهة السلوكية ؛ما جعله يتسم بالخصائص التالية :

### 4-1- خاصية البناء والدينامية:

المقصود بذلك أن الخطاب الحجاجي ليس «حجاجاً جاهزاً أو معطى منذ البداية،بل هو عملية يتم بناؤها تدريجياً، وتتطلب تكيفاً مستديماً لعناصرها إلى نهاية إتمام الحجاج »[4]؛ لذلك فإن فاعلية الخطاب الحجاجي تتأتى من طريقة بنائه ،وتفاعل عناصره، وعبر مجموعة قواعد ترتبط بميدان اللغة في علاقتها بمستعملها والعالم الخارجي، وكذلك بمجموعة تقنيات تبلور هذه الأفكار حسب ما يحيط بها ،لذلك فالبحث عن العلاقة بين الحاجة إلى الحجاج والحجاج أمر ضروري ،إذ لا وجود لحجج وأدلة جاهزة،بل « هناك

---

[1] عشير عبد السلام: عندما نتواصل نغير،ص 128.

[2] طه عبد الرحمان :اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ص 213 .

[3] المرجع نفسه ،ص 266 .

[4] عشير عبد السلام ،المرجع السابق ؛ص 129.

مخاطبون لهم حاجات وانتظارات خاصة،لا تتجاوب مع لغة الخشب التي تصاغ في قوالب جامدة »[1]،فالحجاج في الغالب «يجيب حاجة أو مطلب أو انتظار معين .»[2].

**4-2-خاصية التفاعل :**

انطلاقاً من أن الاختلاف في الرأي هو السبب الرئيس في الدخول في ممارسة الحجاج، احتاج كلٌ من المتكلم والمستمع إلى تحقيق نوع من التفاعل، الذي يمكن أن يقسم إلى «...التزاوج الظاهر...و التزاوج الباطن...»[3]،الذي يعتمد أساساً على إشراك الذات الثانية للمتكلم مع ذات المستمع لممارسة الاعتراض ،في مختلف أركان التخاطب والتي تشمل :

- ازدواج في القصد:حصول الوعد لدى الطرفين.
- ازدواج التكلم:« كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع في فيه.»[4] .
- ازدواج الاستماع:«كما لو كان المستمع يحمل سمع المتكلم في أذنه.»[5].
- ازدواج السياق:إذ أن سياق الإنشاء يحتوي على نصيب من سياق التأويل، كما يحمل هذا الأخير نصيباً من سياق الإنشاء.

تجدر الإشارة إلى أن هذه التفاعلات لا يمكن أن تكون ناجعة إلاّ إذا التزم الطرفان بما يجمعهما من عناصر مشتركة،تراعي طبقة المتكلم والمخاطب وردود الفعل لديهما؛ فخاصية الحوارية أو التحاورية في جوهرها هي«علاقة مابين مؤسس النص ومتلقيه...»[6]؛وبالتالي بين قطبين متناقضين هما :نصير الأطروحة المعروضة ونصير الأطروحة المرفوضة ؛وهو ما حدا بالكثير من الدارسين إلى الإقرار بأن الخطاب الحجاجي هو خطاب يتأسس على الصراع، ويولد من رحم الاختلاف.

---

[1] عشير عبد السلام: المرجع السابق ،ص 130.

[2] المرجع نفسه ،ص 129.

[3] طه عبد الرحمان :اللسان والميزان والتكوثر العقلي ، ص265.

[4]- [5] المرجع نفسه ،ص 266 .

[6] الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم،ص 28.

### 4-3- خاصية الالتباس :

إن العلاقة المجازية كما يؤكد"طه عبد الرحمان" ،تجعل ماهية الحجاج تقوم على قدر من الالتباس في الوظيفة ؛والذي يتأتى من خلال مهارة المتكلم في فن القول ،وإظهار كفاءته الإبداعية من استخدام آليات الانزياح اللغوي ،لذلك فإن « العبارة في الحجاج إذا اقتصرت على ظاهرها،جاءت عادية أو عارضة في القول ؛بحيث لا يعيرها المستمع أدنى اهتمام؛ أما إذا حملت معها إشارات رمزية فإنها بكل تأكيد ستحرك آليات الفهم والتأويل لدى المخاطب،وتدفعه نحو اعتقاد ما ...»[1].

هذه الخاصية عدها "طه عبد الرحمان" معياراً للتفريق بين الحجاج والبرهان «إذ لا نجد له نظيراً في غيره من طرق الاستدلال...فهو إذن الفاصل بين الحجاج وبين البرهان»[2]؛ والذي لا يتأتى إلاّ من العلاقة المجازية(الاعتبارية) التي هي في الحقيقة علاقة استعارية، تجمع بين معنيين متقابلين هما :العبارة والإشارة ؛ التي تجعل « المستعير متوحد بعينه، متعدد بقوله»[3].

### 4-4- خاصية التأويل:

وهو الوجه الآخر للخطاب الحجاجي،إذ يمكن تقييم القول الحجاجي من خلال هذه الخاصية على مستويين:مستوى «استقبال القول لعلامات لغوية تحول فيها الرسالة من سنن إلى خطاب ...ومستوى تعالق عنصري الفهم والتأويل ...»[4]؛هذا الأخير الذي تراه الهرمينوطيقا الحديثة « علاقة حوار،واستماع، وحدس،وتفاعل مشترك بين السامع والمتكلم...( فـ) التأويل بذلك عمل معقد يتأثر بموقفنا من علاقة اللغة بالفكر ... »[5]؛ بالتالي فإن التفاعل

---

[1] عشير عبد السلام:عندما نتواصل نغير،ص 131.

[2] طه عبد الرحمان :اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص230 .

[3] المرجع نفسه،ص234.

[4] عشير عبد السلام ،المرجع السابق ؛ص 132.

[5] الطلبة محمد سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص 126.

[5] عشير عبد السلام، المرجع السابق ، ص66.

القائم بين الطرفين يوجب على المتكلم أن يقدم تقييماً -سواءً كان هذا التقييم إيجابياً أو سلبياً- لفحوى خطابه، لا الاكتفاء بتقديمه وكأنه في مقام وصف ،وهو ما يؤكد في زاوية أخرى غياب القطيعة بين الذات والخطاب ،أو ما يعرف بدرجة الصفر في القول .

على أن قضية فهم النص كما حددها التداوليون لا تقتصر على تأويل النص داخل سياقه اللساني فقط (تركيب ، بلاغة ،تضمين ...إلخ) ،بل ضمن سياق أوسع ،وهو السياق التداولي ( غير اللساني) فقد لا تكون العلاقة الحجاجية بالضرورة علاقة بين عناصر لسانية فقط ، بل قد تكون علاقة بين عناصر غير لسانية.

### 4-5-خاصية الانتهاض إلى العمل (الوجاهة ):

مما سبق يتضح أن الخطاب الحجاجي هو خطاب غائي موجه ،هدفه « إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار ،وما يعرضه من مواقف ... ليحدث في نهاية المطاف أثراً واضحاً (في سلوكه) ...»[1] ؛ فقد يكون هذا التغيير إقبالاً على عمل معين ،أو الكف عنه، وبالتالي العدول إلى فعل آخر، بشرط مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه،وهو مبدأ أساسي ومحوري،ليس في الجانب الحجاجي،بل في كل الجوانب التواصلية والتعاملية ؛إذ تعد وجاهة الخطاب « الدليل الذي يجب اعتماده للعمل بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل »[2]، وإلاّ انتقل الدليل على القول حجة ضد المتكلم؛«فالتخاطب يقتضي إشراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال،وإتيان الأفعال»[3].

---

[1] الدريدي سامية :الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 35.

[2-3] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ص 237.

## 5- تقنيات الحجاج ( أنواع الحجاج ):

يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة، لا تختص بمجال غيره؛ بل ترتبط بذاك التنوع الذي يمكن « المرسل من حرية الاختيار حسب ما يتطلبه السياق... »[1]، لذلك فقد حصر "بيرلمان"و زميله "تيتكاه " هذه التقنيات في نوعين:« نوع يقوم على طرائق الوصل ...و(آخر) يقوم على طرائق الفصل ...»[2] ؛ ويقصد بالنوع الأول ما يقوم على تقريب العناصر المتباعدة في الأصل ،بغية تنظيمها من جهة ،وتقييمها سلباً أو إيجاباً من جهة أخرى؛ أما تقنيات الفصل فهي تلك « المستخدمة لغرض إحداث القطيعة... بين عناصر تشكل عادة كلاّ لا يتجزأ،أو على الأقل كلاّ واحدا »[3].

**أولاً :الطرائق الاتصالية :** وتتضمن :

**1. الحجج شبه المنطقية:**

وسميت كذلك لأنها « تتخذ قالباً منطقياً شكلياً،فيه تحشر المعطيات وتكيف،فتجعلها شبيهة باستدلال منطقي صارم... فما يميزها إذن حقيقتها اللاشكلية،التي تجتهد في أن تكون شكلية ،أو تعدل وتبدل لتكون كذلك»[4] ؛ وهذا ما يجعلها تعتمد في قوتها الإقناعية على مجموعة من البنى، والتي تشمل :

**1-1- البنى المنطقية** :وتشمل هي الأخرى :

**1-1-1-التنافض أو التعارض**: وهو« اجتماع حكمين متناقضين في فرضية أو خطاب ما،كما يتم اختبار فرضيتين لإقصاء غير اللائق منهما للمقام »[5]، وقد يتخذ هذا النوع من

---

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب ،ص 477.

[2] الطلبة محمد سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة، ،ص 127.

[3] صولة عبد الله : (الحجاج أطره ومنطلقاته)، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " ،ص 324.

[4] الدريدي سامية :الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص191 .

[5] الطلبة محمد سالم محمد الأمين ،المرجع السابق ،ص 128.

الحجج شكلاً آخراً في الاستعمال كأن يقيم المتكلم مفارقة بين المبدأ الذي يريد تأكيده، وبين نتائجه السلبية على سبيل الافتراض .

**1-1-2- التماثل**: وهو أن يعتمد المحتج لفكرة أو مبدأ معين ،على مبدأ التعريف وضبط الحد ، «ولكن هذه التعريفات لا تنتمي إلى نظام شكلي ،بل تدعي قيامها بدور الضبط ...»[1]، كأن يكون فيه المعرف والمعرف به ،متماثلين لفظاً كقولنا مثلاً " الخيانة هي الخيانة " أو "الخير هو الخير".

**1-1-3- التبادل:** وتتمثل في محاولة الملاءمة بين الحجج العكسية، وقد مثل" برلمان" لهذا النوع من البنى، بمقولة "ضع نفسك مكاني "؛ وهي حجج تقوم على مبدأ إسناد « الحكم الواحد إلى أمرين ندعي أنهما متماثلان، والحال أننا لو أخضعناهما إلى الدراسة الدقيقة ،لانتهينا إلى فروق عديدة »[2] .

**1-1-4- التعدية** :وتعتمد أساساً على إدخال عنصر ثالث يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة القائمة بين العنصرين، الأول والثاني ؛كقولنا "عدو صديقي عدوي " ؛حيث أن الطابع شبه المنطقي لهذه المقولة يمكن أن تدعم الاستنتاج التالي " صديق عدوي عدوي ".

## 1- 2– البنى الرياضية :

وتقوم هذه الحجج على قواعد رياضية، تشكل مرجعيتها الأصلية ،وتعطي بنيتها طاقتها الحجاجية والتي تتضمن:

**1-2-1ـ علاقة التعدية**: وتكون بواسطة علاقة تساوي أو علاقة تفوق، أو علاقة تضمين أو اشتمال .

[1] الدريدي سامية :الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص 200.

[2] المرجع نفسه ،ص 201 .

**1-2-2 ـ تقسيم الكل إلى أجزائه الصغرى:**أي ما ينطبق على الجزء ،ينطبق تبعاً على الكل.

**1-2-3 ـ علاقة الاشتمال:**أو إدماج الجزء في الكل، فما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء.

**1-2-4ـ علاقة الاحتمال**: وتقوم على حظوظ المحاج في تحقيق أمر معين ،أو إنجاز حدث مخصوص « إنها الإيمان بأن المطلق نادر ،وأن الأمر لا يعدو أن يكون... محتملاً...»[1].

**2-الحجج المؤسسة على بنية الواقع :**

وهي حجج لا تقوم على المنطق، وإنما تتأسس على التجريد، وعلى علاقات حاضرة على مستوى العالم الخارجي؛ وإن كانت – في ناحية ما- « تستخدم ... للربط بين أحكام مسلم بها، وأحكام يسعى الخطباء إلى تأسيسها وتثبيتها، وجعلها مقبولة ومسلماً بها...»[2]، لذلك فإن أول هذه الحجج تأتي مفسرة للأحداث والوقائع،ومظاهر الاتصال؛ ومن أهم مرتكزاتها:

**2-1- التتابع**: أو الحجة السببية ؛ وتظم علاقات الربط بين الأحداث المتتابعة،بواسطة علاقات سببية،واستخلاص نتيجة ما بسبب حصول حدث أدى إليها،كقولنا:" إذا كان لطلبتنا رغبة في معالجة المواضيع المهمة ،فإننا نستنتج أن لهم رغبة في التميز والنبوغ ".

**2-2- الغائية**: ومن خلالها نستطيع أن نشتق حججاً تؤسس كلها على قاعدة معروفة ومتداولة ، وهي أن «قيمة الشيء تتصل بالغاية التي يكون لها وسيلة ...»[3]؛ويندرج ضمن هذه الحجج ما يعرف بـ" حجج التبذير" :كأن ندعو إلى مواصلة عمل معين ،انطلاقاً من بيان ما قدمنا من تضحيات في سبيله ؛ فمن غير المنطقي تضييعها ،وبالتالي علينا المواصلة في هذا العمل .

---

[1] الدريدي سامية :الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص 213.

[2] الطلبة محمد سالم محمد الأمين:الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص 129 - 130 .

[3] نقلاً عن الدريدي سامية ،المرجع السابق ،ص 221 ،(أوليفي روبول :مدخل إلى الخطابة ،ص 179).

كما نجد أيضاً في نفس المضمار "حجج التحذير": ويقصد بها التحذير من استفحال ظاهرة بحجة أنها قد أصبحت ظاهرة عالمية مثلا ،كالتجريم الفدية باعتبار أن ظاهرة القرصنة أصبحت قضية دولية.

**2-3- التعايش**:وتشمل الحجج التي لها صلة وثيقة بصاحبها وتشمل :

- حجج السلطة : وهي التي ترتبط بقائل القول، ومكانته وقيمته ؛ لذلك يشترط أن تكون « للسلطة كفاءة حقيقية ومتمكنة في مجالها ،بحيث لا تسند لمجرد الشهرة أو ما شاكلها»[1].
- حجة الرمز: وتقوم على التلازم القائم على علاقة المشاركة والتبرير،أو على أساس «انتماء اجتماعي أو ثقافي خالص؛ لذلك تتغير الرموز بتغير الأوساط الاجتماعية والبيئات الثقافية... كالوطن واللغة...و أبطال التاريخ...( وهي) تعبر عن انتماء الفرد إلى المجموعة انتماءً... مقدساً»[2] .

## 3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع :

ومن هذه الحجج ما تعلق بالمثل ،ويلجؤ إليها في حالة انتفاء مقدمات ؛فهي محاجة « تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لدعمها وتكريسها.»[3]؛وتقوم على مستويين أساسهما:

**3-1- الحجج الجاهزة:** وتتمثل في تلك الحجج التي تؤسس الواقع بواسطة الحالات الخاصة،«كالمثل الذي يؤتى به لتأكيد الفكرة المطروحة ،أو لدحض خلاف بارز أو متوقع البروز في إحدى الفرضيات الحجاجية»[4]؛ ويسمى هذا النوع من الحجج أيضاً بحجة الدليل، إذ « يضعها المرسل في الموضع المناسب ،وهنا تتبدى أهليته وبراعته في توظيفها حسب ما

---

[1] عشير عبد السلام :عندما نتواصل نغير،ص 165.

[2] الدريدي سامية :الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص 236 -237 .

[3] صولة عبد الله: (الحجاج أطره ومنطلقاته)، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " ،ص 339.

[4] الطلبة محمد سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص 131.

يتطلبه السياق»[1]؛وتتضمن هذه الحجج إضافة إلى المثل ،كل النصوص الاستشهادية ذات القيمة السلطوية كالمقولات الدينية ،وشعارات القادة والعظماء ؛لذلك يعتبر الإقرار بمكانة الشخص المستشهد به واحدة من المقدمات التي يعول عليها في تحقيق نتائج فعالة .كما يمكن أن تندرج ضمن الحجج الجاهزة الشواهد الشعرية أيضاً لما لها من تأثير على السامع.

تجدر الإشارة إلى أن الحجج الجاهزة تنتسب إلى ترتيب معين من حيث قوتها الحجاجية،إذ رتبت على النحو التالي : الكتب المقدسة (القرآن/ الحديث النبوي الشريف)، الأمثال والحكم ،الأقوال المأثورة ...إلخ.

**3-2-حجج التمثيل:** وتقوم على مبدأ "تشابه العلاقة"،باعتبار أن وجه الشبه حجة عقلية تعطي الخطاب قوة أكبر، « وهو أمر يمنح المخاطب متعة كبيرة ،وتسليماً بالفرضيات المقدمة، وذلك عندما يكتشف دقة وجه الشبه ،وطرافة الاستدلال بالتمثيل ...» [2]؛بشرط تجنب الإطالة التي تفضي إلى تجريح المخاطب .

## ثانياً : الطرائق الانفصالية :

وتقوم على فصل و تجزئة العناصر التي تؤلف وحدة واحدة لغاية حجاجية،مثل توظيف أدوات الربط والوصل والعطف ،والجمل الاعتراضية التي تحمل تفاسير معينة ،أو تكملة لما قبلها أو بعدها ،أو استخدام الأفعال غير يقينية ،مثل :زعم ،خال،توهم...إلخ، والهدف من هذا الفصل هو« إسقاط أحد العنصرين المفصولين ثم التأكيد على الباقي منهما...»[3].

للإشارة فإنه و إلى جانب حجج الوصل والفصل التي أوردناها سابقاً بشيء من التفصيل،هناك تقنيات حجاجية أخرى يمكن للمرسل أن يوظفها لتحقيق هدفه المنشود من الخطاب، وهي في حقيقتها ليست حججاً بعينها،و«إنما هي قوالب تنظم العلاقات بين الحجج

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر :استراتيجيات الخطاب ،ص537 .

[2] الطلبة سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص 132 .

[3] المرجع نفسه ،ص 133.

والنتائج، أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق »[1]؛ويمكن الإشارة إليها على النحو التالي :

**1- الآليات البلاغية :**

وهي مختلفة ومتعددة، أهمها الاستعارة والتمثيل والبديع ؛ ولكننا سنختصر تفصيل حديثنا عن الاستعارة باعتبار أن « القول الاستعاري قول حجاجي ،وحجاجيته من الصنف التفاعلي»[2]؛ إذ نظِر إلى حجاجيتها من زاويتين :

ـ نظرة الأصوليين إليها على أنها مجاز يقوم على الجمع بين شيئين ،أو فكرتين انطلاقاً من علاقة المشابهة ؛وذلك لإعطاء صورة جديدة تثير انتباه الآخرين .

ـ نظرة اللسانيين على أنها« تركيب لساني يؤسس علاقة تشابه بين شيء ومرجع آخر،( وبالتالي فهي) تؤسس علاقة مقارنة بين محتويات التعابير المختلفة ...»[3].

من هنا يتبن أن القول الاستعاري يعد آلية حجاجية، لا يمكن للمرسل توظيفها إلاّ إذا أيقن أن استعمالها أبلغ من الحقيقة حجاجياً ؛لأنها تعتمد « عملية الاستبدال بوصفها حركة براديغمية ،يتم من خلالها بيان قضية تشبهها ،ونقلها إلى فضاء مجازي ؛وبالتالي تنمحي (حالة العجز) التي يكون فيها المتكلم ... ، محيلاً بذلك إلى مكان تنبئي ،يستشرف فيه مقاصده ، وإلى حين تحققها يكون قد أقنع وأفهم »[4]، لذلك فإن القول الحجاجي « يخلق المعنى،ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظرته ...»[5] .

كما أكد "طه عبد الرحمان" أيضاً على حجاجية الاستعارة من زاوية أخرى، وهي الإشارة إلى حواريتها التي تتجلى في تعدد ذوات المرسل عند اختياره للاستعارة ،إذ يترتب على هذا « أن الذوات الخطابية التي تشترك في بناء القول الاستعاري أربعة؛ لكل منها

---

[1]-[2] الشهري عبد الهادي بن ظافر :استراتيجيات الخطاب ،ص 477.

[3] عشير عبد السلام :عندما نتواصل نغير ، ص 115.

[4] عمارة ناصر :الفلسفة و البلاغة ،ص 157.

[5] طه عبد الرحمان :اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص 395

وظيفة تخاطبية متميزة ...»[1] ؛وبالتالي فإن حجاجيتها تكمن في ما تتيحه هذه الحوارية من حق الادعاء والاعتراض للذوات الأربعة؛ إذ يمكن للذات المظهرة ادعاء المعنى الحقيقي في الوقت الذي يمكن للذات المؤولة الاعتراض على ذلك، بإنكار المطابقة،وهو أمر يجعل الاستعارة«...أقوى الآليات اللغوية ،رغم اكتناف السياق لكثير من العناصر...إذ (تهدف) إلى تغيير المقاييس التي يعتمدها المرسل إليه في تقويم الواقع والسلوك .»[2].

**2- الآليات اللغوية :**

إن الخطاب الحجاجي – باعتباره مركباً لغوياً – يجمع بين المعنى والمبنى ،وهذا المعيار «يدخل في إطار التواصل اللغوي،وماله من قرابة بوحدات النحو والصرف والبلاغة،أو أوجه الانتقال من الدال إلى المدلول إلى العلامة »[3]، وهذا ما يتيح التأكيد على التقاطع الحاصل بين المستويات اللغوية التي تفضي في النهاية إلى *أبعاد حجاجية مختلف،ومن ذلك نذكر:*

*-المستوى الصوتي:*

وتتجلى حجاجيته من خلال ظاهرتي النبر والتنغيم، فـ« النبر في الجمل والمجموعات الكلامية يرتبط بالأداء والمعنى العام المراد إيصاله إلى السامع،أي إنه نبر دلالي يهدف لإبراز أو تأكيد معلومات مهمة ،أو جديدة في الجملة»[4]، أما التنغيم فلا يكون هو الآخر إلاّ لشد انتباه السامع وتوجيه ذهنه إلى ما يريد المرسل التأكيد عليه ،أو الانتقال بالملفوظ من صيغة إلى أخرى ؛كالانتقال من الخبر إلى الاستفهام مثلاً .

---

[1] للاستزادة ينظر: طه عبد الرحمان ،المرجع السابق ،ص 310-311.

[2] الشهري عبد الهادي بن ظافر :استراتيجيات الخطاب ،ص 496.

[3] المرجع نفسه ،ص68.

[4] عبد الحميد السيد :دراسات في اللسانيات العربية (المشاكلة،التنغيم ،رؤى تحليلية) دار حامد للنشر والتوزيع، عمان،ط1.2004،ص51.

*-المستوى الصرفي :*

تكمن أبعاده الحجاجية في انتقاء المرسل لصيغ مشتقة من الجذر اللغوي الواحد، كاسم الفاعل واسم المفعول ،وصيغ المبالغة وغيرها ، أو في تفعيل بعض الأساليب والصيغ الصرفية مثل صيغة الفعل المبني للمجهول .

*-المستوى التركيبي :*

يعتبر المستوى التركيبي « من أبرز وأنسب المستويات اللغوية التي تسمح للمرسل بإبراز أهداف خطابه...»[1]، وقد تطرق النحاة العرب إلى هذه النقطة من خلال التفريق بين الدلالات المتوخاة من بعض التراكيب النحوية، التي قد تطرأ عليها بعض التحولات،كالحذف والتقديم والتأخير وغيرها ؛وهو ما يعرف بنظرية النظم عند الجرجاني(ت729هـ)، الذي أكد أن النظم هو« أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" ، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ولا تخل بشيء عنها»[2]،ولعلّ أنسب ما يمكن الاستشهاد به في هذا المقام،تقديم الفاعل على الفعل إذا ما أراد المتكلم التركيز عليه،بغية شد انتباهه إلى الفاعل لا إلى الحدث .

*-المستوى المعجمي :*

ويمكن استثماره حجاجياً من خلال انتقاء كلمات ذات دلالات متراتبة ضمن سلمية تعبر عن درجات المعنى الواحد ،وهو ما سنعمد إلى التفصيل فيه ،ضمن حديثنا عن مراتب الحجاج أو السلم الحجاجي.

---

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر :استراتيجيات الخطاب ،ص 71 .

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح/ محمود محمد شاكر ،مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة،ط 3،1413هـ/1992م،ص 81.

## 3- الأساليب الإنشائية:

تضطلع الأساليب الإنشائية بدور هام في العملية الحجاجية ،إذ كثيراً ما نلجأ إليها لبناء حجج فاعلة ،توفر الإثارة وتستدعي الانتباه ؛ فهي خلافاً للأساليب الخبرية « لا تنقل واقعاً، ولا تحكي حدثاً، فلا تحتمل تبعاً لذلك صدقاً أو كذباً، وإنما تثير المشاعر وتشحن من ثمة بطاقة حجاجية هامة ...»[1].

وتتنوع الأساليب الإنشائية لتشمل الأمر، والاستفهام،و النهي ...إلخ ،ولكن سنقصر حديثنا على السؤال(الاستفهام) لما له من أهمية كبرى ؛باعتبار أنه كان مبعث الفلسفة الأول؛ فـ« عملية التفلسف لا تعدو أن تكون طرحاً لأسئلة لا تبحث عن أجوبة ،بل تحاول الكشف عن الجواب المتوهم لدى المخاطب ...»[2]؛لذلك عد السؤال من أبرز الأساليب الإنشائية فعالية، لأنه يقوم على مبدأ افتراض ما يتعلق بهذا السؤال ،والذي يوحي في جانب آخر إلى حصول إجماع بين طرفي الخطاب على وجود ذلك الافتراض ،كما أن اللجوء إلى الاستفهام « قد يهدف أحياناً إلى حمل من وجه إليه الاستفهام على إبداء مواقفه -إذا أجاب- على ما جاء ( فيه) ،ومن هنا كانت أهمية الاستفهام في نوع الخطابة المشاجري »[3].

هذا وقد أولى الكثير من الفلاسفة المعاصرين أهمية لهذه المسألة ،وعلى رأسهم "ميشال ميار M. Meyer" الذي رأى أن طرح السائل لسؤاله، يعني أن هذا الأخير يدعو المتلقي إلى اتخاذ قرار أو موقف إزاء القضية المطروحة ؛وبالتالي فإن « الكلام إثارة للسؤال واستدعاء له ...(وهو يولد) نقاشاً، يولد بدوره حجاجاً ... ،فالحجاج هو ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف،يحمل الغير على اتخاذه إزاء المشكل المطروح... »[4].

---

[1] الدريدي سامية :الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص 139.

[2] المرجع نفسه، ص 140.

[3] صولة عبد الله:(الحجاج أطره ومنطقاته) ، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " ، ص321.

[4] القارصي محمد علي: (البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار) ، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " ، ص 394.

كل هذه التقنيات الحجاجية لا تتأتى نجاعتها إلاّ بالإحاطة بمقتضيات المقام بحيث «يتطابق موضوع الخطاب بأسلوبه ،فلا يضطر بذلك المحاجج في فترة لاحقة في خطابه إلى التراجع ،أو تغيير المواقف والمواقع »[1]، لذلك فهي تقنيات مطواعة ،تخضع لاستعمال المرسل لها، وله أن يختار حججه وطريقة بنائها؛ ونظراً لكثرتها،وتداخلها ارتأينا تلخيصها في الجدول التالي :

[1] الطلبة محمد سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص 133.

| | | | |
|---|---|---|---|
| الحجج الاتصالية | الحجج شبه منطقية | بنى منطقية | التناقض / التعارض |
| | | | التماثل |
| | | | النقدية |
| | | | التبادل |
| | | بنى رياضية | التعدية |
| | | | التجزئة |
| | | | الاشتمال |
| | | | الاحتمال |
| | الحجج المؤسسة على بنية الواقع | التتابع | |
| | | الغائية | |
| | | التعايش | السلطة |
| | | | الرمز |
| | الحجج المؤسسة لبنية الواقع | الحجج الجاهزة | نصوص مقدسة |
| | | | أمثال / حكم |
| | | حجج التمثيل | |
| الحجج الانفصالية | الجمل الاعتراضية | | |
| | أفعال يقينية | | |

**- جدول يمثل أصناف الحجج -**

## 6 – أصناف الحجاج :

قسم كثير من الدارسين الحجاج إلى أصناف متعددة؛ تختلف باختلاف المنطلق، وتتباين بتباين المبدأ الذي اعتمد في التقسيم ؛ وهذا ما سنحاول الإشارة إليه.

**أولاً : اعتماداً على استحضار المرسل إليه :** ويقسم من خلاله الحجاج إلى :

### 1-الحجاج التوجيهي :

والمقصود به « إقامة الدليل على الدعوى، بالبناء على فعل التوجيه الذي يخص به المستدل، علماً بأن (المقصود بالتوجيه هنا هو) إيصال المستدل لحجته إلى غيره ،فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤه لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقى أحوال المخاطَب...لما ورد فعله عليها»[1]،ويقصد بذلك أن المرسل في هذا الصنف من الحجاج يولي اهتماماً لذاته، بتكوين حججه وتنظيم خطابه،دون« أن يجرد من ذاته ذاتاً أخرى تمثل المرسل إليه ،في محاولة لتوقع اعتراضاته أو استباق حججه، ليدحضها ويصل إلى إقناعه »[2].

لذلك فقد عد هذا الصنف من الحجاج أدنى من الحجاج التقويمي،لأن المرسل لا يقيم وزناً للمرسل إليه إلاّ من ناحية استحضاره كطرف في الخطاب،ولكن دون توقع لردود أفعاله،مما يجعل هذا الأخير « متمتعاً بحق الاعتراض عليه »[3].

### 2-الحجاج التقويمي :

ويكون فيه خطاب المرسل إليه حجاجاً على خطاب متوقع من المرسل إليه، الذي قد يكون هو الآخر مفترضاً أو عقلياً؛إذ يعتمد المرسل في خطابه على توقعات بتلقي بعض الاعتراضات ،انطلاقاً من معرفته المسبقة للمرسل إليه وعناصر السياق الأخرى .

---

[1] طه عبد الرحمان :اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ص 227.

[2] الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب ،ص470.

[3] طه عبد الرحمان ،المرجع السابق ،ص 227.

لذلك فإن الحجاج التقويمي يقوم على قدرة المرسل على أن « يجرد من نفسه ذاتاً ثانية، ينزلها منزلة المعترض على دعواه ( إذ ) لا يكتفي المستدل بالنظر إلى جعل إلقاء الحجة إلى المخاطَب... بل يتعدى ذلك إلى النظر إلى فعل التلقي، باعتباره هو نفسه أول متلقي لما يلقي.» [1]،وهو ما يفضي إلى أن يقيم المرسل حوارا حقيقياً بينه وبين نفسه؛ فيكون محاجاً ومحاوراً في نفس الوقت .

**ثانياً :اعتمادا على نوع الجمهور :**

لقد حصر"برلمان" وزميله "تيتكاه"الحجاج في نوعين ،بحسب نوع الجمهور المتلقي وهما :

**1-الحجاج الإقناعي:** وهدفه « إقناع الجمهور الخاص ،ولا يتحقق الإقناع إلاّ بمخاطبة الخيال والعاطفة؛ وهو ما يضيق من هامش فرصة العقل وحرية الاختيار»[2].

**2-الحجاج الإقتناعي:** وهو حجاج يقوم على الحرية و العقلنة، وبالتالي فهو «حجاج غير ملزم ...يحقق الحركة الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل»[3] .

**ثالثاً :اعتماداً على بنية الخطاب:** ويمكن أن يصنف إلى :

**1-الحجاج المغالطي :**

وقد أولى "هاملن J.Hamlan" عناية كبيرة بهذا النوع من الحجاج ،حيث حاول رفع المغالطة من النظرة الدونية التي أوقعها فيها "أرسطو "(التبكيت السفسطائي) ،بالتأكيد على أن المغالطة «مظهر يوهم بالصحة ...»[4]؛ فعدم وجود الصحة والظهور بمظهرها، يهدف بالأساس إلى تحقيق مصلحة معينة ،أو الدفاع عن النفس ؛وهو ما يفتح باب الحجاج

---

[1] [1] طه عبد الرحمان ،المرجع السابق ،ص 228.

[2] الطلبة محمد سالم محمد الأمين :الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص 108 ـ 109

[3] المرجع نفسه ،ص 109 .

[4] عشير عبد السلام :عندما نتواصل نغير،ص159.

أمام العناد ويدخله في الادعاء والاعتراض،وهما صفتان جوهريتان في الحجاج؛وتبنى الأساليب المغالطية اعتماداً على عدة تقنيات،مثل إشراك المتناقضات في أمر واحد؛كقول أحدهم :

ـ «هل هذه المسائل كلها جيدة أم لا ؟»[1].

فهذا السؤال ينطوي على مجموعة مسائل مختلفة في قضية واحدة، وبالتالي فإن أي جواب لهذا السؤال سيوقع صاحبه في المغالطة.

**2-الحجاج بالتجهيل :**

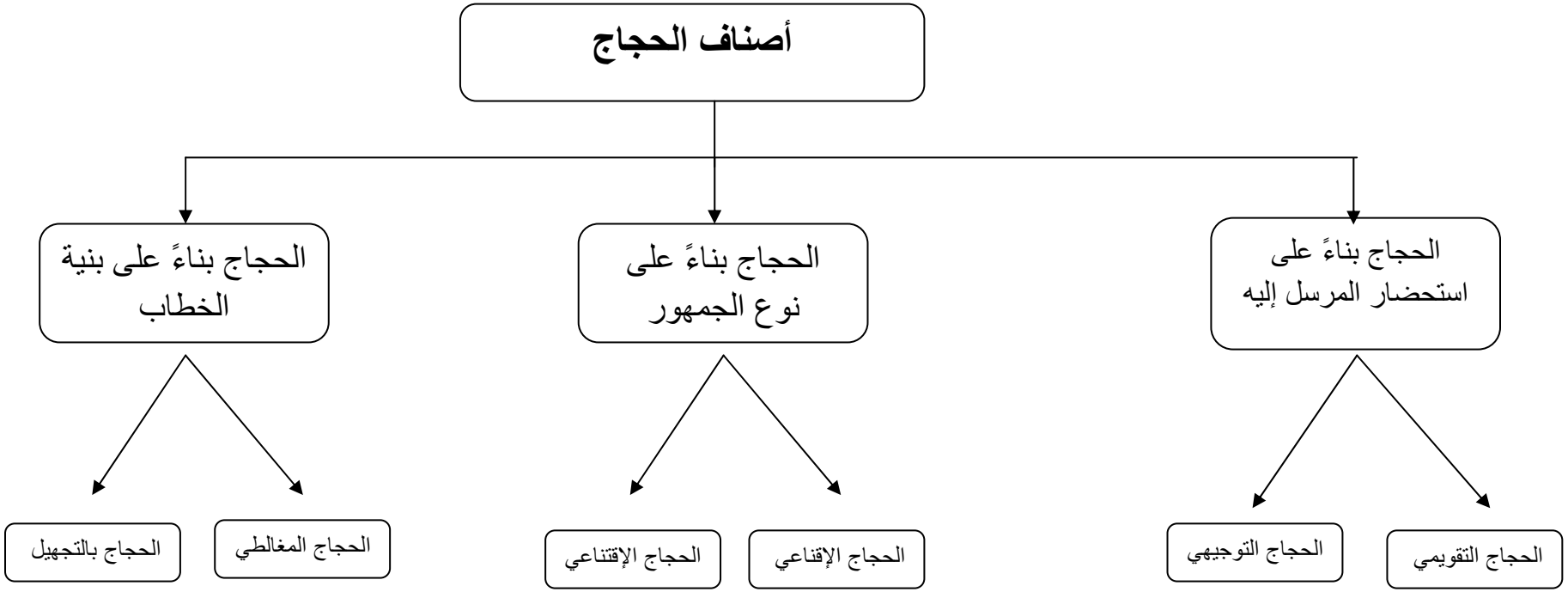
وهو حجاج يقوم على فكرة إفحام المخاطَب ،انطلاقاً من تعجيزه على أن يأتي بما ينفي ما سبق تأكيده بالحجة ، وكأنّ المرسل يؤسس حجته على قاعدة مفادها « إذا لم تأت بما ينفي حجتي فهو دليل على أنها صحيحة ...وهي قاعدة تتنافى مع قواعد البحث العلمي التي ترفض الخلط بين غياب الحجة وتوفر الأدلة النافية لها »[2].

تجدر الإشارة إلى أن هناك أصنافاً[3] أخرى للحجاج غير التي ذكرنا، مثل الحجاج الإشكالي، الحجاج بالقوة، الحجاج الجماهيري ...إلخ ؛لم نرد التفصيل فيها ،لجملة أسباب على رأسها كثرة تفريعاتها التي يمكن أن تدرج ضمن الأصناف التي ذكرنا آنفاً؛ ويمكن لنا تلخيص ما ذكرنا من أصناف من خلال المخطط التالي:

[1] عشير عبد السلام،المرجع السابق،ص159.

[2] المرجع نفسه ،ص166.

[3] للتفصيل والاستزادة ،ينظر: المرجع نفسه،من ص165 إلى ص171




**-مخطط يمثل أصناف الحجاج-**

## 7- مراتب الحجاج :

وتنطلق نظرية مراتب الحجاج أو السلالم الحجاجية، من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول والحجة والنتيجة؛ ويقصد بالتلازم « هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم،إلاّ بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها، وقد تبقى ضمنية»[1].

من هنا تأسست هذه النظرية اعتماداً على التدرج بين الأقوال والحجج، في علاقتها بالنتائج، واستلزام بعضها لبعض،و هو ما أشار إليه اللساني "إدوارد سابير" عندما تحدث عن مراتب الألفاظ في اللغة الطبيعية ؛ ومثال ذلك : « جملة الألفاظ المرتبة التالية:الرمضاء ،الحر، الدفء ،الفتور ،البرد ،القرس ؛ فهذه الجملة تتضمن اللفظين الرمضاء والقرس،اللذان هما بمنزلة طرفين أعلى وأسفل متباينين،بينهما مراتب أربعة...»[2].

والملاحظ أن هذه الألفاظ المثبتة لمدلول واحد ،لا تتعدد فحسب ؛بل إنها تتفاوت في قوتها التدليلية، أو في «حجيتها ،بحيث يعلو بعضها على بعض منشئة بذلك ما يدعى بالسلم الحجاجي»[3]، الذي يعد « ترتيباً عمودياً (لهذه) الحجج»[4].

ومن هنا يمكن تعريف السلم الحجاجي بأنه «عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال، مزودة بعلاقة تراتبية وموفية بالشرطين التالين :

---

[1] مبخوت شكري : (نظرية الحجاج في اللغة) ، ضمن كتاب : "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " ،ص363.

[2] طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص275.

[3] المرجع نفسه ،ص276.

[4] jacques moeschler , Anne reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatiqu , édition du seuil ,octobre 1995. p 281 .

أولاً-كل قول يقع في مرتبة ما من السلم ،يلزم عنه ما يقع تحته ،بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال دونه.

ثانياً- كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه»[1].

لذا كان لزاماً على المتكلم أن يرتب حججه حسب قوتها ،إذ لا يثبت غالباً إلاّ الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق، ومثال ذلك قول أحدهم: « فلان بخيل،لا يقرض أحداً ،ولا يتصدق، ولو طلبته ذنباً فلن يعطيك إياه »[2].

فإذا رتبنا الحجج التي قدمها هذا المرسل، لوجدنا أنه بدأ بأضعفها وانتهى إلى أقواها، على النحو التالي :

القرض : بمقابل مادي وهو أدنى مرتبة .

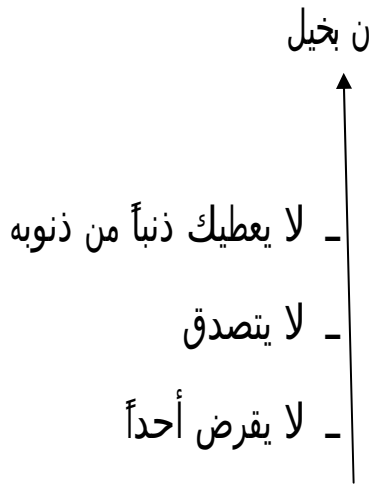
الصدقة :الأجر والمثوبة .

لا يعطيك ذنباً من ذنوبه:المستحيل الذي هو أقوى الأدلة على بخل هذا الرجل.

ويمكن أن نمثل لذلك على النحو التالي:

[1] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277.

[2] الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب،ص 501.




هذا وقد حدد "طه عبد الرحمان" قوانين السلم الحجاجي، وحصرها في الآتي:

1- قانون الخفض:ومفاده «أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم ،فان نقيضه يصدق في مراتب التي تقع تحتها »[1].

2- قانون تبديل السلم: ومقتضاه ،أنه« إذا كان القول دليلاً على مدلول معين ،فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله »[2].

3- قانون القلب:« إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين؛ فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول »[3].

هذا وتكمن أهمية استخدام السلم الحجاجي في إخراج القول الحجاجي من دائرة المحتوى الخبري، وهذا يعني إخراج القيمة الحجاجية من هذا الحيز ،وبالتالي «لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب ،لأنها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي »[4]؛بل اعتماداً على

[1] طه عبد الرحمان :اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 277.

[2] - [3] المرجع نفسه ،ص 278.

[4] مبخوت شكري: (نظرية الحجاج في اللغة)، ضمن كتاب :"أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، ص370 .

تراتبية الحجج، التي تجعل من « الحكم على المحاجة أساسه القوة والضعف ...»[1]، وذلك باستخدام جملة من الوسائط الحجاجية أهمها :

1-الروابط الحجاجية : ومنها: لكن ، حتى، بل، فضلاً عن ، غني عن القول ...إلخ.

2-أفعال التفضيل: أكثر،أسبق ...إلخ .

3-التعدية :وهي ترتيب الأشياء في السلم بعقد العلاقة بينهما ،رغم عدم وجود هذه العلاقة قبل التلفظ.

4-درجات التوكيد وتتضمن :

- الخبر الابتدائي:الذي لا يتضمن أي أداة توكيد.
- الخبر الكلي:تأكيد المرسل على تفاعل المرسل إليه، مع ما هو مقبل عليه.
- الخبر الإنكاري: ينكر فيه المرسل اشتراكه في ما هو مدبر عنه مع المرسل إليه.

كل هذه الآليات يمكن للمرسل توظيفها على نحو يحسن من خلاله انتقاء حججه وترتيبها فعرضها، بما يخدم هدفه الخطابي من جهة،وبما يناسب مجريات المقام من جهة أخرى،و إلاّ تحول خطابه إلى مجرد تقديم أراء شخصية لا تمت للحجاج بصلة.

[1] مبخوت شكري ،المرجع السابق،ص370.

## ثانياً : السياق:

يضطلع السياق بأدوار كبيرة في عملية تشكيل الخطاب وإنتاجه، انطلاقا من المرسل الذي يبني خطابه اعتماداً على طبقة المرسل إليه وردود أفعاله المتوقعة ،إلى المرسل إليه الذي يعتمد عليه هو الآخر في تحديد مقصدية القول ،وصولاً إلى البحث عن مرجعية العلامات اللغوية ،وعلى رأسها الضمائر أو الإشاريات؛لذلك فقد عد السياق «أداة فاعلة في إضاءة النص والتفاعل معه، وقراءته قراءة متحررة من فكرة الدلالات الثابتة للظواهر اللغوية»[1]، الأمر الذي دعا الباحثين للعناية به منذ القدم، وهذا ما سنحاول استقراءه من خلال عرضنا هذا ،بالوقوف على مفهومه عند النقاد العرب والغرب؛ وكذا عناصره.

### 1ـ مفهوم السياق :

### 1-1- عند البلاغيين العرب:

لقد أثارت فكرة المقام أو مقتضى الحال، اهتمام الكثير من الدارسين العرب، الذين ربطوه ببلاغة القول، وفصاحة اللسان؛إذ جعلوها « عنواناً للعلاقة بين الخطيب والمستمع، فالبلاغيون العرب وإن لم يهتموا كثيراً بالدراسة النفسية والأخلاقية للمرسل والمتلقي؛حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة ،فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين ...»[2]؛غير أن التأصيل لهذا المصطلح في البلاغة العربية، لم يؤخذ صورته الواضحة، إلاّ بعد أن مر بمرحلتين، هما المرحلتان اللتان مرت بهما البلاغة في نشأتها وتطورها :

---

[1] عبد المجيد جميل: بلاغة النص - مدخل نظري ودراسة تطبيقية- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،د/ط ،1999،ص31.

[2] العمري محمد :في بلاغة الخطاب الإقناعي ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،ط1،1993،ص142.

**أولاً: مرحلة النشأة والتأصيل:**

ويمكن أن نسبر أغوار المصطلح (مقتضى الحال) مع ما ذكره الجاحظ في كتابه" البيان والتبيين " من كلام "بشر بن المعتمر" عندما مر بإبراهيم بن جلبة بن مخرمة السكوني الخطيب، وهو يعلم فتيانهم الخطابة، فقال: «فكن في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاثة أن يكون لفظك رشيقاً عذباً،وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً ...إما عند الخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت...مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال ...»[1]؛ فما يفهم من قول بشر أن المقام الواجب مراعاته هو مقام المخاطَب، من حيث طبقته؛ وهي الفكرة التي سيطرت على التفكير البلاغي في هذه المرحلة.

كما يبدو أن الغاية المتوخاة من الاهتمام بهذا الشق،هي إحراز المنفعة من المخاطَب، وتجنب غضبه من زاوية اقتناء حريص للألفاظ ، تجنباً للوحشية التي توقع اللبس والغموض؛ وهذا ما أكده أبو الهلال العسكري(ت395هـ) بقوله:«ينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازن بينها و بين أوزان المستمعين،وبين أقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاماً،ولكل حال مقاماً،حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات،وأقدار المستمعين على أقدار الحالات»[2].

لهذا فقد ارتبطت فكرة "مقتضى الحال" ، بقضية أخرى تتمحور أساساً حول قدرة الخطيب على اختيار الوسيلة الأنجع لإيصال رسالته؛اعتماداً على طبقة المخاطَب، من خلال الإيجاز والأطناب؛ فالإيجاز- من منظورهم -ينبغي أن يستعمل في مخاطبة الخاصة وذوي الثقافة العالية ،بينما الإطالة ففي مخاطبة العوام ؛و هو ما يؤكد أن فكرة مقتضى الحال لم تتسع في هذه المرحلة إلاّ لطرف واحد وهو المخاطَب .

---

[1] الجاحظ :البيان والتبيين،ص 95.

[2] العسكري أبو الهلال :الصناعتين ،تح / علي محمد البجاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر العربي ،لبنان ،ط2 ،د/ت ،ص90.

**ثانياً:مرحلة الضبط :**

وفيها أحيطت فكرة المقام (مقتضي الحال ) باهتمام أكبر ،نظراً لاهتمام العرب بتحسين كلامهم وإعلاء شأنه ،وفي هذا الإطار يجمع "السكاكي "(ت626هـ) جل مباحث النظم عند "عبد القاهر الجرجاني"(ت471هـ) مضيفاً إليها أخرى ؛«إذ تعامل مع هذه المباحث على أنها المقتضيات ،مصنفاً إياها في الجملة الخبرية بحسب مكوناتها (الإسناد ،المسند إليه ، المسند)،وانتظامها مع جملة أخرى ،مؤكداً أن مجيء كل مقتضى على ما تمليه الحال هو مدار الكلام ...»[1]؛حتى يبدو وكأنه يربط مقتضيات الخطاب المقامية،بغاية إقناع السامع ، وحمله على التصديق أو التكذيب؛ الأمر الذي يؤكد سيطرة المنهج التقعيدي والغاية التعليمية على هذه المرحلة؛والذي أدى إلى حصر المقام وتثبيته في صيغة قاعدة صارمة "إذا كان المقام كذا كان المقتضى كذا"،وإن كان بعض البلاغيين اللاحقين قد أضافوا إلى المعادلة السابقة طرفاً آخراً، وهو "المطابقة" والتي تعني «موافقة النص مع الهدف والمقصد والغرض، بما يقابل ذلك هواتف المتفنن (الخطيب)،وحاجة المتلقي»[2].

تجدر الإشارة إلى أننا سنعمد إلى استخدام مصطلح "السياق" خلال بحثنا هذا بدل المقام أو مقتضى الحال، مجاراة للكثير من الباحثين الذين فضلوا استعمال المصطلح «لدلالته على الممارسة المتصلة للفعل اللغوي الذي يتجاوز مجرد التلفظ بالخطاب، بدءاً من لحظة إعمال الفكر لإنتاجه»[3]، والذي يهدف أول ما يهدف إلى استمالة المرسل إليه والتأثير فيه ،وهو رأي لا ينفي سلامة آراء الأطراف الأخرى، التي تبنت مصطلح المقام وعلى رأسهم "تمام حسان" الذي رأى أن فهم «البلاغيين (للمقام كان ) فهماً سلوكياً قالبياً نمطياً مجرداً ،ثم قالوا لكل مقام مقال...فهذه المقامات نماذج مجردة...فالذي أقصده بالمقام ...هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءاً منه،كما يعتبر السامع والكلام

---

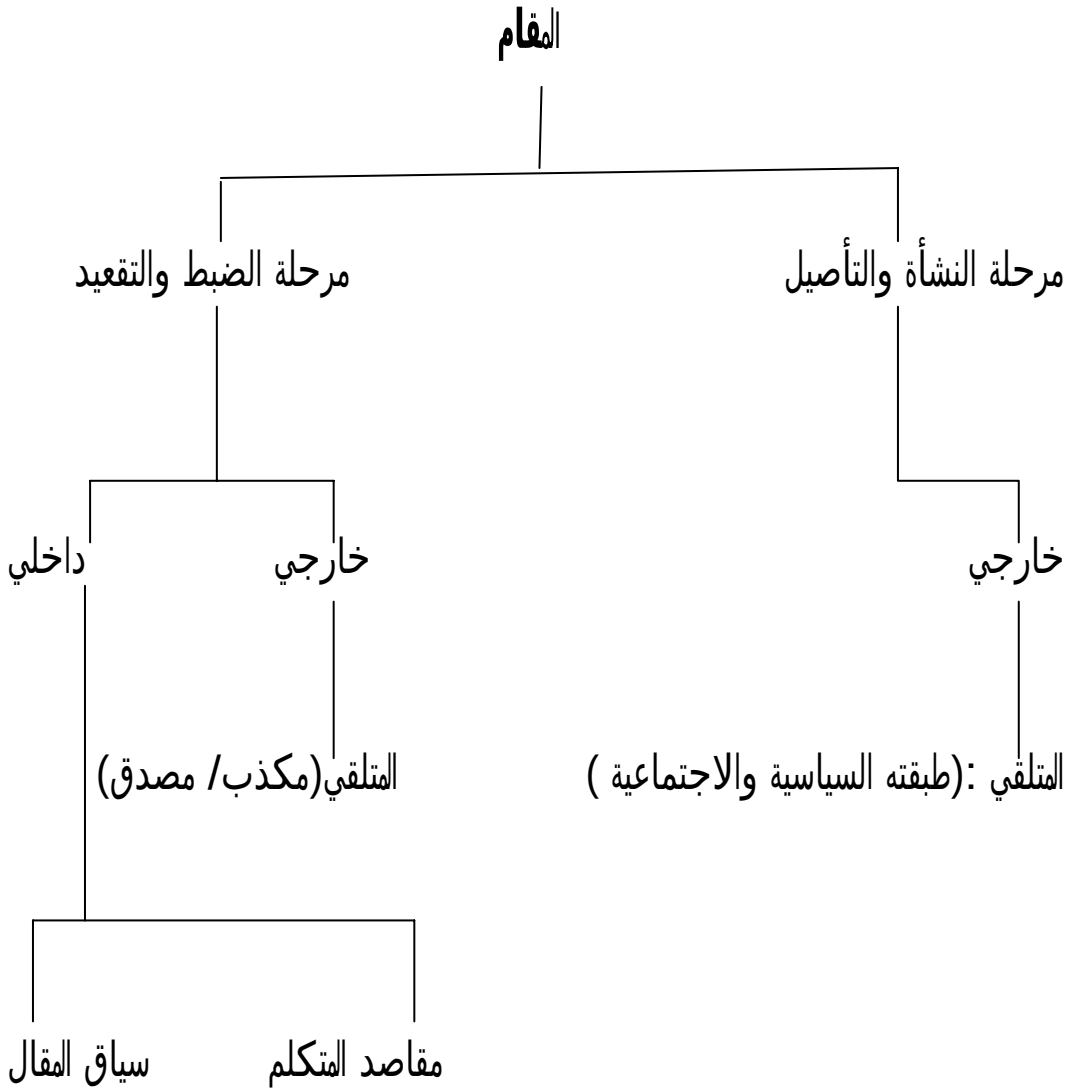
[1] جميل عبد المجيد :البلاغة والاتصال ،ص33.

[2] حمدي محمد بركات أبو علي :البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ،دار وائل للنشر والتوزيع ،الأردن ،ط1،2003،ص75.

[3] الشهري عبد الهادي بن ظافر :استراتيجيات الخطاب ،ص 41.

نفسه،وغيرهما مما له اتصال بالتكلم (كذلك) ...وعلى الرغم من هذا ..أجد لفظ المقام أصلح ...»[1].

ويمكن التمثيل للرؤية البلاغية العربية لمفهوم المقام بالمخطط التالي [2]:




**-مخطط يمثل تصور البلاغيين العرب للمقام –**

[1] حسان تمام : الأصول – ابستمولوجية الفكر اللغوي عند العرب : النحو، فقه اللغة، البلاغة – عالم الكتب القاهرة، د/ط، 1425هـ/ 2004م، ص332.

[2] عبد المجيد جميل:البلاغة و الاتصال ، ص131.

**1-2- عند اللسانيين الغرب :**

لقد حظي السياق باهتمام أغلب المدارس اللسانية الحديثة ،ولكن السبق في استخدام المصطلح كان لأستاذ الأنثروبولوجيا الاجتماعية "مالينوفسكي" في بداية الثلاثنيات؛ في حين كان فضل التأصيل له ، لزميله "فيرث J.R.Firth "الذي أعطى أبعاداً موسعة للسياق باعتباره «مجموعة من العناصر والملابسات التي تتضح وقت الكلام الفعلي،هذه الظروف أو الملابسات تتمثل في:

1- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي،وشخصيات من شهد الكلام إن وجدوا ودورهم .

2- العوامل والظواهر الاجتماعية ،والمناخية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي وقت الكلام .

3- أثر الكلام في المشتركين،كالاقتناع أو الألم ،أو الإغراء أو الضحك ،أو غير ذلك»[1].

وهو نفس المفهوم الذي تبنته النظرية التداولية حديثاً، بل واعتبرته أساساً من أسسها المكينة ؛ وإن أصر الكثير من الدرسين على ربط السياق بخاصية الإنجاز من منطلق أن«أحوال المتكلم والمخاطب ...تكون فقط ...أحوال إنجاز...»[2]،إذ يمكن أن يسمع المخاطب رسالة المتكلم ،وهو في حالة لاوعي ،كأن يكون شبه نائم،دون أن يعير لها أدنى اهتمام،وبالتالي لا تتحقق أي إنجازية للرسالة .

لذلك فإن أهم خاصية يتميز بها السياق ،هي خاصية الديناميكية المحركة ،التي تتولد من التغيرات المتتالية لأحوال الكلام ،التي تشمل « المكان والزمان،طبيعة النص، ومجمل

---

[1] نقلاً عن خليل عبد النعيم :نظرية السياق بين القدماء والمحدثين – دراسة لغوية نحوية دلالية – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية، ط1،2008،ص282. ( Firth J .R : papers in linguistic ,p18)

[2] فان ديك :النص والسياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي –تر/ عبد القادر قنيني،إفريقيا الشرق ،المغرب،د/ط، 2000،ص261.

الظروف المحيطة بعملية التواصل»[1]، وهو ما يجعل السياق «ليس مجرد حالة تلفظ ،وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال التلفظ...(إذ أن) كل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث»[2].

## 2- عناصر السياق :

### 2-1-المرسل:

وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب ،ولأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد مختلفة،ولأجل تحقيق أهداف متنوعة ؛اعتماداً على إستراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنياً،إلى اختيار العلامات اللغوية المناسبة بما يضمن تحقيق منفعته ،إذ لا يمكن للغة أن تتجسد، وتمارس دورها الحقيقي إلاّ من خلال المرسل الذي يحولها من وجودها الصوري في الذهن إلى كفاءة فعلية ،تقوم بوظائف اجتماعية مختلفة ، فلا يستطيع الخطاب أن يكون كذلك « إلاّ إذا تلفظ به المرسل ومرد ذلك ،إلى أن الجملة اللغوية لا تكون إلاّ إذا قالها متكلم ؛فهذا يبين أن الصحة المعنوية رهينة مستعمل الجملة في مقام معين ...»[3].

وهو ما دعا "دوسوسير F.de.Saussure"إلى التأكيد على ضرورة أن يتمتع المرسل بقدرتي الاستقبال والتنسيق،حتى يتمكن من القيام«بعملية الترميزcodage،وتفكيك الرمزdécodage بالرجوع إلى نظام اللغة الذي يشترك فيه مع مستقبل الرسالة...»[4]،وإن كان حضوره لا يقتصر على لحظة التلفظ بالخطاب،بل قد تستمر ما بقي الخطاب ذاته كالإعلانات التجارية والخطابات القارة، وهذا لا يتأتى إلاّ إذا تمتع المرسل بشرط الكفاءة والأهلية، التي تمنحه القدرة على الإنجاز .

---

[1] Marie-Anne Paveau et Georges-élia Sarfati : les grandes théories de la linguistique – de la gramaire comparée à la pragmatique- édition Armand colin , France. décembre 2003,p208 .

[2] فان ديك: النص والسياق ،ص 258.

[3] الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب،ص 46.

[4] بومزبرالطاهر:التواصل اللساني والشعرية- مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون- الدار العربية للعلوم-ناشرون /منشورات الاختلاف،لبنان/الجزائر،ط1، 1428هـ/2007م،ص25.

## 2-2-المرسل إليه :

و هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه متعمداً؛ وقد أشار اللغويون العرب قديماً إلى تأثير المرسل إليه على المرسل في إنتاج خطابه، إذ أبرزوا صوره في مستوى الخطاب من خلال التذكير والتأنيث، والعدد وأسماء الإشارة...إلخ وكذا على مستوى البلاغة من حيث مراعاة أحواله .

ويتجلى حضور المرسل إليه تداولياً باستحضاره الدائم من طرف المرسل قبل إنتاج خطابه وأثناءه وبعده،سواءً كان الحضور عينياً أو استحضاراً ذهنياً،«وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركة الخطاب،بل يسهم في قدرة المرسل التنويعية، ويمنحه أفقاً لممارسة واختيار الخطاب ...»[1].

هذا التنوع الذي يرتبط أساساً بإلمام المرسل التام بكل الأوضاع التخاطبية والتواصلية المحفوفة بالقول أن العلاقة بين الخطاب والمتلقي ،هي علاقة بين« جميع عناصر (الخطاب) وبنيته التنظيمية،وبين إنسان له انفعالاته ،ووضعه الاجتماعي وثقافته...فهو لا يتلقاه بحيادية مطلقة...بل يتلقاه ضمن الإطار النفسي والاجتماعي والثقافي ...إلخ لشخصيته»[2]؛ وما سبق يتبين أنه لا يوجد خطاب من غير متلقٍ ، فهو إما حاضر حضوراً عينياً أو هو مفترض منذ البداية.

## 2-3-العناصر المشتركة:

إن خاصية التفاعل الحاصل بين طرفي الخطاب ،لا تكتسي صفة الإنجازية إلاّ بتوفر جملة من العوامل المشتركة التي تقرب التباعد الحاصل بينهما؛والتي تعد الأرضية المشتركة

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب ،ص 48.

[2] الصباغ رمضان :النظرية الجمالية السياقية عند ستيفن بيير ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية ،د/ط،د/ت ،ص 75.

بين الطرفين ؛إذ يعول عليها المرسل في إنتاج خطابه ،كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله، ومن هذه العوامل نذكر :

- **المعرفة المشتركة بنظام اللغة** في جميع مستوياتها،وعلاقتها باستعمالها في إطارها الثقافي، بما يعزز المعرفة التداولية للغة؛وبالتالي كفاءة المرسل التفاعلية ،التي تؤسس «ترابط ضروب الاتفاق و التواطؤ للقيام بالفعل المشترك الإنجاز...»[1] .

- **المعرفة المشتركة بالعالم الخارجي**: وتتضمن مجمل « الظروف و العلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة ...في الماضي والحاضر، ثم التراث والفلكلور والعادات والتقاليد، والمعتقدات والخزعبلات...»[2]؛بالإضافة إلى نمط التفكير .

ويمكن أن نمثل للسياق من المنظور التداولي بالمخطط التالي[3]:

[1] فان ديك: النص والسياق ،ص258.

[2] خليل عبد المنعم :نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ،ص 322.

[3] عبد المجيد جميل :البلاغة والاتصال ،ص133.

## الفصل الثاني:التواصل الحجاجي في حكاية اليمني و الجواري الست

**1**-المسار التواصلي في الحكاية .

**2**- بنية الخطاب في الحكاية:

**2-1** - علاقة المرسل بالمتلقي.

**2-2** – علاقة المتراسلين بالخطاب.

إن التداولية باعتبارها واحدة من المناهج الحداثية التي اشتغلت على دراسة اللغة بوصفها تمثيلاً للواقع لا وصفًا له، فقد أعادت بطريقة أو بأخرى الاعتبار للخطاب العادي؛قالبة بذلك - رأسا على عقب – سلم الأولويات الذي كرسه "فرديناند دو سوسير F.De.Saussure " عندما أخرج الكلام وهو التأدية الفعلية للمتكلمين من دائرة البحث اللغوي .

لذلك فقد نشأت بالموازاة مع هذا التوجه ،أو بالأحرى مباركة له؛ جملة من النظريات المتفاوتة من حيث الطرح والمتفقة حول أن اللغة « هي نشاط يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد ...»[1]؛ لذلك فإن معظم النظريات التي تندرج ضمن هذا التيار ما كانت لتتفق في تحليلاتها دون أن تسعى إلى إثبات علاقة المتكلم بسياق الكلام،وتثبيتها كواحدة من المبادئ التي تقوم عليها الدراسة التداولية ؛ وهذا ما حدا بنا إلى التطرق - بعد عرض المدونة وتقديمها - إلى عناصر الخطاب اعتمادا على فكرة أن اللغة نشاط كلامي يتطلب وجود شخصين على الأقل، تجمع بينهما عوامل السياق الذي سنأتي للتفصيل فيها لاحقاً .

### ***I. بين يدي النص :***

*بالرغم من أن اللغة* هي مادة الخطاب مهما كان نوعه ،إلاّ أن استعمالها هو الذي يخرجها من حالة السكون إلى نوع من الحركية ، التي تتجسد من خلالها مقاصد المتكلم ومراميه؛ لتتجاوز بذلك حدود الفهم والإفهام بين طرفي الخطاب وما يتضمنه من إخبار ووصف للواقع، إلى التوجيه والإقناع كمرحلة متقدمة من الإنجازات التي يحققها المتكلم من خلال أقواله .

وبما أن الاستعمال اللغوي لا ينحصر في صنف واحد من الخطابات؛ فقد باتت القصة الشعبية واحدة من الحقول الخطابية التي يمكن أن نرصد من خلالها مقاصد وانجازات لغوية مختلفة، والتي تتبلور من خلال العديد من الاستراتيجيات المباشرة وغير المباشرة.

[1] بلخير عمر:تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،منشورات الاختلاف ،الجزائر، ط1 ،2003،ص 07.

والحديث عن القصة الشعبية يقودنا للتوقف بالدراسة عن مكانتها الاجتماعية والثقافية؛إذ احتلت مكانة لا يستهان بها داخل إطارها الاجتماعي الثقافي الذي كتبت فيه،وهذا لا يعني بتاتاً تقهقرها بفعل التراكمات الحضارية اللاحقة ؛بل لا تزال تحافظ على مركزها شأنها في ذلك شأن العديد من الأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى، «لأنها ليست مجرد تجربة ماضية لاكتها الألسن في عهد مضى،بل هي فعل متجدد،لأنها تحمل في ثناياها الواقع والبديل،الماضي والمستقبل ...فهي علامة مليئة بالرموز والدلالات والإيحاءات؛ قابلة كلها للقراءة والتأويل ... »[1]،باعتبار أن نسيجها حيك من مصادر متعددة ،كالأساطير والخرافات ،وبعض التفاسير الميثولوجية لمظاهر الطبيعة المختلفة ،التي حاول الإنسان عبر مختلف الحقبات التاريخية أن يعبر عنها وعن وعيه بها ،ولكنها في زاوية أخرى« ...غالبا ما تنطوي على شبكة دلالية خاصة، تنشئ بهدف يكتسب أحياناً سمة الحكمة...لتتسع مكونة مركزاً أساسياً في اهتمامات المجتمع الإنساني آنذاك ...»[2].

بالإضافة إلى هذا فإن دراستها تستلزم أيضاً الإشارة إلى بعض خصائصها والتي قد لا تتوفر عليها بعض الأشكال التعبيرية الأخرى ولعلّ أبرزها:

ـ تصويرها لمعتقدات وسلوكيات بيئتها الاجتماعية،وممارسات بعض البيئات السابقة.

ـ طابعها الأسطوري الذي يعتمد التوظيف المكثف للخيال والمبالغة في الوصف أبطالها بالخوارق، مما ينقل المتلقي إلى العوالم غير الممكنة.

ـ تعزيزها للعديد من القيم الإنسانية والاجتماعية السامية،كالشجاعة والكرم، والتضحية،والبطولة...إلخ ،وتصويرها للصراع بين الخير والشر .

ـ استعمالها للغة فصيحة بسيطة تجمع بين السرد النثري والشعري .

[1] معلم وردة : (في تداولية الخطاب الشعبي العربي – سيرة الزير سالم أنموذجاً -)، مجلة اللغة والأدب،ص115.

[2] إبراهيم عبد الله: المتخيل السردي - مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة-المركز الثقافي العربي،بيروت،د/ط، 1990،ص 17.

تضارب الآراء حول مؤلفها، والذي عادة ما يكون مجهولاً، وبالتالي فهي ملك للذاكرة الجماعية، على غرار قصص ألف ليلة وليلة؛ وأن كانت هناك اجتهادات تشير إلى تعدد مؤلفيها،و أخرى تؤكد أصلها المصري ،وثالثة تخرجها من أصلها العربي إلى الفارسي .

لذلك يمكن القول إن القصة الشعبية العربية تمثل في حقيقتها خطاباً إنسانياً ذا وجهين:

ـ **أحدهما** : أنها تعد المرجعية الثقافية للمجتمع العربي خاصة[1]،مما يسقط عنها صفة السردية التي لا تتجاوز الترفيه والمتعة الذاتية المتولدة عن عوالم الخوارق والخيال، فكثيراً ما يلجأ إليها الرجل العربي للتنفيس عن نفسه من واقع مظلم مارس عليه مختلف أفعال الضغط والكبت،لذلك وعليه فإن القصة الشعبية هي فهم للواقع من جهة، وتجاوز له من جهة أخرى، إذ استطاعت هذه المرويات - سواءً بعد تدوينها أو قبل ذلك – أن تفقه كل ما يتمخض داخل بيئتها؛معبرة عنه بلغة العقل حيناً، وبلغة الوجدان أحايين أخرى ،بل تعدت ذلك إلى تقديم بدائل لهذا الواقع تولدت عن رؤية استشرافية للمستقبل .

ـ **ثانيهما:** إبداعية القصة الشعبية بوصفها « ملفوظاً يتكلم عن شخصيات خيالية تتضمن مسبقاً رموزاً دلالية تحيل على انتمائها إلى ذلك الحقل الخطابي...»[2]؛ وهو ما حدا بالكثير من الدارسين إلى التأكيد على أولوية دراستها من الناحية اللغوية، على غرار ما لحق بها من دراسات تاريخية وفلسفية ونفسية وانثروبولوجية لأنها « أولاً وقبل كل شيء فن أدبي...»[3].

[1] على الرغم من أن هناك من ينكر أصلها العربي،للاستزادة ينظر:شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفلكلور و الأساطير العربية،مكتبة مدبولي.القاهرة، ط2، 1996،ص22.

[2] بن قندوز هواري: (بنية الخطاب السردي – مقاربة تداولية - ) مجلة اللغة والأدب،ص101.

[3] القلماوي سهير: (القصص الشعبي )،مجلة الفكر ، وزارة الإعلام ،الكويت ،ع1،أبريل 1972،ص150.

لذلك سننطلق في دراستنا لحجاجية القصة الشعبية العربية من فكرة ثابتة ،وهي أن هذه الأخيرة هي بالفعل خطاب،اعتماداً على الحد الذي قدمه "بنفست E.Benveniste" للخطاب بكونه «ملفوظ يفترض متكلماً ومستمعاً، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة أو بأخرى»[1] .

وبما أن القصة الشعبية تتوفر على هذه العناصر وهي المرسل والمرسل إليه والمقصدية الخطابية التي تتجلى من خلال جملة الظروف الاجتماعية والنفسية المحيطة بالنص؛ فإن جوهر عملنا سيكون منصباً حول ترصد المقصدية الحجاجية للقصة – محل الدراسة – ومن خلالها التأكيد على البعد الحجاجي للقصة الشعبية ككل؛ رداً على رأي"أن روبول A.Roboul" التي فندت توفر بعض الأنماط الإبداعية على مراد الإقناع مثل «القصيدة الغنائية والتراجيديا والميلودراما،والملهاة والرواية (غير التعليمية) والقصص الشعبي والحكايات الشعبية»[2]؛وذلك اعتماداً على الحجج التالية :

ـ القصة الشعبية هي خطاب كما تم التأكيد على ذلك مسبقاً، وكل خطاب هو حجاج حسب رأي "طه عبد الرحمان"، فهو يقتضي الإقناع والتأثير ،إذ أن«الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية ،بناءً على أنه لا خطاب بغير حجاج.»[3]، لأن الهدف من وراء«التلفظ وبالأخص وراء كل محاجة ،وهو التأثير الفعلي والملموس على المتلقي»[4].

ـ الحجاج قائم في جوهر اللغة نفسها ،بصرف النظر عن استخدامها ؛وهو ما أكده"ديكرو O.Ducrot "و زميله " أوسكمبر J.C.Anscombre" في كتابهما "الحجاج في اللغة "، الذين رأيا أن الحجاج يقوم على اللغة بالأساس،بل يكمن فيها .

[1] الشهري عبد الهادي بن الظافر: استراتيجيات الخطاب،ص 37.

[2] نقلاً عن :صولة عبد الله ،الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية،ص 40 ،( O.Reboul ,Intoduction a la rhétorique, p4).

[3] طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص213.

[4] Ruth AMOSSY : L'argumentation dans le discours, Armand colin éditeur ,paris, 2éme édition ,2006,p33.

ـ تأكيد "بيير بورديو P.Bourdieu" على فاعلية اللغة في الخطاب الطقوسي،شأنها في ذلك شأن كل الخطابات الأخرى ، إذ أشار إلى أن« من يهمل مسألة استعمالات اللغة ،وبالتالي مشكلة الشروط الاجتماعية لاستخدامات الكلمات، لابد أن يظل طرحه لمسألة سلطة الكلمات ونفوذها طرحاً ساذجاً ...»[1]، وهو ما يؤكد أن الأدب الشعبي ككل هو«أدب هادف تؤدي موروثاته وظائف لا غنى عنها في حياة أصحابها»[2]

ـ تأكيد كل من "بارث R.Barthes" و"كينتياليانو Quintiliano" على أن السرد هو «الجزء الأساس في الخطاب الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة أو المثيرة للجدل...فهو العرض المقنع لشيء حدث أو يزعم أنه حدث ...»[3]،مما يؤكد أن القصة«ليست حكاية وإنما خطوة برهانية ...»[4].

ـ اتسام النص القصصي الشعبي بخاصية البناء والتفاعل ؛فهو خطاب غير جاهز، وإنما هو حوصلة تفاعل بين العناصر المشكلة له باعتبار أنه استجابة لحاجة أو مطلب معين؛ولا أدل على ذلك طبيعة العلاقة السردية بين " شهرزاد " وشهريار" في حكايات ألف ليلة وليلة؛ والتي«يتشكل مضمونها على نسق التراسل ؛فـ" شهرزاد" تروي لكي تحيا و" شهريار" يصغي لكي يتمتع ...ولكن"شهرزاد" تستثمر فعالية السرد الجبارة، فتبث فيها ليس المتعة فقط؛ وإنما العبرة أيضاً التي تتسلل خفية في تضاعيف السرد ...»[5]؛ وهو ما يضاعف من درجة الإقناع إذ أن ازدواج « أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع...أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه،لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء ونفوذها في إشهادها للمخاطب،وكأنه يراها رأي العين »[6].

---

[1] نقلا عن بورايو عبد الحميد: (البعد التداولي لأشكال التعبير الشعبي )،مجلة اللغة والأدب، ص107،(بيير بورديو:الرمز والسلطة،تر/عبد السلام بن عبد العالي،ص63-64).

[2] حرب طلال: أولية النص –نظرات في النقد والقصة والأسطورة في الأدب الشعبي- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع،بيروت، د/ط،1999،ص90.

[3]-[4] فضل صلاح :بلاغة الخطاب وعلم النص،عالم المعرفة،الكويت،د/ط، أغسطس 1992،ص255.

[5] إبراهيم عبد الله : التلقي والسياقات الثقافية،دار الكتاب الجديد المتحدة ودار أوبا للنشر والتوزيع ،لبنان /ليبيا ، د/ط،2000،ص19.

[6] طه عبد الرحمان :في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،ص 30.

ـ تميز القصص الشعبي بخاصية التفاعل وتبادل الأدوار، شأنه في ذلك شأن معظم الحكايات الخرافية والمقامات و المرويات الإخبارية ،إذ نجد داخل الإطار العام للمرويات «رواة ينتدبون أنفسهم للرواية، ومروي لهم يبدون استعداداً للإصغاء ؛وما يلاحظ أن الرواة يمكن أن تتغير وظائفهم، فيقومون هم بالإصغاء بدل الإرسال ...»[1].

ـ القصص الشعبي بوصفه نصاً سردياً يتميز بخاصية الوجاهة و القصدية؛فهو نص موجه من راوٍ سواء كان هذا الراوي داخلياً أو خارجياً إلى متلق قد يكون هو الآخر داخلياً أو خارجياً،حاضراً أو مستحضراً،بهدف إحداث تغيير في سلوكه بطريقة أو بأخرى،إذ أن السرد ما هو إلاّ« وصف أفعال يلتمس لكل فعل موصوف عميل وقصداً للعميل ...وعالماً ممكناً والغاية التي تحدده...(فـ) مجرى الأفعال ينبغي مباشرتها من أجل تبدل الحالة التي تتلاءم مع رغباته...»[2]؛ وهو ما يعكسه أيضاً توفر نية التأثير في المروي له من خلال«حسن تأهب الراوي واستعداده الواعي لمواجهة عمله قبل البدء فيه تخطيطاً وجمعاً لمادته العلمية»[3].

كل هذه المعطيات سنعتمدها أرضية عمل للانطلاق في بحثنا لدراسة القصة المنتقاة من بين قصص هذا السفر العظيم المعروف بـ" كتاب ألف ليلة وليلة"،والذي كان(الانتقاء) مرتكزاً على دعامتين اثنتين هما :

**أولهما:**أهمية الإطار العام للمدونة،ونقصد بذلك ثراء كتاب "ألف ليلة وليلة"، وحركيته المتواصلة،إذ يعد من« أقدم المجموعات القصصية التي عرفها العالم، والتي اشتقت منها كثيراً من القصص المعروفة...»[4]؛و هو ما يؤكد رواجها الكبير على المستوى العربي والغربي؛ إذ لم تنقطع ترجماته منذ اكتشافه أول مرة وإخراجه للجماهير سنة 1704م، من طرف "أنطوان

[1] إبراهيم عبد الله :التلقي والسياقات الثقافية ،ص 19_20.

[2] إيكو أمبرتو :القارئ في الحكاية – التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية – تر/ أنطوان أبو زيد ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،ط1، 1996 ،ص140 .

[3] درويش أحمد: تقنيات الفن القصصي عبر الراوي والحاكي،الشركة المصرية العالمية للنشر.لونجمان، القاهرة، ط1، 1998،ص266.

[4] قريش روزلين ليلى: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،د/ط،2007،ص211.

قالان""A. Alain"، وتأثر الكثير من الكتاب الغربيين[1] به انطلاقاً من القرن عشر الثامن، بسب زخم لياليه و«لونها الشرقي الجذاب، وخيالها الظريف الساحر»[2].

**ثانيهما:** ثراء الكتاب ككل بما توفر عليه من أنماط سردية مختلفة،إذ « يمثل موضوعاً مميزاً للتحليل السردي ،تتجلى فيه السردية على جميع الأصعدة ؛فالعلاقات باث – متلقي ذات وجود مضعف على عدة مستويات عن طريق ظاهرة التضمين والتمثيل...»[3].

وقد كان انتقاء نموذج واحد من بين هذا الكم الهائل والزاخر أمراً غاية في الصعوبة والعسر،ولكننا مع ذلك عمدنا إلى اختيار قصة تبدت أبعادها الحجاجية واضحة منذ دراستها المبدئية وهي حكاية "اليمني والجواري الست" الواردة في الليلة الرابعة إلى الليلة الثامنة والثلاثين بعد المائة الثالثة،ضمن طبعة دار صادرللطباعة والنشر،الطبعةالأولى،سنة 1999م،والتي استحوذت على مساحة ورقية قاربت الصفحات التسع .

تدور أحداث القصة في مجلس أحد أرباب النعم وهو يمني يقطن بغداد، بين جواريه الست وهن ( البيضاء والسوداء )،(السمينة والهزيلة)،(الصفراء والسمراء)؛ تناظر كل واحد منهن ضرتها بما أتيح لها من قول وحجة قصد إقناع سيدها الذي صرح علناً برغبته في إجراء مناظرة بينهن، لبيان قدر أدبهن وبيانهن واتساع ثقافتهن بما تحفظ كل واحدة من قرآن وأخبار وأشعار بقوله «...وقد اشتهيت أن تقوم كل واحدة منكن وتشير إلى بيدها إلى ضرتها، يعني أن تشير البيضاء إلى السمراء والسمينة إلى الهزيلة،والصفراء إلى السوداء وتمدح كل واحدة منكن نفسها وتذم ضرتها،ثم تقوم ضرتها وتفعل معها مثلها، لكن بدليل من القرآن الشريف وشيء من الأخبار والأشعار لننظر أدبكن وحسن ألفاظكن...»[4].

---

[1] للاستزادة ينظر: البطبوطي ماهر:الرواية الأم :ألف ليلة وليلة والآداب العالمية – دراسة في الأدب مقارن- مكتبة الآداب ،القاهرة ،ط1، 2005.

[2] سليمان موسى: الأدب القصصي عند العرب، دار الكتاب اللبناني،لبنان ،ط3،د/ت،ص 22.

[3] بورايو عبد الحميد :المسار السردي وتنظيم المحتوى – دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة – دار السبيل للنشر والتوزيع، د/ط،2008،ص05-06.

[4] ألف ليلة وليلة ، تقديم نايف خاطوم ،دار صادر للطباعة والنشر،لبنان،ط1 ، 1999،ص574.

وهو الأمر الذي استجابت له الجواري الست ،حيث دخلن في مجادلة، اعتمدت كل واحدة فيها على مجموعة أدلة تثبت تميزها وجمالها وقوة جاذبيتها،في الوقت الذي توظف فيه كل ما يدحض أقوال ضرتها المتوقعة مسبقاً؛عبر سلسة من الحوارات عكست مقاصد خطابية مختلفة ،وذلك بتوظيف العديد من الآليات كالسؤال،والاعتراض،والتمثيل ...إلخ ،وهو ما يؤكد العلاقة التناظرية بين المتحاورين؛ لتنتهي القصة بنهاية أرادها صاحبها مرضية، وذلك برضا السيد عنهن جميعاً، إذ«...أصلح بينهن وألبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية...»[1] .

تجدر الإشارة إلى أن عناصر الخطاب التي سنركز على تحديدها في العنصر اللاحق ستتجاوز التي ذكرناها في متن القصة ، باعتبار أن القصة مروية في مجلس آخر وهو مجلس الخليفة المأمون الذي أعجب هو الآخر بالجواري بعد أن سمع خبرهن من نديمه "محمد البصري" والذي أوعز إليه فيما بعد أمر شرائهن من سيدهن؛ لذلك سنحاول تقسيم القصة إلى مستويين اثنين، لتحديد مقصديتها الحجاجية اعتماداً على :

ـ البحث في العلاقة الكامنة بين الخطاب والسياق، من منطلق أن السياق يعد الركيزة الأساس التي يعول عليها في فهم الخطاب وتأويله ؛ والذي يشمل المرسل والمرسل إليه ،المكان والزمان.

ـ الكشف عن بنية الحجاج من خلال المدونة، والتي يمكن الوقوف عليها من خلال:

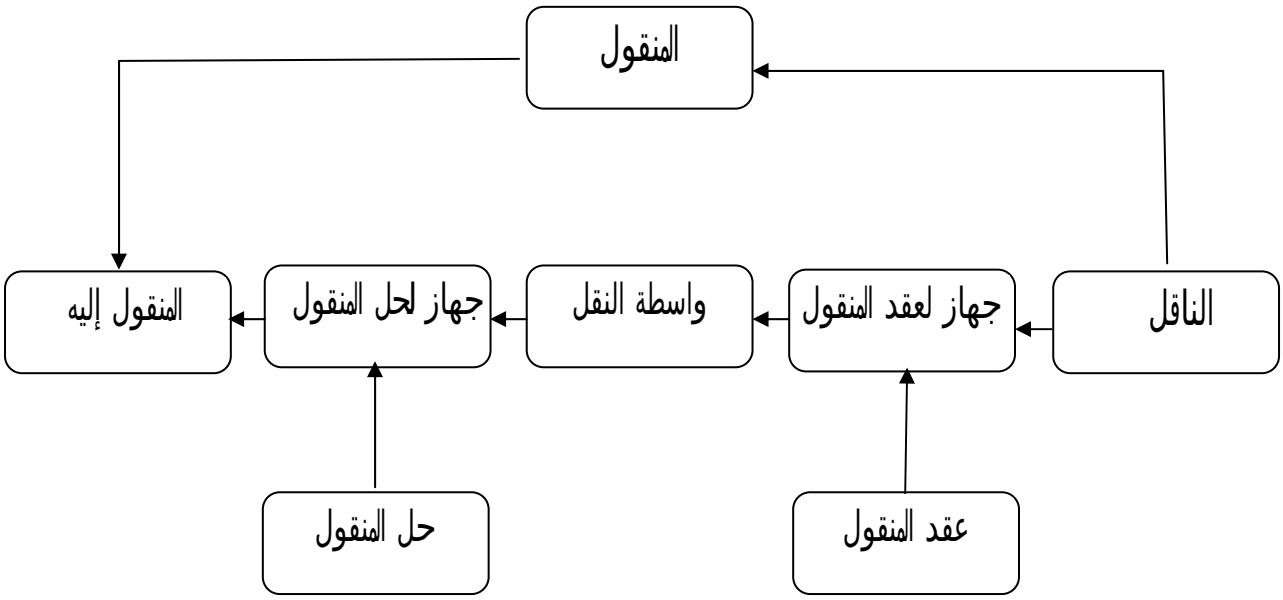
1-استقراء أفعال الكلام والأساليب البلاغية المختلفة، وربطها بمقصديتها الحجاجية وترصد نتائجها .

[1] المصدر نفسه، ص 579.

2- تصنيف الحجج الموظفة والبحث عن العلاقات الكامنة بينها داخلياً ،ونتائجها العملية التي تبدت على سلوك المرسل إليه .

**ثانيا: بنية الخطاب في الحكاية:**

إذا كان الاتجاه البنوي - من خلال إقراره للثنائية الشهيرة (اللسان / الكلام) - قد ركز على اللسان باعتباره مجموعة من البنى،تربط بينها علاقات مختلفة ، فإن اتجاهات أخرى - خاصة الاتجاه التداولي - أعادت النظر في هذا التصور حول الخطاب البشري، وأصبح ما هو ثانوي عند البنويين أساسياً عندها ،مما يلزم الإحاطة بمقتضيات الخطاب ضمن إطاره العام الذي يشكله :مرسل ومرسل إليه اللذان يتواصلان عبر قناة ومرجع وعقد، حسب ترجمة" طه عبد الرحمان" لخطط "شانون و ويفر Shannon et Weaver"[1] :




**-مخطط يمثل عملية التواصل-**

[1] طه عبد الرحمان: التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،د/ط،د/ت،ص08.

إذ يرى أن الخطاب تواصل لغوي يتضمن رسالة معينة،وخمسة أطراف تربطهم علاقات داخلية مختلفة ومتغيرة،باعتبار« أنه وقبل أن نلجأ إلى القواعد اللسانية بغية الإقرار بماهية ما يقوله المتكلم نتلقى من ظرف التلفظ معلومات لسانية خارجية حول طبيعة الفعل الذي يؤديه...»[1]؛ هذا الاتصال القائم على التفكير والقصد يتم من خلال الاتفاق بين أفراد بيئة لغوية معينة، ويحصل نتيجة منبه أو حاجة، تختلف باختلاف وضعية المتراسلين ، يضاف إلى ذلك أن التلفظ يهدف بالأساس إلى « إرساء مسافة بين هؤلاء ،وتشكل هذه المسافة أحد الشروط الأساسية للتبادل...»[2]؛يمكن أن نضبط المسار التواصلي للمدونة من خلال تحديد بنية الخطاب أو أركان البلاغ التي حصرها "طه عبد الرحمان" في أربعة وهي« الناقل ،المنقول، والمنقول إليه وأداة النقل»[3].

وبما أن الخطاب محل الدراسة هو قصة شعبية،فإن الحديث عن السرد يفترض بالأساس «وجود شخص يحكي،وشخص يحكى له ،أي وجود تواصل بين طرف أول، يدعى "راوياً " أو "ساردا" وطرف ثانٍ يدعى "مروياً له"...»[4]، بالصورة التالية :

االراوي ——— الحكاية(رسالة) ———◄ المروي له

[1] إيكو أمبرتو: القارئ في الحكاية ،ص 93-94.

[2] بن عروس مفتاح: الاتساق والانسجام في القرآن،رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة، تخصص لسانيات نص، جامعة الجزائر،2007-2008،ص141.

[3] طه عبد الرحمان :أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،ص32.

[4] لحمداني حميد :بنية النص السردي ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط3 ،2000 ،ص 45.

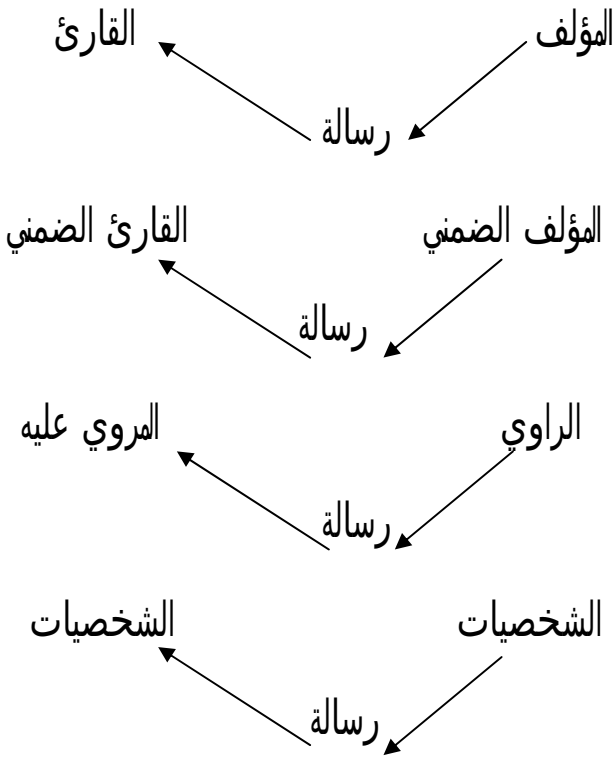
## أ – علاقة المرسل بالمتلقين :

### أ – 1 –وضع المرسل اللغوي :

بما أن منطلقنا التحليلي هو منطلق تداولي،فقد باتت معرفة المرسل وتحديد وضعيته ركيزة أساسية في هذه الدراسة ،والحديث عن المرسل داخل الخطاب السردي الشعبي هو حديث عن راوي القصة في الأساس ،ولكنه حديث أيضاً عن مستويات التواصل،فالعمل القصصي عامة هو «عبارة عن رسالة صادرة من المؤلف إلى القراء، وأن هذه الرسالة أي النص يحمل في داخله صورة مؤلف ضمني يوجه رسالة إلى قارئ ضمني ،وأن هذه الرسالة نفسها تحتوي على صورة راوٍ يوجه رسالة إلى المروي عليه،وهذه الرسالة تحتوي على مجموعة من الشخصيات تخاطب نفسها أو تخاطب مجموعة أخرى ...»[1] ، وهو ما لخصه "ليتش G.Leech" في المخطط التالي[2] :

[1] الكردي عبد الرحمان: الراوي والنص القصصي ،دار النشر للجامعات ،القاهرة ،ط2 ، 1996،ص49.

[2] المرجع نفسه بتصرف،ص50.




**-مخطط يمثل مستويات التواصل في الخطاب السردي-**

وانطلاقاً من هذا القول يمكن أن نحدد هذه المستويات على النحو التالي :

**-المستوى الأول :** وهو المستوى الخارجي،ونقصد به القصة باعتبارها رسالة موجهة من مرسل وهو كاتب النص إلى متلقٍ وهو قارئه ، وهو ما يفضي هنا إلى الثنائية التالية (المؤلف المجهول /القارئ)[1]، تجدر الإشارة إلى أن هناك من أكد أن مؤلف كتاب الليالي هي نفسها «شهرزاد»[2].

**-المستوى الثاني :** المستوى الداخلي ويشمل العديد من الحدود المتداخلة وهي :

**1- الحكاية الإطار**: وهي التي تسند فيها رواية الأحداث إلى ابنة الوزير "شهرزاد" للملك " شهريار" ،والتي احتكرت ظاهرياً السرد على مدار الليالي كلها من خلال ترديدها لعبارة "بلغني أيها الملك السعيد "،وإن كانت ضمنياً تلجأ إلى نقل بؤرة الرواية باستمرار من طرف لآخر ،وهذا ما يجعل إطار التواصل متنوعاً ينتقل بين الملوك والتجار و العبيد والعفاريت ...إلخ ،مما أفضى إلى تعدد الذوات الباثة من جهة ،وتنوع «عملية التلقي بدورها ،فيتعدد المتلقون ويتنوعون»[3]؛ وعلى هذا الأساس يمكن أن نحدد الثنائية التالية:( شهرزاد/الملك شهريار).

**2-الحكاية الأنموذج**: وهي القصة التي يمكن أن نقسمها إلى قسمين:

- المقطع الأول:

هي التي تتبلور من خلالها البنية السردية اعتماداً على الرؤية الخارجية للراوي الضمني وهو "محمد البصري " والتي تمتد من بداية القصة إلى غاية قوله:«فما رأيت يا أمير

[1] ويقصد به المتلقي بكل أصنافه :المطلق (المجرد من الزمان والمكان ) ،الفعلي ،الضمني ،للاستزادة ينظر صولة عبد الله :الحجاج في القرآنمن خلال أهم خصائصه الأسلوبية،ص 42.

[2] للاستزادة ينظر:خاطوم نايف: مقدمة كتاب ألف ليلة وليلة ،ص 02.

[3] بورابو عبد الحميد :المسار السردي وتنظيم المحتوى ،ص06.

المؤمنين في كل مكان ولا زمان أحسن من هؤلاء الجواري الحسان »[1]، وعليه نقف من هذا المنطلق على الثنائية التالية :(محمد البصري / الخليفة المأمون ).

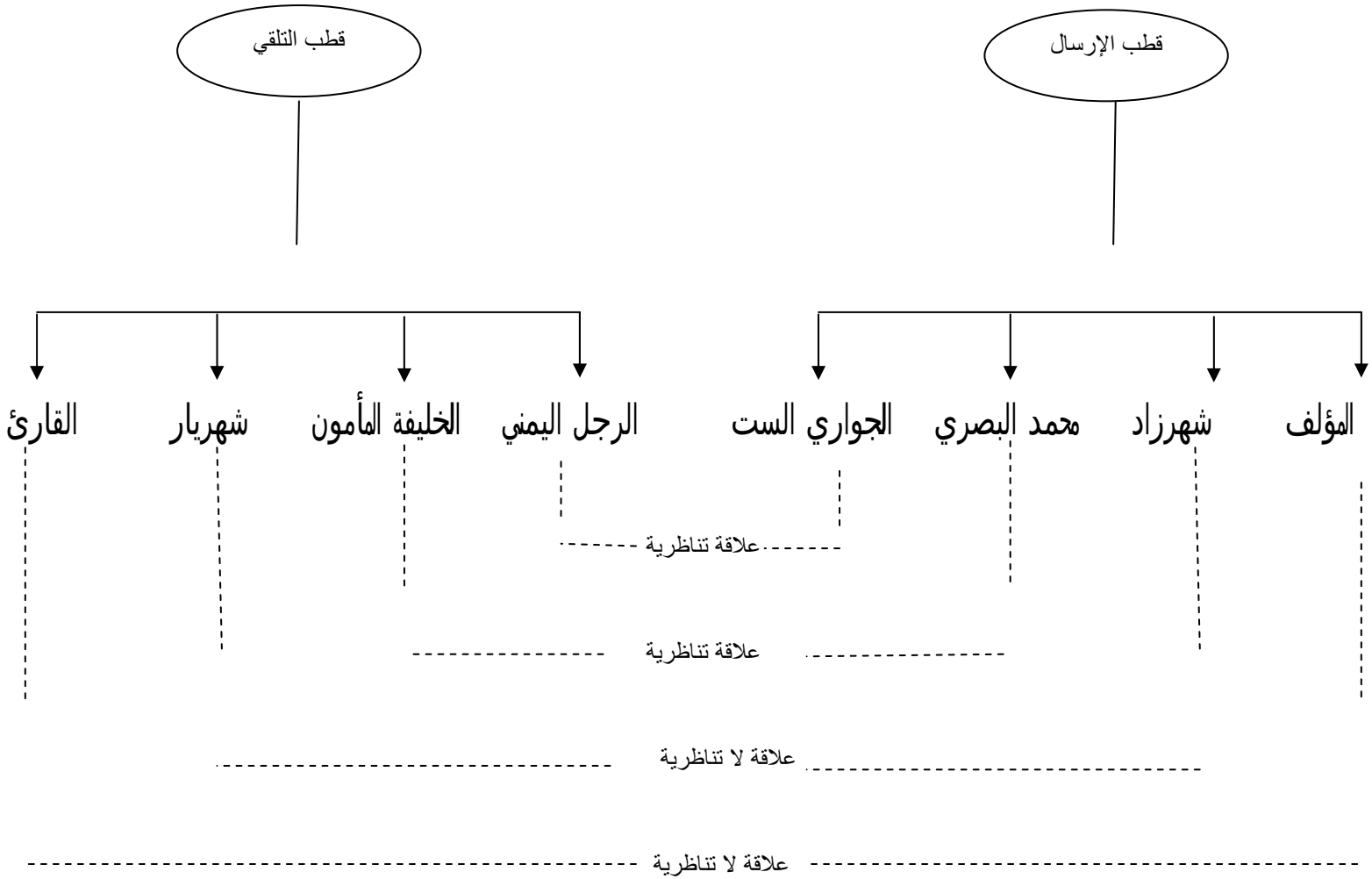
- المقطع الثاني:

وتمظهرت عبر دخول الراوي (محمد البصري) في نطاق الحكي بصفته مشتركاً فيه، من خلال تدخله في سيرورة الأحداث كشخصية ثانوية ،وهذا انطلاقاً من« فلما سمع المأمون هذه الحكاية من محمد البصري ...إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات.»[2]؛ ليتنقل الرواية لراوية القصة الإطار و هي "شهرزاد" ،وفي هذا رجوع للثنائية الأولى (شهرزاد / الملك شهريار).

ويمكن أن نجمل أقطاب التراسل في الشكل التالي :

[1] ألف ليلة وليلة ،ص 579 .

[2] المصدر نفسه،ص 579-580.




**ـ مخطط يمثل أقطاب الإرسال والتلقي في حكايات الليالي ـ**

هذا التداخل الحاصل بين مستويات الرواية هو أمر يكاد أن يكون طبيعياً في معظم القصص الشفوية لاعتمادها المشافهة من جهة ،ولطبيعتها البنائية التي تتأسس من هذا التراكم التراثي المؤلف من أخبار الأمم السابقة،ومواقفها وتصوراتها ،وعليه فإن تعدد الرواة (الرواية داخل الرواية ) تؤدي عادة إلى تعدد وجهات النظر « وليس من الضروري أن تكون الرواية مشروطة بتعدد الرواة ،فبإمكان راوٍ واحد أن يعقد علاقات بين مقاطع حكائية مختلفة من حيث زاوية الرؤية، وهكذا يولد الراوي الواحد زوايا متعددة..»[1].

تجدر الإشارة إلى أنه وباعتمادنا هذا التقسيم نكون قد أسقطنا ثنائية أخرى وهي ( الجواري الست / السيد اليمني ) واكتفينا بإسناد العلاقة التراسلية إلى الراوي الضمني وهو "محمد البصري" والمروي له وهو الخليفة المأمون ومن حظر مجلسه ، وهي الرؤية التي سنعتمدها في التحليل لجملة أسباب أهمها :

- تثمين المنطلق التداولي الذي يهدف إلى استجلاء أثار اللغة على المرسل إليه والتي يمكن الوقوف عليها اعتمادا ترصد علامات التلقي التي أثبتت سلوكياً بطلب الخليفة المأمون من نديمه محمد البصري شراء الجواري الست بمجرد سماع الحكاية منه ،وإن كان الإعجاب والانبهار الذي ظهر على السيد اليمني بعد سماعه مناظرة جواريه يعد أيضا علامة على نجاح الخطاب.

- صعوبة التأكيد على البعد الحجاجي للمدونة باعتمادنا ثنائية (شهرزاد /شهريار) لأن الأمر بهذه الصورة يوحي بتوافر قصص الليالي كلها على المقصدية الحجاجية وهي قضية لا يمكن القطع بصحتها،على الرغم من أن منطلقنا في دراسة الحكاية الأنموذج يهدف إلى التأكيد على حجاجية هذه القصص، ومن خلالها حجاجية كل المرويات الشعبية قصد إخراجها من دائرتها الضيقة بوصفها سردية للسمر والمتعة فقط.

[1] لحمداني حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،ص49.

وعليه فإننا سنعتمد في تحديد عناصر الخطاب على الثنائية التالية: (محمد البصري/المأمون).

محمد البصري ـــــــــــــ الحكاية ـــــــــــــ الخليفة المأمون

**1- 1- سلطة المرسل و كفاءته :**

إن الحديث عن المرسل في القصة الشعبية حديث عن الراوي الذي يعد «الصوت الخفي الذي لا يتجسد إلاّ من خلال ملفوظه ...(فهو الذي) يأخذ على عاتقه سرد الأحداث ووصف الأماكن، وتقديم الشخصيات ونقل كلامها والتعبير عن أفكارها ومشاعرها ...»[1].

هو محمد البصري الذي تولى سرد القصة على مسمع جماعة سنأتي للتفصيل في درجاتهم لاحقاً، بإيعاز من الخليفة المأمون بقوله:« يا محمد أريد منك في هذه الساعة أن تحدثني بشيء ما سمعته قط...»[2] ؛إذ يتساءل محمد البصري عن طبيعة هذا الحديث(القصة) التي يريد المأمون سماعها بقوله:«أتريد أن أحدثك بحديث سمعته بأذني، أو بأمر عاينته ببصري»[3]، لينتهي بهما الحوار إلى انتقاء لا يندرج ضمن العرضين المقدمين من طرف المرسل، بل تحت طلب أمير المؤمنين الذي فضل أن يكون الأغرب من بين ما يعرف .

ومن هنا يتضح أن القصة ما هي في الحقيقة إلاّ استجابة لمثير خارجي، وهو طلب المأمون،مما يفضي إلى التأكيد على غياب سلطة المرسل للسبب المذكور ولسبب ثانٍ، وهي وضعيته الاجتماعية إزاء المرسل إليه، إذ يعد هذا الأخير خليفة، والثاني ما هو إلاّ نديم من ندمائه،وهو ما يؤكد أن العلاقة بين الطرفين هي علاقة عمودية في الأساس، بدليل مخاطبته للخليفة بكنيته "أمير المؤمنين"، مما يعني أن المرسل لا يقع في نفس الدرجة مع المرسل

[1] قاسم سيزا: بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، د/ط ، 1984 ،ص152.
[2] -[3] ألف ليلة وليلة ،ص 572.

إليه، وبالتالي لا يملك سلطة مسبقة ،وإنما سيسعي لإيجاد سلطة موازية من خلال خطابه الذي عمد إلى انتقائه انتقاءً دقيقاً يفضي في النهاية إلى التأثير في هذا المتلقي بصورة أو بأخرى.

والحديث عن غياب سلطة للمرسل لا يعني انتفاء كفاءته[1]،التي « تشمل مدى أهليته ودرجة حضوره وطريقة مشاركته القارئ في القصة أو القضية المطروحة »[2]إذ يمكن التأكيد عليها من زاويتين هما :

1 ـ طبيعة العلاقة التي تجمع بين الطرفين والتي تتسم بنوع من الاحترام المتبادل والثقة العالية، فهي موجودة بالأساس نظراً لكون المروي له « ينقاد مبدئياً نحو الثقة في رواية الراوي ...»[3]، والتي تبدت على صورتين :

-توجيه الخطاب مباشرة إلى المرسل (محمد البصري) دون غيره ،في الوقت الذي كان بالإمكان للخليفة أن يتوجه بطلبه إلى غيره ممن حظر مجلسه من شعراء وندماء.

-إتاحة الخليفة للمرسل هامشاً من الحرية لانتقاء خطابه،وكان بالإمكان أن يحيله على موضوع معين،بل عمد إلى الإشارة إلى طبيعته ،وهو أن يكون غريباً غير مألوفٍ.

2 ـ ثقافة المرسل المعرفية الواسعة التي تبدت من خلال ثراء جعبته، بدليل أنه طرح العديد من الخيارات أمام الخليفة لاختيار القصة التي يريد سماعها، بقوله:« أتريد أن أحدثك بحديث سمعته بأذني أو بأمر عاينته ببصري ...»[4].

كل هذه المعطيات تؤكد أن المرسل صاحب كفاءة سردية وقدرة ،أتاحت له اختيار خطاب يتلاءم مع طبيعة العلاقة التي تجمعه بالمرسل إليه من جهة ، ويجاري مختلف الظروف المحيطة بالسياق من جهة أخرى.

[1] تتألف الكفاءة التداولية من الملكات الخمس:اللغوية ،المنطقية ،المعرفية، الإدراكية، للاستزادة ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب،ص 57.

[2] الحسن شاهر: علم الدلالة السمانتيكية والبراخماتية في اللغة العربية. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 2001،ص188.

[3] لحمداني حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،ص 45.

[4] ألف ليلة وليلة ،ص572.

## أ-1-2- الحضور اللغوي للمرسل :

ويمكن أن نحدده على النحو التالي :

- المقطع الأول:

و بدا فيه المرسل (الراوي) حاضراً حضوراً خارجياً استطلاعياً ،وهو ما سبق لنا الإشارة إليه من خلال تحديد الرؤية السردية[1] التي تبدت أنها رؤية من أعلى ،بدليل إسناده القصة لصاحبها (المجهول)،حتى أنه استطاع أن يوهمنا أن« الأحداث كأنها تقدم نفسها بنفسها، وهو السرد التاريخي...»[2] بقوله: «اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان في أحد الأيام الماضية رجل...»[3].

فالمتكلم هنا لا يمكن أن نلمس حضوره الواضح والفعلي في القصة باعتبار أنه راوي القصة وليس فاعلاً في الحدث الكلامي التي تحركه شخصيات أخرى ؛ لذلك فإننا نستشف حضوره الضمني لا العيني داخل الخطاب،لا بتوظيف ضمير المتكلم "أنا" ولا "نحن" بل من خلال :

1 ـ توجيه الخطاب إلى المرسل إليه بقوله:«اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان في الأيام الماضية ...»[4].

2 ـ إسناد الفعل السردي إلى الشخوص والفواعل التي أدارته على شكل حوار ،وعلى رأسها السيد اليمني الذي يعود عليه الضمير "هو" والجواري اللائي عبر عن جمعهن من خلال الضمير "هن " وعن إفرادهن بالضمير "هي".

---

[1] فضل صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص ،ص283.

[2] ساري محمد: ( التحليل البنوي للسرد)، مجلة البرز، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية ، الجزائر،1998.ص 22.

[3]-[4] ألف ليلة وليلة ،ص572.

- المقطع الثاني :

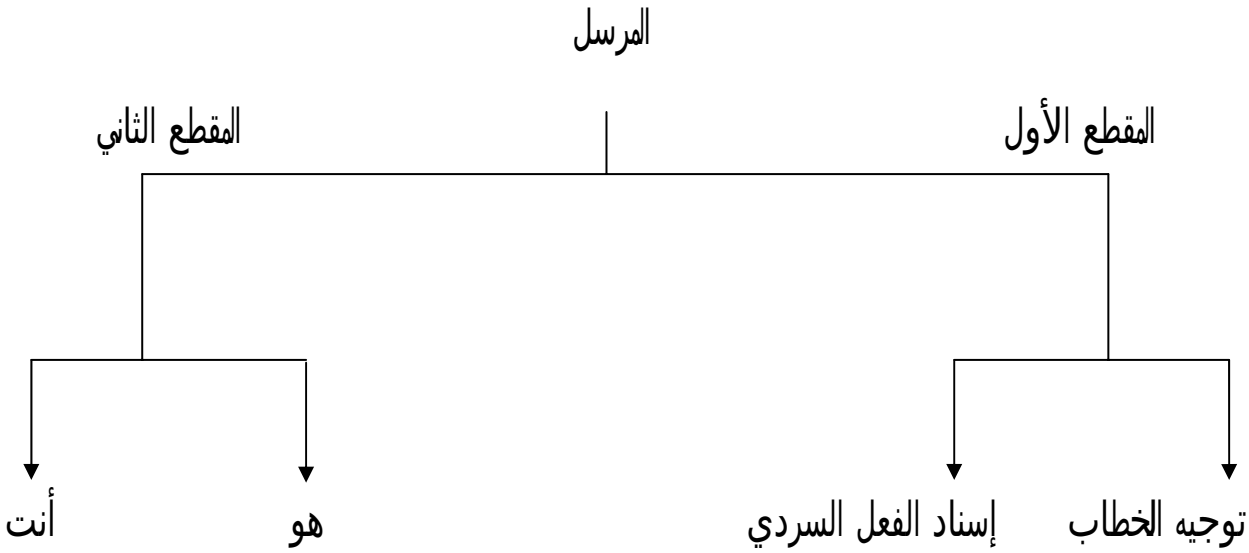
وفيه انتقل المرسل وهو الراوي "محمد البصري" من مرحلة الغياب الفعلي إلى مرحلة التجلي،إذ ظهر كشخصية فاعلة في البنية السردية للقصة من خلال انتقال فعل الرواية منه إلى الراوي الخارجي وهو " شهرزاد"، ابتداءً من «فلما سمع المأمون هذه الحكاية من محمد البصري أقبل عليه ...»[1]،إلى نهاية القصة.

و هنا يصبح الراوي طرفاً رئيساً حيث يدخل في مفاوضة مع السيد اليمني لشراء الجواري الست، إذ يمكن أن يتبدى حضوره من خلال الضمير "أنت" في قول المأمون:«يا محمد، هل تعرف لهؤلاء الجواري وسيدهن محلاً؟...»[2]، وكذا الضمير "هو " في « فقال له محمد ...»[3]...إلخ .

ويمكن أن نجمل حضور المرسل من خلال هذه الخطاطة :

[1]-[2] ألف ليلة وليلة ،ص 579.

[3] المصدر نفسه ،ص 580




**ـ خطاطة تمثل وضع المرسل داخل الخطاب ـ**

## أ-2-وضع المرسل إليه اللغوي :

وسنحدده - اعتماداً على الثنائية التي تم إقرارها مسبقاً وهي ( محمد البصري/المأمون) على النحو التالي:

- المرسل إليه المستهدف: وهو الخليفة المأمون الذي وجه إليه الخطاب بطلب منه .

- المرسل إليه المشترك : ويشمل كل من حضر مجلس الخليفة، وقد جاء ذكرهم تبعاً: رؤساء الدولة، أكابر المملكة،الشعراء والندماء؛ مما يؤكد أن المرسل إليه هو مرسل إليه مقامي،حاضر حضوراً عينياً لحظة التلفظ بالخطاب،في الوقت الذي لا يمكن أن نستشف فيه مرسلاً إليه مستحضراً ذهنياً ،باعتبار أن الخطاب هو مروية تستهدف التأثير في من حضر مجلس روايتها.

## أ-2- 1-سلطة المرسل إليه وكفاءته:

وتتسم سلطة المرسل إليه (المستهدف) بخاصية الوجود المسبق، أي بتوفرها لحظة تلقي الخطاب، والتي يمكن التأكيد عليها من زاويتين:

1- مركزه السياسي: باعتبار أن المجتمع بنى تراتبية هرمية تقوم على جملة من الضوابط أهمها "الوظيفة"[1]؛ فالمأمون هو خليفة ،وبالتالي علاقته بالمرسل هي علاقة الرئيس بالمرؤوس .

2- استخدامه للأساليب المباشرة في التعامل مع المرسل إليه، استناداً إلى سلطته السياسية، وهو ما تبدى على مستويين :

- استخدام الاسم الأول في مخاطبة المرسل :«يا محمد ...»[2]، مما يعني أن المرسل إليه في مرتبة أعلى منه، ولكنه – ومن زاوية أخرى- يسعى إلى التنازل عن هذه السلطة بتوفير هامش

[1] هناك ضوابط أخرى تسهم في تشكيل العلاقات الاجتماعية مثل: السن ،النسب ...إلخ ،لأن التفاعل الخطابي يحدث على جميع المستويات .
[2] ألف ليلة وليلة ،ص572.

من التضامن الخطابي بدليل أنه كان بإمكانه أن يخاطبه باستعمال الضمير "أنت"،أو "يا هذا" مثلاً .

- توجيه المنفعة الإنجازية إلى المرسل ،بطلب أفادته بحديث غريب لم يسبق له سماعه ،وان كان قد أتاحه له من زاوية أخرى فرصة اختيار الأنسب والأفضل .

أما عن سلطة المرسل إليه المشترك، فهي أيضاً موجودة مسبقاً، ونقصد بذلك السلطة السياسية التي يتمتع بها أكابر المملكة، ورؤساء الدولة، ومنتفية لباقي الأطراف (الشعراء، الندماء) لأنهم في منزلة مساوية للمرسل .

الحديث عن كفاءة المرسل إليه ،يقودنا بالضرورة للحديث عن مجموع المعارف التي يحوزها الخليفة قياساً بغيره، فمن المعروف عن هؤلاء دأبهم الدائم على جلب الشعراء والعلماء والرواة إلى بلاطهم، لسماع الأخبار ،والتعرف على كل جديد ،ومن هنا يتأكد أن الخليفة المأمون على قدر كبير من المعرفة، عكسها حرص المرسل (محمد البصري) على انتقاء الأنسب مما يتوفر على عنصري الغرابة والجدة ،ولأدل على ذلك أن الخليفة المأمون قد صرح مباشرة بهذا الشرط بقوله:«أريد منك في هذه الساعة أن تحدثني بشيء ما سمعته قط...»[1].

[1] ألف ليلة وليلة ،ص572.

## أ-2-2- الحضور اللغوي للمرسل إليه :

والذي يمكن تحديده بالصورة التالية :

▪المقطع الأول : ومن خلاله يتضح حضوره على نمطين :

1- حضور فعلي مقامي: يترجمه امتلاكه ناصية الكلام ،بتوجيه طلبه إلى نديمه لإسماعه ما يرغب من غريب القول :«وقال له :يا محمد ،أريد منك في هذه الساعة ....»[1]، وهو ما يحيل عليه الضمير "هو" في "وقال"، والضمير" أنت" في « أتريد أن أحدثك ...»[2] ،وفي أسلوب النداء في «فما رأيت يا أمير المؤمنين في مكان ولا زمان أحسن من هؤلاء الجواري ...»[3].

2- حضور ضمني: ونقصد به استحضاره من طرف المرسل أثناء التلفظ بالخطاب،باعتباره المتلقي المستهدف .

▪المقطع الثاني :

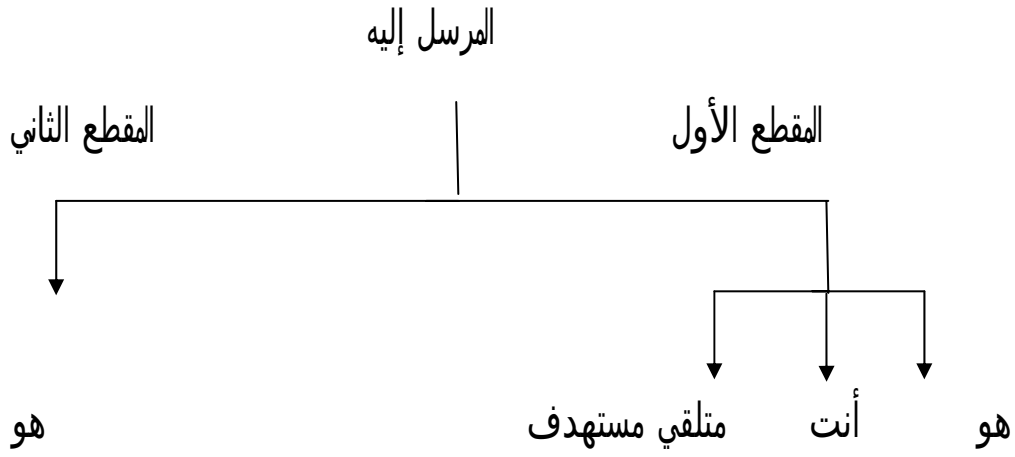
ويتبدى فيه حضور المرسل إليه فعلياً:من خلال دخوله في مجريات القصة كشخصية فاعلة ،إذ عمد إلى نديمه وطلب منه شراء الجواري الست من سيدهن ، بعد انتقال الرواية إلى "شهرزاد" وهو ما يحيل عليه الضمير "هو" في «فلما سمع المأمون هذه الحكاية ....»[4].

ويمكن أن نلخص هذا في هذه الخطاطة:

---

[1] - [2] ألف ليلة وليلة،ص572.

[3] - [4] المصدر نفسه،ص579




**ـ خطاطة تمثل حضور المرسل إليه داخل الخطاب ـ**

**ب- علاقة المتخاطبين بالخطاب :**

**ب-1-السياق المقامي :**

لقد اهتمت البنوية بتأطير العملية التواصلية من خلال حصرها في قطبين أساسيين هما المرسل والمرسل إليه،يتولى الأول بموجبها توصيل رسالة معينة إلى الثاني، اعتماداً على قناة ومرجع؛غير أن الدراسات التداولية نظرت إلى العملية التواصلية من زاوية أخرى، لما رأت في ذلك من عزل للأطراف بعضها عن بعض،وكأن الخطاب« هو حقيقة ملموسة تنتقل من مستوى لآخر دون أن يدخل طارئ على العملية»[1]؛ الأمر الذي دفعها إلى دراسة مجريات السياق وكل الظروف المحيطة بالخطاب،والبحث في علاقتها بإنتاجه من جهة، وبتأويله من جهة أخرى .

لذلك فإن البحث في علاقة المتخاطبين بالخطاب مرتبط أساساً بمعرفة مجريات السياق المقامي الذي يوفر جزئياً بعض العوامل أو المحددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية التي تعمل على تقريب التباعد الحاصل بينهما، إذ لا يمكن أن يقوم طرف بدوره بمعزل عن الطرف الآخر ومحيطه،فالمرسل يراعي دوماً عند إنتاجه لخطابه بعض العناصر التي تسهم في إنجاح العملية التبليغية أو الإقناعية بالصورة التي يريدها.

ولعلّ من أبرز هذه العناصر **المعرفة المشتركة** بين طرفي الخطاب،إذ تعد الأرضية التي يعتمد عليها في إنتاج الخطاب وتأويله؛فالمرسل ينطلق منها في عملية تشكيل الخطاب، والمرسل إليه يعول عليها في تأويله، والتي تشمل :

[1] بلخير عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،ص35.

**ب-1-1- وحدة اللغة :**

إذ يتقاطع المرسل مع المرسل إليه في عنصر اللغة، وهي اللغة العربية باعتبار أن الأول نديم الثاني؛ ليتحقق بذلك الركن الرابع من أركان البلاغ، وهي أداة النقل؛التي ينبغي أن تكون « ...معلومة للناقل وللمنقول إليه، وأن تكون مضبوطة وثابتة ،وأمينة ،كما يجب على الناقل أن " يعقد" المنقول (أي ينشئه) بالأداة المعلومة ،وعلى المنقول إليه أن "يحل" (أي يؤول) ما نقل إليه بنفس الأداة...»[1].

وهي الصفات التي توفرت في الخطاب – محل الدراسة – ونقصد بذلك وحدة اللغة وثباتها، وسلامة بنائها؛للإشارة فإن وحدة اللغة لا تقتصر على اللغة في حد ذاتها ،بل تتعداها إلى معرفة نظام اللغة الكلي في جميع مستوياته، بما في ذلك دلالاتها المباشرة والضمنية، وعلاقتها بالخلفية الثقافية المشتركة.

**ب-1-2-معرفة عامة بالعالم الخارجي :**

و تشمل كل ما يتعلق بالحيثيات والظروف المحيطة بطرفي الخطاب ويمكن حصرها فيما تعلق بمعرفة:

- معرفة **الزمان والمكان:**

ونقصد بها دراية الطرفين بالظروف الاجتماعية السائدة آنذاك، باعتبار أنهما متعاصران، بل متلازمان، وهو ما دفع بالمرسل إلى اختيار هذه القصة التي تتوافق مع الجو العام الذي كان يعيشه المرسل إليه من حياة نعيم وترف ،واهتمام بالجواري والنساء، وما أفضي في زاوية أخرى إلى إغناء المرسل عن تمطيط خطابه بالإطناب في الوصف والشرح، ومن ذلك عدم إسهابه في تمثل مجلس الرجل اليمني، والاكتفاء بالإشارة إلى مكانته بقوله:«...أنه كان في الأيام الماضية رجل من أرباب النعم ،وكان موطنه اليمن، ثم ارتحل إلى بغداد ...»[2]، فمجرد

[1] طه عبد الرحمان :في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،ص32.

[2] ألف ليلة وليلة،ص572.

الإشارة إلى مكانة السيد اليمني في هذا الإطار المكاني وهي العاصمة بغداد،كافية لنقل المرسل إليه إلى الجو العام الذي تجري فيه أحداث القصة ،دون الحاجة إلى الإغراق في وصف طبيعة حياة هذه الطبقة من المجتمع ،وما يمكن أن تضمه مجالسها من شراب وجوارٍ...إلخ، وهذه واحدة من مزايا المعرفة المشتركة التي تسهم في ربط العلائق التواصلية بين المتراسلين ،دون حاجة إلى التمطيط والإطناب .

- **الخلفية الثقافية:**

وتتضمن مجموع المعارف المشتركة بين الطرفين ،فيما يتعلق بنمط الحياة، وتفكير الناس،والتراكمات الذهنية والخلفيات العقائدية والإديولوجيا؛ باعتبار« أن كل أفراد مجموعة ثقافية يتقاسمون عددا من التجارب والمعارف والمواقف. و لكن خارج الإطار المشترك ينحو كل فرد نحو تطوير معرفة خاصة به»[1]؛ولأدل على ذلك انتقاء الراوي المقصود لخطابه الذي يتلاءم والميول الخاصة للمرسل إليه من جهة، واكتفائه ببعض الإشارات للتعبير عن بعض مظاهر الحياة في ذلك العصر من جهة أخرى، لعلمه بأن المرسل إليه على دراية بتفاصيلها.

والأمثلة كثيرة في هذا الجانب،ولكننا سنكتفي بما ذكرنا سعياً للإلمام ببعض العناصر الأخرى ،التي لا تقل مساهمتها أهمية في إعفاء المرسل من تمطيط الخطاب وإطالته من جهة، وفي توجيهه الوجهة التي تلاءم المعطيات السياقية و مقصديته من جهة أخرى.

ويمكن توضيح بنية الخطاب – محل الدراسة – وما يجمع عناصره من إرث معرفي من خلال المخطط التالي:

[1] بن عروس مفتاح: الاتساق والانسجام في القرآن، ص178.

**ب- 2-الإشاريات :**

وتعرف أيضاً بالمبهمات، إذ يمكن إبهامها في كونها لا تدل على الغائب عن الذاكرة ،أو النظر الحسي، وإنما يقصد بالإشارة « الإيماء إلى الحاضر بجارحة أو ما يقوم مقام الجارحة ،فيتعرف بذلك ...»[1].

ويتضح من هذا أن الإشاريات مثل أسماء الإشارة والضمائر من العلامات اللغوية التي لا يحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب ،لأنها خالية من أي معنى في ذاتها ،فبالرغم من ارتباطها بمرجع إلا أنه ليس بمرجع ثابت، وهذا لا ينفي أنها لا تعد عاملاً هاماً في تكوين بنية الخطاب، بل هي كذلك من خلال الدور الذي تقوم به في الجانب النحوي وكذا وظيفتها الدلالية،إذ يستثمر المرسل هذه الصفات في الخطاب الذي يجري بينه وبين المرسل إليه، عندما يمده في نسيج يتجاوز في كليته الجملة الواحدة، فتصبح فائدتها الإحالة على المعلومات القديمة التي تلفظ بها أحدهم،والتي أصبحت جزءاً من المعلومات المشتركة.

ولا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة،بل يتجاوز إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى ،وهي تلك المستقرة في بنية الخطاب العميقة لا السطحية ،باعتبار أنها أشكال فارغة –كما عبر عن ذلك "بنفنست E.Benveniste" تكتسب مضامينها لحظة التلفظ بالخطاب؛وتقسم الإشاريات إلى ثلاثة أصناف:شخصية،زمنية، مكانية،سنأتي للتفصيل فيها استناداً إلى الخطاب – محل الدراسة _ على النحو التالي :

1الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب،ص20

**ب-2-1-الإشاريات الشخصية :**

وهي التي تدل بشكل عام على المتكلم أو المخاطب أو الغائب، ويمكن أن نستجلي حضورها وأبعادها السياقية من خلال :

**1-ضمير المتكلم "أنا "**

المقطع الأول / المقطع الثاني:

*"أنا" ⟵ أنا⟵ المرسل (محمد البصري).

وقد ورد بصورة مقتضبة على مدار الخطاب؛ نظراً لرؤية المرسل السردية التي تبدت من الخارج، باعتبار أنه راوي القصة غير مشترك في أحداثها،والذي يظهر في الخطابات محدودة وهي :

ـ أتريد أن أحدثك بحديث سمعته بأذني أم بأمر عاينته ببصري.

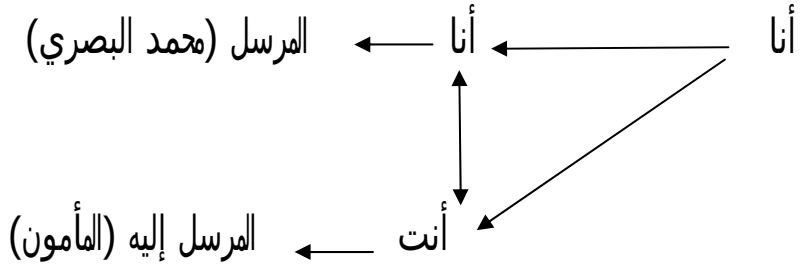
ـ فما رأيت يا أمير المؤمنين في مكان ولا زمان ...

*"أنا"⟵ أنت ⟵ المرسل إليه (الخليفة المأمون):

وقد تبدى هو الآخر في خطاب محدود وهو :

ـ أريد منك في هذه الساعة أن تحدثني بشيء ما سمعته قط.

والملاحظ أن الضمير "أنا" في- ما ذكرنا – يحيل على من يمتلك ناصية الكلام (المرسل)، الذي سرعان ما يتحول إلى الضمير "أنت" بمجرد أن يرجع الآخر(المأمون) هذه اللفظة إلى نفسه ،وهو ما يؤكد العلاقة التناظرية الانعكاسية بين المتراسلين،ويمكن أن نحدد مرجعية الضمير"أنا" بالخطاطة التالية :




*أنا ← هي ← الجارية:

و يتموضع في الكثير من الخطابات المنقولة على لسان هذه الشخصية (الجواري)، نورد بعضاً منها:

- فلوني مثل النهار ...
- الحمد لله الذي خلقني...
- فإن قمت، قمت خفيفة...

*"أنا ← هو ← السيد اليمني :

ولقد ورد عبر الخطاب التالي :

ـ سلبتني ست ملاح حسان فعلى الست الملاح سلامي .

**2- ضمير المخاطب " أنتم"**

ويتحدد حضور المخاطب في الضمير "كم" الذي يعبر عن "أنتم" الذي يتجسد على النحو التالي :

أنتم = أنت + لا _أنت { أنت + أنتم (الحضورية). / أنت + هو / أنت +هم

أما من خلال المدونة فلا نجد للضمير حضوراً ،ومرد ذلك انتفاء وجاهة الخطاب المباشرة،باعتبار أن الخطاب هو قصة مروية،تستهدف لغوياً المرسل إليه المقامي ونقصد بذلك الخليفة المأمون دون غيره ممن حضر المجلس،دون أن نلمس وجود مرسل إليه مستحضر حضوراً ذهنياً، والذي كان بالإمكان أن يشارك نده المقامي في تلقي الخطاب.

### 3 - ضمير المتكلم الجمع "نحن"

وقد أشار " بنفست " في هذا الباب إلى ضرورة التفريق بين "نحن" المعممة أو المفخمة التي يلجأ من خلالها المرسل إلى التحدث باسم الجماعة ،حتى وإن كان يعبر عن نفسه، وبين "نحن" التي تضم « "أنا" إلى " لا –أنا" مهما كان محتوى هذا الأخير ،هذه الصيغة الجديدة تشكل جمعاً جديداً من نمط خاص،تكون فيه عناصر المجموعة غير متجانسة »[1]، والتي تحدد على النحو التالي :

نحن = أنا + لا-أنا = أنا+أنت / أنا + هو / أنا+أنت+هو

أما من خلال المدونة فلا يمكن لنا أن نقف على ملمح لهذا الضمير بسبب أن الخطاب هو قصة مسندة إلى الشخصيات الفاعلة في بنيتها السردية داخلياً ،أما خارجياً فقد تولي روايتها الراوي للقصة الإطار وهي "شهرزاد"، التي توضعت داخل الخطاب من خلال الضمير "أنا " في عبارة "بلغني ".

[1] بلخير عمر : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص72.

**4- ضمير الغائب:**

أو ما يعرف بالشخصة الثالثة أو "لاشخص"، والذي أكد " أوركوني" بأنه يختلف عن غيره من الضمائر،إذ «يكمن في أن (هو) يحتاج إلى محتوى مرجعي يحدد التحديدات المصاحبة للنص التي قد تستغني عنها "أنت" و"أنا " »[1].

ويتحدد حضوره أما من خلال الضمائر "هو" ، "هي" ،"هم"،وهي التي سنعمل على تحديدها من خلال انتقاء بعض الشواهد ،ومحاولة ربطها بسياقها من أجل تحديد مرجعياتها .

- ضمير الغائب هي / هن : والذي تحدد مرجعيته :

هي/ هن ⟵ الجارية

وقد ورد بصورة مكثفة على مدار الخطاب ،باعتبار أن مرجعيته تعود الجارية التي تعد طرفاً رئيساً في عملية السرد ،ومن أمثلة ذلك :

-فأخذت العود ورجعت عليه ...

- قامت أولاهن وهي البيضاء...

-وأشارت بيدها إلى ...

-ثم قالت ...

- ضمير الغائب "هو " :

* هو ⟵ السيد اليمني

قد ورد في الخطابات التالية :

- أحضر هؤلاء الجواري...

[1] بلخير عمر: المرجع السابق ،ص 71.

- فطرب مولاهن ...

- ملأ القدح وأخذه ...

- فقال لها سيدها...

**ب-2-2-الإشاريات الزمانية :**

إن الحديث عن مفهوم الزمن يندرج ضمن حديثنا عن علاقة المتكلم بالسياق،والتعبير عن الزمن في نظر "أوركوني C.K.Orecchioni" يعني « حصر حدث ما في محور المدة بالنسبة إلى وقت يعتمد مرجعاً...»[1]؛ لذلك فإن تحديد الأزمنة الأخرى (الماضي، المستقبل ) مرتبط أساساً بتحديد علاقتها بالحاضر الذي يعد محور الزمن اللغوي أو ما يعرف بزمن الخطاب .

للإشارة فإن الظروف ليست كلها مبهمات ،لأن منها ما لا يمت بأية صلة إلى الزمن الذي يتحدث فيه الشخص؛ لذلك باتت عملية تحديد مرجعية هذه المبهمات مقترنة بزمن الخطاب، ومرجعية الظروف غير الإبهامية مرتبطة بالسياق النص ،وانطلاقاً مما ذكرنا سنحاول استنباط بعض العناصر الزمنية من الخطاب، مع الاحتفاظ بلحظة التلفظ بالخطاب مرجعاً لتحديد ذلك :

[1] بلخير عمر ،المرجع السابق ،ص 80.

| | الظروف المبهمة | الظروف غير المبهمة |
|---|---|---|
| التزامنية | الساعة | / |
| القبلية | الأيام الماضية | يوماً من الأيام |
| البعدية | / | / |
| الحيادية | النهار - الليل | / |

**- جدول يمثل بعض الإشاريات الزمانية -**

تجدر الإشارة إلى أن تحديد زمن الخطاب مرتبط أيضاً بزمن الأفعال، التي غلب عليها الزمن الماضي، باعتبار أن الخطاب هو قصة مروية، وإن كان السارد معاصراً لأحداثها، دون أن نجد داعٍ للتفصيل في زمن السرد [1].

[1] المقصود بزمن السرد : التقنية التي يعتمدها السارد لسرد الأحداث ،والتي لا تخضع لأي تتابع منطقي ،نظراً للإمكانيات التي تتيح التلاعب بالنظام الزمني (الاستباق –الاستذكار –الاستراحة ...إلخ ) على عكس زمن القصة الذي يخضع للتتابع المنطقي،باستثناء بعض القصص العجيبة القصيرة، للاستزادة ينظر: لحمداني حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،ص73،وما بعدها .

**ب-2-3-الإشاريات المكانية :**

إن ما سبق قوله عن زمن الخطاب، والذي يتأسس انطلاقاً من اللحظة التي يتكلم فيها الشخص؛ ينطبق على المكان أثناء التعبير الخطابي، «إذ أن دلالته المرجعية لا تتجلى إلا من خلال تلك النقطة في الفضاء الذي يتحقق فيه الكلام »[1]؛فوضعية المتكلم أثناء الكلام هي التي تدل عن البعد أو القرب أو الأمام أو الوراء،أو الفوق أو التحت.

وبما أن الخطاب – محل الدراسة – هو قصة، فإن الحديث عن الزمن فيه،حديث موازٍ لما يعرف عند "جوليا كريستيفا J.Kristeva" بفضاء الحكي المعادل للمكان، الذي رفضت من خلاله فكرة عزل هذا الفضاء عن دلالته الحضارية،«فهو إذ يتشكل من خلال العالم القصصي، يحمل معه جميع الدلالات الملازمة له،والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسود ثقافة معينة...وهو ما تسميه "اديولوجيم"...»[2].

لذلك فإن حديثنا عن مرجعية المبهمات المكانية أمر يكاد أن يكون مستحيلاً،لانتفاء وجود علاقة بينها وبين وضعية المتكلم في الخطاب ،لذلك سنلجأ إلى تبين الإطار المكاني للخطاب ،اعتماداً على ما يوفره هذا الخطاب من مؤشرات تحدد ذلك مثل :

- التصريح المباشر بالمكان:في قول راوي للقصة الإطار:« جلس في يوم من الأيام في قصره، وأحضر رؤساء دولته ...»[3].

-استجلاء محددات هذا الإطار، اعتماداً على معارف المتلقي المسبقة ،التي ترتكز على الإرث المعرفي المشترك الذي أشرنا إليه مسبقاً؛ وهو ما يدفعنا للتأكيد على أن تحديد هذا الإطار

[1] بلخير عمر، المرجع السابق ،ص88.

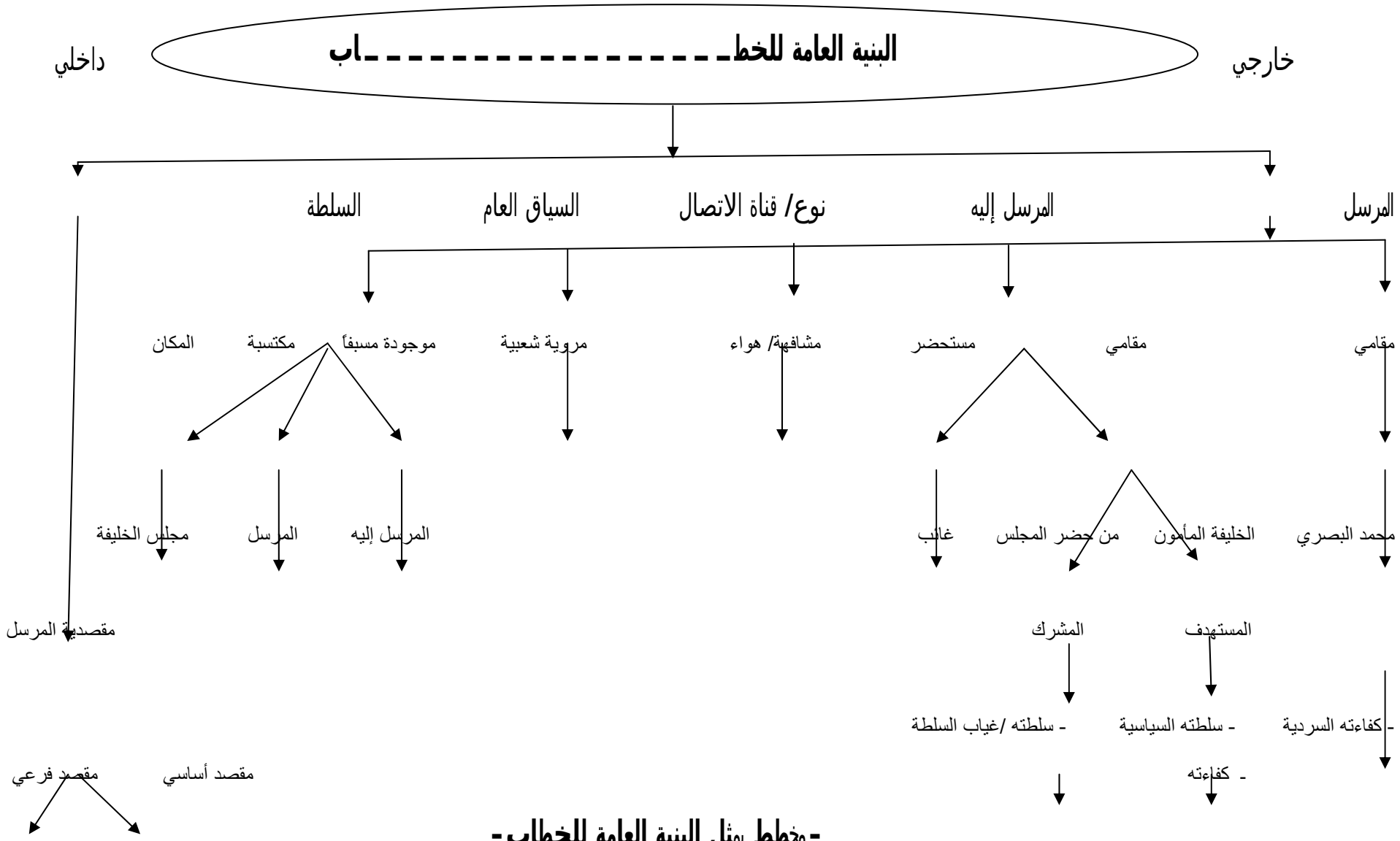
[2] لحمداني حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص54.

[3] ألف ليلة وليلة ،ص572.

يقودنا لاعتماد مجلس الخليفة إطاراً مكانياً تفاعلت فيه عناصر الخطاب الأخرى؛ فيه(المجلس) « تتحقق الإستراتيجية الحكائية المشتركة بين الراوي والمروي له،فالمجلس مقام تواصلي...»[1].

ويمكن أن نلخص البنية العامة للخطاب في الخطاطة التالية :

[1] يقطين سعيد: قال الراوي البنية الحكائية في السيرة الشعبية،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص300.




**-مخطط يمثل البنية العامة للخطاب-**

## الفصل الثالث:البعد الحجاجي في حكاية اليمني و الجواري الست

1-مستوى الإثارة والتأثير:

1-1-الفعل الانجازي في الحكاية.

1-2- المستوى البلاغي ودوره الحجاجي.

2-بنية الحجاج وروابطها:

2-1 -أصناف الحجج.

2-2 -الروابط الحجاجية ودورها.

لقد تمت الإشارة فيما سبق إلى بعض المفاهيم والنظريات التي تؤطر العملية الحجاجية من باب الإلمام بالقواعد العامة لهذا التوجه، ومن ثم خلق أرضية صلبة لعملنا؛ فيما تناولنا خلال الفصل الثاني بعضاً من ملامح هذه الأطر،ونقصد بذلك تحديدنا لبنية العملية الخطابية ومجمل العلاقات التي تربط عناصرها المختلفة ، ومدى مساهمة هذه العناصر في توجيه الخطاب من جهة، وفي تلقيه من جهة أخرى؛بعد أن انتهينا من التأكيد على أن الحجاج حاضر في القصص الشعبي شأنه في ذلك شأن كل الأنماط التواصلية الأخرى،اعتماداً على فكرة مفادها أن القصة الشعبية هي خطاب يهدف إلى الفعل في المتلقي، وإقناعه بإحداث تغيير في سلوكه ومواقفه،بتوظيف العديد من الآليات والأساليب التي سنحاول الكشف عنها من خلال هذا الفصل.

هذه الركائز المشار إليها -خاصة في الفصل الأول -سنحاول الكشف عن بعضها في الخطاب المدروس، وذلك بالبحث عن مختلف الآليات التي تسهم في خلق العملية الحجاجية ضمن السياق الاستعمالي للغة، الذي أشرنا إليه في الفصل الثاني؛ إذ سنعمل على حصر هذه الآليات في مستويين اثنين هما:

**1- مستوى الإثارة والتأثير**: ويتضمن هو الآخر مستويين:

ـ المستوى الأول: ويشمل رصد الأفعال اللغوية من منطلق أننا وبمجرد إصدارنا لهذه الأفعال نكون قد أنجزنا وضعيات مختلفة، وبالتالي نكون –حسب أوركوني- قد عملنا على «تغيير وضعية رصد الأفعال اللغوية من منطلق أننا وبمجرد إصدارنا لهذه الأفعال المتلقي وتغيير منظومة معتقداته و/أو وضعية سلوكه...»[1].

[1] نقلا عن بلخير عمر :تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،ص155،( C.K.ORECCHIONI :Enonciation de la subjectivité dans le langage, p185.)

ـ المستوى الثاني: وهو المستوى البلاغي ،وسنركز فيه على استجلاء بعض الصور البيانية وربطها بأبعادها الحجاجية ،من تشبيه واستعارة وبديع وغيرها.

**2-المستوى الاستدلالي:** وسنتناول من خلاله الكشف عن البنى الحجاجية شبه المنطقية والأخرى الواقعية الجاهزة؛ننتقل فيما بعد إلى سبر أغوار مختلف الروابط والعلائق التي تجمع بينها، في محاولة لتحديد وجاهتها ودلالتها الحجاجية.

## أولا: مستوى الإثارة والتأثير :

لقد فند بعض اللسانيين الصبغة الحجاجية للقصة – باستثناء القصة التعليمية- وكذا القصة الشعبية بصفة خاصة معللين ذلك بتأثيرها الذي يستهدف العواطف والميول بدل العقول؛ وهو في حقيقة الأمر توجه لا يتنافى مع مساعينا الرامية إلى التأكيد على حجاجية القصة الشعبية لسبب رئيس،هو أن الحجاج كما عرفه "بيرلمان Ch.PerIman" وزميله "تيتكاه O.tyteca" هو« جملة من الأساليب التي توظف في الخطاب لاستثارة المتلقي وحمله على الاقتناع (وتصديق) ما يعرض عليه من أطروحات،أو الزيادة في حجم هذا التصديق»[1]؛ فإذا افترضنا أن القصة الشعبية تهدف في الأساس إلى التأثير في النفس من خلال الإمتاع والإغراء بدل الاستدلال العقلي وسلطة المنطق؛فإن الاستمالة العاطفية وتحريك الميول ستؤدي بالضرورة إلى إحداث تغيير في سلوك المتلقي، بدفعه إلى الإذعان لروايتها والإغراق في نسج عالم تخيلي مستمد من ثناياها، يحبب إليه بعضاً مما كان ميالاً إليه ،وينفره مما كان يحيد عنه، لأن القصة الشعبية هي في النهاية« تعبير عن رأي الشعب وآماله تجاه حوادث عصره...»[2]؛ وهي دلائل كافية على تأثير هذا الجنس الأدبي وإثارته للكثير من العواطف والميولات؛ وهو الأمر الذي دفعنا إلى استهلال هذا الجزء من البحث،بالكشف عن قرائن الإثارة والتأثير ،رغبة في رفع اللثام عن صورة أخرى للحجاج غير تلك الصورة النمطية التي ألحقت به منذ زمن بعيد، و نقصد بذلك الحجاج الاستدلالي البرهاني.

وعليه فإن جوهر عملنا في هذا الاتجاه سيهدف إلى الكشف عن :

---

[1] Chaim perelman et Lucie Olbrech –tyteca : Traité de l’argumentation ,p59.

[2] إبراهيم نبيلة :أشكال التعبير في الأدب الشعبي ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،ط3 ،د/ت ،ص125.

ـ الأفعال اللغوية وبعدها الحجاجي.

ـ المستوى البلاغي ومقصديته الحجاجية.

## 1ـ الفعل الإنجازي لحكاية اليمني والجواري الست:

مما عرف عن اللغة- من المنظور التداولي- أنها لا تنطوي على غاية الوصف فحسب، بل هي وسيلة تجعل المرسل إليه يلتزم سلوكاً معيناً تجاه المرسل وفق وظائف متعددة تتراوح بين تحديد العلاقات بين المتخاطبين، إلى تغيير المعتقدات من منطلق السياق ومجمل المعطيات التي ترتبط بالأعراف الاجتماعية وأعراف الكلام .

هذا وتعد القصة الشعبية وعلى غرار باقي الخطابات خطاباً يمكن أن تتجلى فيه قدرة وكفاءة المتكلم على توظيف هذه الأعراف ـ التي هي في حقيقتها عناصر مشتركة تؤطر العلاقة بينهما ـ بغية الوصول إلى الهدف المنشود، وهو ما عبر عنه "دكرو" بقوله:«فإن الأفعال الإنجازية مؤسسة على مواضعات من النوع القضائي،حيث يترتب على المتكلم والمستمع حقوق وواجبات، هما مطالبان بالالتزام بها.»[1].

لذلك سنعمد من خلال هذا العرض إلى استقراء بعض الأفعال اللغوية،وبيان دورها في بلورة المقصدية الخطابية، ولكن – وقبل ذلك – حري بنا أن نشير إلى أن بعض الأفعال اللغوية التي سنعمل على استقرائها، هي أفعال صدرت بالأساس عن شخصيات القصة باستثناء البعض الآخر،و التي صدرت عن راوي القصة الذي اعتمدناها مرسلاً تجاه المروي له

[1] نقلا عن غماري نصيرة: (نظرية أفعال الكلام عند أوستين)، مجلة اللغة والأدب،ص 81، ( O.Ducrot :Analyses pragmatique in communication, p30.)

الذي اعتمدناها مرسلاً إليه؛ وعليه فإن كل فعل لغوي صادر عن شخصيات القصة،سنعتمده إنجازاً لغوياً يحققه المرسل لسببين هما :

الأول: أن الراوي ( المرسل) يتمتع بكفاءة سردية؛ تجلت من خلال انتقائه لهذه القصة كخطاب دون سواها ،اعتماداً على معرفته المسبقة بإنجازيها وتأثيرها على المروي له،إذا ما اعتمدنا فكرة أن القصة هي بالفعل قصة رويت مسبقاً على مسامع الراوي( محمد البصري)، فأعاد هو روايتها مرة أخرى، بدليل أن هذا الأخير لم يصرح بمصدر خطابه إذ استهل روايته بقوله:« اعلم يا أمير المؤمنين ،أنه كان في أحد الأيام الماضية رجل من أرباب النعم...»[1]،مع احتمال تدخله المباشر في تحوير مجرياتها ،بما يخدم مقاصده الخطابية ،وهو أمر شائع في كل الآداب الشفوية؛إذ لا يمكن الجزم بقطيعة الراوي مع مجريات القصة،لأنه في حقيقة الأمر «ليس مجرد ناقل (سلبي) ،بل (هو متدخل) إلى حدٍ بعيد في بناء شخصيات قصصه الواقعية، فيعدلها أحياناً كثيرة وفق مراده »[2].

أما إذا اعتمدنا مبدأ أن جزء من القصة المروية من تأليف الراوي ،من منطلق ما يتمتع به هذا الطرف من كفاءة سردية اكتسبها من مجالسة الأمراء والخلفاء وأرباب النعم؛ وهو ما يبرره اختيار الخليفة المأمون لهذا النديم راوية دون غيره، بالرغم من أن مجلسه ضم ندماء آخرين «...كذلك أحضر الشعراء والندماء، و كان من جملة ندمائه،نديم يسمى محمد البصري...»[3] ؛ في هذه الحالة الحديث عن الفعل الإنجازي للشخصيات، يلحق تلقائياً بكفاءة المرسل الإنجازية دون داعٍ للتدليل عن ذلك.

[1] ألف ليلة وليلة ،ص 572.

[2]-[3] حرب طلال: أولية النص، ص 48.

الثاني: أن علامات تلقي الخطاب التي تعد مؤشراً على نجاح الفعل اللغوي بصفة خاصة ،وكل الأساليب الحجاجية بصفة عامة؛ تبدت بصورة جلية على المروي له (المرسل إليه) ،الذي أوعز إلى المرسل مهمة شراء الجواري بعد ما سمع من كلامهن وحججهن ،وإن كان رفض السيد اليمني بيع الجواري في البداية ،ثم استرجاعهن يعد أيضاً مؤشراً على نجاح الفعل اللغوي للشخصيات.

وعلى هذا الأساس سننطلق في استقراء بعض الأفعال اللغوية ،ولكن قبل ذلك حري بنا أن نشير إلى أن مستويات فعل إنتاج القصة اللغوي ،والتي جاءت على النحو التالي:

**1ـ الفعل الكلامي ( التلفظي):**

ونقصد به إصدار أصوات محددة في جمل مفيدة ذات بناء لغوي سليم ودلالة مخصوصة،ويشمل هذا المستوى جميع مستويات اللغة المعروفة( الصوتي، الإفرادي،التركيبي، الدلالي)؛ فالقصة ككل هي مجموعة فونيمات تنتمي إلى اللغة العربية ،تترابط فيما بينها مؤلفة مفردات، هذه الأخيرة تشكل جملاً متواضع عليها نحوياً وصرفياً،تقوم هي الأخرى بإنشاء دلالة تفهم من سياق الكلام الذي يحدد القصد الذي يرمي المرسل إلى تحقيقه من وراء روايته لقصة.

هذا المستوى من الفعل اللغوي لا يمكن أن ينقل صاحبه إلى المستوى الثاني ونقصد به الفعل التكليمي (فعل الانجاز) إلاّ إذا توفر على جملة شروط أهمها **شرط الصدق**، ويكون على مستوى الدلالة،حيث يتمتع محمد البصري بالصدق الايجابي في نقله للخبر (القصة) والذي يدلل عليه من خلال:

**1-** وجود داع لفعل الإنجاز بصفة خاصة ،وللكلام بصفة عامة ،كأن يكون «جلب اعتقاد أو دفع انتقاد...»[1]، أو لغاية أخرى؛كما هو الحال بالنسبة لحكاية اليمني والجواري الست، بحيث نجد أن الداعي لرواية القصة هو بالأساس طلب المرسل إليه الذي يدور حول تحصيل المتعة التي تعدت فيما بعد إلى تحصيل المنفعة؛ إذ أن المرسل (محمد البصري)عمد إلى رواية القصة نزولاً عند طلب الخليفة المأمون بقوله:« يا محمد، أريد منك هذه الساعة أن تحدثني بشيء ما سمعته قط...»[2]؛ ومن هنا يتحقق الفعل التكلمي كرد فعل اتجاه حاجة خارجية، وهي طلب المتعة التي تتحقق بالنسبة للمرسل بالغريب غير المألوف.

**2-** مناسبة القصة للسياق المطلوب،إذ اختار المرسل ما يناسب من الأقوال وحجج تتلاءم مع الإطار الاجتماعي الذي تدور فيه الرواية وميولات المرسل إليه الناتجة عن هذه البيئة، فللراوي كما هو معروف يد في تحوير مجريات الأحداث بما يناسب جو روايتها و مقصدية التأثير في المروي لهم .

و على هذا الأساس فإن قاعدة الصدق في خطاب محمد البصري قد تحققت في نقله لمجريات القصة بلغة سليمة موافقة للسياق، ومشتملة على مقاصد وغايات خطابية مختلفة.

## 2- الفعل التكليمي( الفعل الغرضي) :

وهو الفعل التواصلي الذي يتمخض عن مختلف الصيغ التعبيرية التي تؤول ضمن السياق،وهو الذي عده "أوستين" الفعل الكلامي الحقيقي ؛ وعلى هذا الأساس فإننا سنعمل على استقراء بعض الأفعال اللغوية دون أن نرى ضرورة للتفريق بين الفعل الإنشائي والفعل التقريري لاعتبار واحد، وهو أنهما يحملان نفس المضمون وهو انجاز فعل ما؛ بالإضافة إلى أن

[1] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي ،ص 213.
[2] ألف ليلة وليلة ،ص 572.

"أوستين" قد تخلى في مرحلة لاحقة من نظريته عن فكرة التفريق بين هذين المصطلحين، بل استعملهما دون تمييز رغم أن هنالك من عمد إلى التفريق بينهما[1]؛ولكننا قد نلجأ أحيانا إلى الفريق بين الفعل التكليمي المباشر والفعل التكليمي غير المباشر، من باب التأكيد على فاعلية السياق في فهم بنية هذه الأفعال ،ومن أبرز ما يتضمنه الخطاب محل الدراسة من أفعال نذكر:

**1-الفعل التكليمي الإجمالي:**

والمتمثل أساساً في القصة ككل، التي تعد وسيلة للتواصل بين أفراد بيئة اجتماعية تحكمها ثقافة مشتركة،تستجيب في الغالب الأعم لحاجة هذه الجماعة للمتعة من جهة،وللإفادة من جهة أخرى،وعلى هذا الأساس فهي تحمل وظائف اجتماعية متعددة، مما يؤهلها لأن تعد ككل فعلاً تكليمياً إجمالياً « ينقل أذهان ومشاعر المتلقين من عالم الواقع إلى عالم الخيال ،ثم ردهم في النهاية إلى عالم الواقع...»[2].

**2-الفعل التكليمي الجزئي:** ويتضمن هذا المستوى مجمل الأفعال التكليمية الصادرة عن المرسل والمرسل إليه ،باعتبار العلاقة التناظرية التي جمعتهما، والأخرى الصادرة عن شخصيات القصة بوصفها عناصر سردية وظفت لهذا الغرض، ومن أهمها:

[1] مثل "فرانسوا فلاهو " الذي فرق بينهما اعتماداً على البنية اللغوية، للاستزادة ينظر بلخير عمر :تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،ص 163-164.

[2] بورايو عبد الحميد:(البعد التداولي لأشكال التعبير الشعبي )،مجلة اللغة والأدب،ص 110.

| صفحة | الفعل التكليمي | نوعه | مقصديته الحجاجية |
|---|---|---|---|
| 572 | يا محمد... | مباشر(النداء) فعل سلوكي | يهدف إلى إبداء موقف ايجابي تجاه المرسل إليه (المؤقت) لإغرائه بفعل الرواية، من باب رفع مستوى الثقة التي تجمعهما،بدليل أنه استخدمه للاسم الأول كمؤشر على تنازل المرسل الواضح عن سلطته السياسية،وتعزيز البعد التضامني في خطابه،تحقيقاً لتواصل أكثر ايجابية. |
| 572 | أريد منك هذه الساعة أن تحدثني... | غير مباشر إلزامي | توجيه فعل الرواية إلى المرسل إليه، وفق الشروط التي حددها المرسل. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 572 | اعلم يا أمير المؤمنين... | مباشر(أمر) إلزامي | هو في فعل إلزامي ظاهرياً، ولكنه في جوهره لا يتضمن أي بعد توجيهي بقدر ما يهدف المرسل من خلاله إلى لفت انتباه المرسل إليه، و بالتالي محاولة امتلاك سلطة خطابية كتعويض عن السلطة السياسية والاجتماعية غير المتوفرة.باعتبار أن لفظة "اعلم" توحي بـ« العلم والتبصر بمقتضى ما فيه علم اللافظ وجهل لدى المتقبل...»[1]. |
| 572 | أتريد أن أحدثك ... | مباشر(الاستفهام) إلزامي | يهدف المرسل بالسؤال هنا إلى التأكيد على كفاءته السردية التي تكشف عنها ثراء جعبته بالعديد من الخيارات ،التي تراوحت بين ما سمعه وما عاينه ببصره، لغاية التأثير في المرسل برفع مستوى الثقة التي تؤطر علاقتهما،والموجودة مسبقاً ؛وبالتالي اكتساب درج أعلى، وهي تلك المتمخضة عن هذا الثراء المعرفي. |

[1] الشبعان علي: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل- بحث في الأشكال والاستراتيجيات-،دار الكتاب الجديد المتحدة،لبنان،ط1، مارس2010، ص 261.

| | | | |
|---|---|---|---|
| 572 | وكن حسان الوجوه، كاملات الأدب، عارفات بصناعة الغناء... | غير مباشر<br>فعل إثباتي | يهدف إلى إقناع المرسل إليه بجملة من الحقائق وهي:<br>-جمال الجواري وحسنهن<br>-كفاءتهن العلمية<br>-إلمامهن بفنون الغناء<br>هذا الإقناع جاء كمرحلة تمهيدية لمراحل أخرى سيعمد المرسل إلى التفصيل فيها،بتوظيف العديد من الوسائل اللغوية،لذلك فقد مهد لهذا بهذه المقدمة الحجاجية كآلية لتشويق المرسل إليه ،ودفعه إلى ترقب المزيد. |
| 573 | يا شمس النهار... | مباشر( النداء)<br>سلوكي | إبداء المرسل -مثلاً في شخصية الرجل اليمني-لموقفه المبدئي من الجارية الصفراء لغرض تحفيزها على فعل الرواية، وهو فعل تكليمي صدر عن هذه الشخصية على مدار الحكاية، في كل مرة يدعو فيها إحدى الجواري لتولي العملية التخاطبية (يا وجه الهلال،يا نور المقباس،يا حور الجنان، يا سوداء العين...)، بغية استثارتها،ومنها تشويق المرسل إليه (المروي له) وتحفيزه على استقبال ما تبقى من لحكاية. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 572 | اسمعينا صوتك الحسن | مباشر( أمر) فعل إلزامي | توجيه المنفعة الإنجازية للشخصية ،وهو فعل إلزامي تعاقب على مدار الحكاية أيضاً، قصد تحديد الأدوار،ومنه توجيه المرسل إليه إلى الهدف المرجو ،وهو استمالته،ودفعه للاقتناع بما تقدمه الشخصية من آراء وشواهد. |
| .... | فطرب مولاهن... | غير مباشر فعل إثباتي | يهدف إلى نقل المرسل إليه إلى جو شخصيات القصة،من خلال بيان موقف المتلقي الضمني (الرجل اليمني) مما سمعه من كلام الجواري؛ فالإثبات هنا يسعى المرسل من خلاله إلى دفع المرسل إليه إلى سلوك مماثل لسلوك الشخصية،وبالتالي تحقيق الإثارة الكامنة في المتعة والإعجاب.<br>تجدر الإشارة إلى أن المرسل عمد إلى تكرار هذا الفعل التكليمي غير المباشر، بعد تدخل كل جارية ،وكأنه يحاول إقحام المرسل إليه في مجريات القصة،ودفعه للتفاعل معها ايجابياً. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 579 | فما رأيت يا أمير المؤمنين... | فعل مباشر<br>فعل سلوكي | إبداء المرسل لموقفه الشخصي تجاه الشخصية الرئيسية (الجواري الست) من باب إغراء المرسل إليه بمساندته الرأي، وتبنيه نفس الموقف،وبالتالي تحقيق الغاية من وراء خطابه،وهي الإمتاع،والإقناع في نفس الوقت . |

الملاحظ من خلال هذا العرض لأهم الأفعال التكليمية (المباشرة، وغير المباشرة) والتي اعتمد في استقصائها بالأساس على ثنائية (محمد البصري / الخليفة المأمون) ،أننا اكتفينا بتلك الأفعال الصادرة عن المرسل مباشرة أو عن إحدى الشخصيات التي أدارت العملية السردي،دون أن نتطرق إلى باقي الأفعال التكليمية التي تضمنتها بعض الشواهد التي اعتمدت حجة، بسبب أنه ومن شروط الفعل اللغوي –كما هو معروف- شرط الوجاهة والقصدية، وهو الشرط الذي تحقق في خطاب "محمد البصري" سواء كان هذا التوجيه مباشراً (توليه شخصياً مهمة إصدار الأفعال التكليمية) أو غير مباشر،كما فعل في نقله لهذه الأفعال عن شخصيات القصة،بسبب طبيعة الخطاب (الخطاب الشعبي ) حيث تتداخل مستويات السرد؛ وعلى هذا الأساس أمكن لنا تحديد جملة من الأفعال التكليمية ، تراوحت بين:

ـ **أفعال تكليمية مباشرة** : وصدرت بالأساس عن المرسل إليه ،الذي يتمتع بسلطة سياسية خولت له الأمر والطلب،باستثناء أسلوب الأمر الصادر عن المرسل في قوله:« اعلم يا أمير المؤمنين...»[1]؛ الذي لا يمكن أدراجه كخطاب توجيهي.

[1] ألف ليلة ليلة،ص 572.

ـ **أفعال تكليمية غير مباشرة:**وهي تلك الصادرة عن المرسل ،بفعل غياب سلطة مسبقة لحظة التلفظ بالخطاب، والتي حاول امتلاكها أثناءه من خلال توجيه الخطاب إلى المرسل إليه، بتوظيف الأساليب التوجيهية المباشرة ،كقوله:« اعلم يا أمير المؤمنين،أنه كان في أحد الأيام الماضية...»[1]؛ أو باستخدام بعض الأفعال السلوكية والإثباتية،لدفعه للاستجابة لخطابه، وبالتالي إثارته والتأثير فيه.

تجدر الإشارة إلى أن العلاقة التناظرية التي تحكم علاقة المرسل والمرسل إليه، هي التي أفضت إلى تبادل الأفعال اللغوية،وإن كان القصد من الأفعال اللغوية الصادرة عن المرسل إليه(الخليفة المأمون) ليس الإقناع والتأثير، بقدر ما هي مقصدية تتوخي بالأساس إغراء ودفع المرسل(محمد البصري) إلى الاسترسال في روايته للقصة،وتعزيز الثقة التي تؤطر العلاقة التي تجمعهما،على عكس المرسل الذي يسعى من خلال أفعاله اللغوية إلى التأثير والإثارة كهدف أساس.

## 3-الفعل التكلمي (الفعل التأثيري):

أو ما يعرف بالأثر الحجاجي، الذي يتمظهر من خلال «تحريك انفعال المخاطَب أو استمالته أو الدفع به نحو قبول فكرة معينة(الإقناع) »[2]، وهو المستوى الذي سنحاول من خلاله استجلاء بعض من علامات تلقي الخطاب التي ظهرت على المرسل إليه؛ وإن كان هذا المستوى من الفعل اللغوي لا يمكن التحقق منه في كل الخطابات التواصلية بما في ذلك الحكاية الشعبية، ولكنه متحقق في هذا الخطاب، بسبب أن هذا الأخير هو حكاية تروى من طرف راوٍ آخر اصطلحنا على تسميته بـ" راوي القصة الإطار" وهي "شهرزاد" ،والتي صورت في ثنايا السرد استجابة المرسل إليه لمجريات الأحداث وردود فعله التي تبدت على مستويين:

[1] ألف ليلة وليلة،ص572.

[2] عشير عبد السلام: عندما نتواصل نغير،ص73.

**1-المستوى الخارجي**: ونقصد به رد فعل المرسل إليه (الخليفة المأمون) تجاه القصة المروية على مسمعه والذي تبدى من خلال:

1-1 - تحركه(سلوكياً) اتجاهها تحركاً ايجابياً من خلال إيعازه للمرسل شراء الجوار الست من سيدهن ،ودفعه مبلغ عشرة آلاف دينار مقابل كل جارية .

1-2- طول المدة التي قضاها المرسل إليه مع الجواري ، والتي عبر عنها :« وقد استمر على ذلك مدة من الزمن...»[1]، دلالة على مطابقة قول المرسل للواقع ،وبالتالي تأكد صدقه ،الذي عكسه حسن معاشرة الجواري للخليفة المأمون.

**2-المستوى الداخلي:** والمراد به رد فعل الشخصية المستهدفة( السيد اليمني) داخل القصة من طرف الشخصيات الرئيسية (الجواري)، والذي بدت عليه علامات الإعجاب والانبهار من جمالهن وأدبهن ،والذي تجلت هي الأخرى على مستويين:

2-1-مستوى السلوك: إذ تحرك السيد اليمني سلوكياً حيال ما سمعه من خلال:

- الاعتناء بالجواري عناية خاصة من خلال ما أغدق عليهن من عطايا، إذ «ألبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية»[2].

- الاعتراض على بيعهن،هذا الاعتراض الذي ظهر هو الآخر من خلال:

- ما شاع عنه بين الناس من حرص على الاحتفاظ بهن ملك يمينه:« قد بلغني أن سيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مفارقتهن»[3]،هذا الاعتراض الذي اسقط فيما بعد أمام طلب الخليفة المأمون،نظراً للسلطة السياسية التي يتمتع بها هذا الأخير.

---

[1] ألف ليلة وليلة،ص 580.

[2] المصدر نفسه،ص 579.

[3] المصدرنفسه،ص 580.

▪ عودة الرجل اليمني، ومطالبته استرجاع جواريه بعد مدة، وفرحته الشديد بذلك أكثر من فرحته بما أرسل إليه من مال معهن:«فوصلن إليه وفرح بهن غاية الفرح أكثر مما أتى إليه من المال... »[1].

2-2-مستوى اللغة: ونعني به تفاعل شخصية الرجل اليمني الايجابي لغوياً، من خلال إقراره الصريح بتأثير هؤلاء الجواري فيه، من خلال استشهاده بهذه الأبيات:

سلبتني ست ملاح حســ ـ ـ ـان *** فعلى الستة الملاح سلامـ ـي
هن سمعي وناظري وحيـ ـ ـ ـاتي *** وشرابي ونزهتي وطعامـ ـ ـي
لست أسلو من حسنهن وصـ ـالاَ *** ذاهب بعدهن طيب منامـ ـي

خلاصة القول بعد هذا العرض لأهم الأفعال اللغوية، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ؛إن القصة الشعبية العربية -من حيث مقاصدها الخطابية- تهدف بالأساس إلى جعل الآخرين (المرسل إليه بكل أصنافه) يشاركون المرسل رأيه، بل إنهم يتعاطفون معه من خلال مقدرة هذا الأخير على استمالتهم وإثارتهم والتأثير فيهم، وهو تفاعل لا يقوم دوماً على مبدأ تبادل الوظائف،وإن كانت العلاقة بين طرفي الخطاب في شق معين (بداية القصة ونهايتها) هي علاقة تناظرية، يتحول بموجبها المرسل إلى مرسل إليه، والمرسل إليه إلى مرسل ،ولكن مع هذا يظل الراوي هو المرسل على مدار القصة،والمروي له مرسلاً إليه، وافتراض التواصل يعني دائما افتراض نجاح الخطاب .

ولما كان الخطاب – محل الدراسة- خطاباً مكتوباً رغم أن الأصل فيه طابعه شفهي، فإن البحث عن علامات نجاح الخطاب لا يمكن تأكيدها إلاّ في ضوء ما صرح به راوي القصة الإطار( شهرزاد) هو ما سبق لنا الإشارة إليه؛ في الوقت الذي كان فيه بالإمكان

[1] ألف ليلة وليلة،ص580.

استجلاء بعض علامات التلقي لو كان الخطاب مروياً فعلاً على مسمع مجلس (سوق، مجلس مداح، جلسة سمر...)، و التي قد تتبدى على أشكال عدة ،كالتصفيق، التعقيب، هز الرأس، تقطيب الحاجبين،السؤال، التهليل، الضحك...إلخ.

هذه المؤشرات الغائبة لا تنفي إنجازية هذا الخطاب في شكله المكتوب، باعتبار أن المتلقي – وإن غاب عن أفق التلقي ظاهرياً- فقد تبدى وجوده الضمني من خلال استحضاره من طرف المرسل أثناء تشكيله للخطاب،بتوظيف العديد من الآليات والأساليب؛ وهو دليل كافٍ يقر بإنجازية القصة الشعبية العربية،التي استطاعت بالفعل الانتقال باللغة من شكلها السكوني (الوصفي) إلى أشكال تعبيرية تضطلع بوظائف تواصلية متعددة.

## 2- المستوى البلاغي ودوره الحجاجي:

و يشمل هذا المستوى جميع أساليب الكلام التي أدرجها القدامى تحت عنوان البيان؛ لذلك سننطلق في هذا الجزء من البحث من فكرة مفادها أن« أهمية الوسائل البلاغية تكمن فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه...ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له...»[1]؛ باعتبار أن الشكل البلاغي هو« بنية يتخلق ابتداءً هكذا دفعة واحدة، ويتم تلقيه كذلك...»[2]، وهو ما يدفعنا إلى استجلاء بعض من هذه الأساليب ومحاولة ربطها بمقصديتها الحجاجية؛ على أن دراستنا لهذا المستوى سيرتكز بالأساس على التشبيه،والكناية والاستعارة؛ بوصفهما أهم الأساليب البلاغية التي يظهر فيها البعد الحجاجي أكثر من باقي الأساليب، مثل الجناس والطباق...إلخ ؛إذ تعد« هذه أصول كثيرة

[1] الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم،ص 120.

[2] فضل صلاح : بلاغة الخطاب وعلم النص ،ص123.

كان جل محاسن الكلام- إذ لم نقل كلها- متفرعة عنها وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في تصرفاتها،وأقطار تحيط بها من جهاتها...»[1].

## 2-1- التشبيه :

وقد أدرجناه على رأس الأساليب البلاغية لما له من قدرة على تمثل الأشياء الخفية عن العين وإبرازها في صورة جلية،فإن كان في المدح « كان أبهى وأفخم،وأنبل في النفوس وأعظم،وأهز للعطف...وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر...وإن كان ذماً كان مسه أوجع، وميسمه ألدغ،ووقعه أشد، وحده أحد...وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر »[2]؛هذا وقد أدرجه بعض اللسانيين ضمن الحجج المؤسسة لبنية الواقع، باعتبار أن العلاقة بين طرفيه هي علاقة غير موجودة واقعياً ،ولكن يسعى المتكلم إلى تأسيسها بإنزال المشبه منزلة المشبه به.

ولكن -وقبل أن نشرع في استظهار بعض مواقع التمثيل- نشير إلى أننا عمدنا إلى فصل التشبيهات الواردة على لسان المرسل مباشرة ،عن تلك الواردة على لسان الشخصيات ،لسبب بسيط، وهو أن مقصدية المرسل من وراء توظيفها تمحورت أساساً حول فكرة جلب انتباه المرسل إليه وتأهيله لاستقبال الخطاب، على عكس الشخصيات التي وظفت – تجاوزا- هذا الأسلوب انطلاقاً من قضية محددة تدعي صدقها، وهي قضية الجمال وأفضليه اللون؛وعليه فإن أهم التشبيهات الواردة في الخطاب نذكر:

[1] الجرجاني عبد القاهر :أسرار البلاغة في علم البيان ،تح:محمد الاسكندراني ،م مسعود،دار الكتاب العربية، بيروت ،د/ط،1426 هـ /2005م، ص29.

[2] المرجع نفسه،ص 93-94

✓ القسم الأول: ما ورد على لسان المرسل (محمد البصري):

-كان له ست جوار كأنهن الأقمار ⟵ تشبيه تفصيلي ⟵ وظفه المرسل كمقدمة كلية (جمال الجواري) انطلق منها للبرهنة على الجزئيات المرتبطة بها(ملامح هذا الجمال)، فتشبيه الجواري بالأقمار له ما يبرره تراثيا،إذ دأبت العرب على توظيف هذه الصورة،الأمر لذي رقّد الخطاب وأسس له قاعدة متينة ،وهي وضع المرسل في حالة ترقب وتشوق لمعرفة مواصفات هذه الجواري .

- ثم أشار إلى الهزيلة فقامت كأنها غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان ⟵ تشبيه تفصيلي⟵ تدخل المرسل البلاغي كان لغرض بيان موقف مسبق من الجارية الهزيلة(الإعجاب)، بتشبيه قدها بالغصن أو القضيب في الاعتدال والحسن، ومنه تحفيز المرسل إليه لاتخاذ موقف مشابه ،وبالتالي استمالته والتأثير فيه، وهو تشبه مألوف عند العرب قديماً، له من العرف البلاغي ما يعضد قوته الإنجازية.

✓ القسم الثاني:ما ورد على لسان الشخصيات:

وفي هذا القسم سنبين الصور البلاغية، بما في ذلك التشبيهات التي وظفت كحجج لادعاء قضيتين اثنتين هما :

1-القضية الأولى: ادعاء الحب والوفاء: إذ لم توظف على هذا المستوى أي صور تمثيلية لتأكيد هذا الادعاء.

2-القضية الثانية: ادعاء الأفضلية و رد اعتراض الخصم[1]، بدحض حججه مسبقاً:

[1] المراد بالخصم، الجارية التي تقف نداً للجارية المدعية، اللائي وردن على النحو التالي:« يعني أن تشير البيضاء إلى السمراء،و السمينة إلى الهزيلة، والصفراء إلى السوداء.» والتي تبين من خلال المتن أن البيضاء تناظر السوداء، والصفراء تناظر السمراء، للاستزادة ينظر ألف ليلة وليلة،ص 574.

وسنعمد إلى الاستعانة بمنهجية الجداول ابتغاء درجة أفضل من التنظيم:

| الطرف | الادعاء | الاعتراض |
|---|---|---|
| الجارية البيضاء | الحجج :<br>(تشبيه بليغ)<br>-أنا النور اللامع، أنا البدر الطالع.<br>- الخد والقد والجيد و وجنتها **<br>ورد وآس وريحان ونسرين<br>(تشبيه تفصيلي)<br>-لوني مثل لون النهار الهني .<br>- كأنها لؤلؤ في الحسن مكنون.<br>-كأن ألحاظها نبل وحاجبها قوس.<br><br>النتيجة: الجمال والحسن<br>⇩<br>الأفضل | الحجج:<br>(تشبيه بليغ)<br>-لون المداد.<br>-هباب الحداد.<br>-وجه الغراب المفرق بين الأحباب.<br><br>النتيجة:القبح والشؤم<br>⇩<br>الأسوء |

| | | |
|---|---|---|
| الجارية السوداء | الحجج:<br>(تشبيه تمثيلي)<br>-سوداء بيضاء الفعال كأنها **<br>مثل العيون تخص بالأضواء<br>(تشبيه تفصيلي)<br>-فكأن لوني في الديباجي غيهب **<br>لولاه ما قمر أتى بضياء<br><br>النتيجة:الجمال والإثارة<br>⇩<br>الأفضل | الحجج:<br>(تشبيه بليغ)<br>-لونك لون البرص.<br><br>النتيجة:القبح والتنفير<br>⇩<br>الأسوء |
| الجارية السمينة | الحجج:<br>(تشبيه تفصيلي)<br>-شبهني بالأغصان.<br>-وجعلني كالبستان المشتمل على خوخ ورمان.<br>-كأن مشيتها في بيت جارتها **<br>مشي السمينة لا عيب ولا ملل<br>**ملاحظة**:المدعي في الشاهد الأخير مشبه به.<br><br>النتيجة: الجمال والثراء<br>⇩<br>الأفضل | الحجج:<br>(تشبيه تفصيلي)<br>-سيقانك كسيقان العصفور.<br><br>النتيجة: الضآلة والتنفير<br>⇩<br>الأسوء |

| | | |
|---|---|---|
| الجارية الهزيلة | الحجج:<br>(تشبيه تفصيلي)<br>-شبهني بالغصن.<br>-كأني غصن بان أو قضيب خيزران.<br>-شبهت قدك بالقضيب **<br>وجعلت شكلك من نصيبي<br>النتيجة: جمال القوام<br>⇩<br>الأفضل ⟺ | الحجج:<br>(تشبيه تفصيلي)<br>-أكلك أكل الفيل.<br>النتيجة: البدانة<br>⇩<br>الأسوء |
| الجارية الصفراء | الحجج:<br>(تشبيه بليغ)<br>-لوني لون الدينار.<br>-ولون النجوم والأقمار.<br>- ولون التفاح.<br>-ولون الزعفران.<br>(تشبيه تفصيلي)<br>- ولوني في الوجود عزيز مثل الذهب الإبريز.<br>-لها اصفرار كلون الشمس في البهج**<br>وكالدنانير في حسن من النظر<br>النتيجة:جمال المنظر وعلو المقام<br>⇩<br>الأفضل ⟺ | الحجج:<br>(تشبيه بليغ)<br>-لون الجاموس تشمئز عند رؤيته النفوس.<br>-لون الذباب.<br>(تشبيه تفصيلي)<br>-لون الهباب لها لون فغبرتها **<br>كالترب ترهسه في أقدام قُصادي<br>النتيجة: التنفير والضعة<br>⇩<br>الأسوء |

| الجارية السمراء | الحجج: (تشبيه تفصيلي) -لا بيضاء كالبرص. -ولا صفراء كالمغص. *اسقاط صفة الجمال عن الغير لإلحاقها بالنفس. النتيجة: جمال اللون ⇩ الأفضل | الحجج: (تشبيه بليغ) -يا صدأ النحاس. -طلعة البوم. -طعام الزقوم. (تشبيه تفصيلي) -أنت مثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق. النتيجة: القبح والشؤم ⇩ الأسوء |
|---|---|---|

الملاحظ في كل الشواهد المستنبطة من الخطاب، أن المرسل قد وظف وبصورة مكثفة العديد من التشبيهات (التشبيه البليغ ،والتفصيلي) على لسان كل جارية، لتأكيد صدق ادعائها،وهو أفضلية لون بشرتها على سائر الألوان؛ وذلك بوضع ادعاء كل واحدة في صورة مادية يسهل تخيلها، وبالتالي يسهل فهمها والاقتناع بها ،ومن ذلك تشبيه بياض البشرة باللؤلؤ،وقوة نفاذ العين بالسهم،ورهافة القد بالغصن...إلخ، وهي كلها تشبيهات لها ما يعضدها من عرف لغوي؛ فكثيراً ما توظف العرب هذه التشبيهات،وهو ما دفع المرسل إلى استغلالها بما يحقق العملية التواصلية بينه وبين المرسل إليه بصورة ميسرة، وبما يحقق مصداقية أكبر لخطابه، اعتماداً على المعرفة المشتركة بينهما وما يناسب المقصدية الخطابية التي ترمي بالأساس إلى إقناع المرسل إليه بجمال الجواري وحسنهن، بغض النظر إن كانت هذه المقصدية مقصدية أساسية سابقة، أو فرعية طارئة.

## 2-2- الاستعارة:

إن خاصية الالتباس التي يتصف بها الخطاب الطبيعي -ومن ذلك القصة الشعبية- هي السمة التي تجعل هذا الخطاب خطاباً حجاجياً لا برهانياً؛ وأن الأول حسب "طه عبد الرحمان" هو الذي يقوم على تفاعلية اعتباران، وهما "اعتبار الواقع" و"اعتبار القيمة" الذين تفرزهما العلاقة المجازية التي هي في الأساس«كل منطوق به موجه على الغير لإفهامه دعوة مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحتملها »[1].

وعلى هذا الأساس سننطلق في استبيان بعض العلاقات المجازية،وربطها بأبعادها الحجاجية دون الفصل بين الاستعارة والمجاز باعتبار أن « العلاقة المجازية هي علاقة استعارية»[2]، وعليه فإن توظيف الصورة المجازية داخل الخطاب تشير في زاوية معينة إلى كفاءة المرسل التداولية ،إذ يستطيع هذا الأخير« بعملية ذهنية سريعة جداً (أن) يستحضر سمات المشبه أولاً، ثم يختار آلية إضافية، أي الأكثر وروداً وتميزاً في سياق معين»[3]؛ وفي زاوية أخرى تؤكد مدى إسهام المعرفة المشتركة في تحديد المقصدية الخطابية.

فالمرسل واعتماداً على افتراضه المسبق يستطيع « أن يعبر عن قصده باستخدام هذه الآلية،و هو يدرك أن المرسل إليه يدرك هذا القصد إدراكا جيداً...»[4] ،والمرسل إليه يتفهم ذلك انطلاقاً من الخلفية المعرفية التي تؤطر العلاقة بينهما، والتي تعد كفاءة تأويلية تتيح له فك رموز العلاقة المجازية،حتى أنه يستطيع في بعض الأحيان أن« يكمل

[1] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص231.
[2] المرجع نفسه،ص 232.
[3] الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب،ص 410.
[4] المرجع نفسه،ص 403.

الخطاب...في حالة توقف المرسل، وكأن المرسل إليه يريد أن يثبت للمرسل أن قصده واضح...»[1]؛ ولعلّ أبرز التعابير المجازية الواردة في الخطاب نذكر:

1-الأطروحة الأولى: إدعاء الحب والوفاء:

✓ القسم الأول: ما ورد على لسان المرسل:

لم يوظف المرسل أي تعبير مجازي في كل تدخلاته السردية،باستثناء قوله:« فطرب المكان...»[2]،وهي استعارة مكنية،شبه فيها المرسل المجلس بالشخص الذي يتذوق الألحان فيطرب بها، تأكيداً على براعة الجارية وإلمامها بفنون العزف والغناء،ومن ثم استمالة المرسل إليه إليها،ولا علاقة لها بالقضية المدعاة إلاّ من الناحية الشكلية ،بحيث أن ورودها جاء ضمن السياق النصي لها.

✓ القسم الثاني:ما ورد على لسان الشخصيات:

ولعلّ أبرز هذه الصور البيانية الواردة في هذا الجزء نذكر:

▪ ادعاء الجارية البيضاء:

-إن تذكرته فكلي قلوب *** أو تأملته فكلي عيون ⟵ كناية عن صفة، وهي الحب والاهتمام الكبيرين.

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر، المرجع السابق،ص403.

[2] ألف ليلة وليلة،ص 573.

▪ادعاء الجارية السمراء:

لم توظف أي علاقة استعارية ،باستثناء المجاز في قولها:"وحياة وجهك لا أحب سواك"؛وهو مجاز مرسل، علاقته الجزئية،فالمراد من هذا القسم ،التأكيد على صفة الجمال التي يتصف بها الحبيب،والتي يعد الوجه أكبر علامة له،والذي يبدو أنه لدى المرسل مقدس ذو قيمة أهلته لأن يكون قسماً، وبالتالي التأكيد- من خلاله -على درجة الحب والوفاء التي يكنها اتجاهه.

▪ادعاء الجارية السمينة:

- قصدي رضاك من الدنيا بأجمعها *** يا من إليه جميع الحسن ينتسب ⟵ استعارة مكنية، شبه فيها الحبيب بالعرق الأصيل الذي تنتسب إليه جميع الأعراق ، في الحسن والجمال، بغية التأكيد على القضية المدعاة .

▪ ادعاء الجارية الصفراء :

-لي حبيب إذا نظرت إليه *** سلّ سيفاً على من مقلتيه ⟵ استعارة تصريحية، إذ شبهت نظرات الحبيب بالسيوف القاطعة، تأكيداً على جمالها ،وبالتالي إثبات ما تدعيه الجارية من حب وهيام بسيدها.

▪ ادعاء الجارية السوداء:

- وتمنعني العواذل ورد خد *** ولي قلب يحن إلى الورود⟵استعارة تصريحية، شبه فيها جمال الحبيب بالورود قصد التأكيد على الإدعاء وهو الحب ،الذي يعد الجمال فيه سبباً رئيساً.

و الملاحظ من خلال هذا الحصر لأهم الشواهد المجازية، أن أهم حجة وظفت في البرهنة على القضية المدعاة، هي قضية الجمال الذي يعد بالنسبة للجواري أهم شرط لذلك.

2-الأطروحة الثانية: ادعاء الأفضلية و رد اعتراض الخصم بدحض حججه مسبقاً:

وجاء فيها توظيف التعابير المجازية بكل أنواعها على النحو التالي:

| الطرف | الادعاء | الاعتراض |
|---|---|---|
| الجارية البيضاء | الحجج:<br>(استعارة مكنية)<br>-بيضاء مصقولة الخدين ناعمة ← صفاء اللون من أي شائبة.<br>النتيجة:الجمال والنضارة للبياض<br>⇩<br>الأفضل | - |
| الجارية السوداء | الحجج:<br>(استعارة مكنية)<br>-أزورهم وسواد الليل يشفع لي← الإعانة على الوصال والتلاقي.<br>-أن سواد العين يرمي بأسهم ← سحر الجمال<br>النتيجة: الستر والجمال<br>⇩<br>الأفضل ⟺ الأسوء | الحجج:<br>(استعارة مكنية)<br>-بياض الليل يغري بي.<br>-الشمس نمامة<br>النتيجة: الوشاية والفضيحة<br>⇩ |

| | | |
|---|---|---|
| الجارية السمراء | الحجج:<br>(كناية)<br>-لباقة ألفاظ وغنج لواحظ***<br>يعلمن هاروت الكهانة والسحر<br>النتيجة:الجمال والسحر<br>⇩<br>الأفضل | - |

في الأخير، وبعد هذا العرض لأهم الصور البيانية الواردة في القصة، يتبين أن هذا الخطاب قد وظف صاحبه وبصورة مكثفة التشبيه كآلية للتأثير في المتلقي ،من خلال دعوته لاستحضار المعنى الخفي في صورة جلية يسهل من خلالها تمثله على وجه صحيح؛ وهو أمر لا يتأتى إلاّ إذا وثق المرسل أن المرسل إليه يستطيع استخلاص المعنى المكنى دون أن يلجأ إلى الإفصاح عنه، انطلاقاً مما يجمعهما من معرفة مشتركة، وعلماً بكل ما يحوزه المرسل من مدارك تؤهله للتأويل على الوجه الذي يريد.

و لما كان هذا الشرط متاحاً بين طرفي الخطاب – محل الدراسة -نجد أن المرسل قد وظف بمساحة أوسع العديد من التشبيهات (التشبيه التفصيلي والبليغ)، خاصة في ما ورد على لسان كل شخصية وظفت لتحريك العمل السردي؛ في ادعائها صدق أطروحتها القاضية بأفضليتها على غيرها في اللون والجمال ؛ إذ عمد إلى التشبيهات المألوفة في تلك البيئة،كتشبيه الوجه باللؤلؤ في البياض والنضارة، والجيد بالغصن في الاعتدال ،والعين بالسيف في الحدة، نزولاً عند غاية استمالة المرسل إليه بطريقة سهلة غير مجهدة ،لا يلجأ فيها إلى إعمال فكره في إيجاد العلائق الرابطة بين طرفي التشبيه، بقدر ما هي تحفيز له على الاشتراك في الجو العام للسرد وكأنه طرف فيه، من خلال تفعيل وجوده الخطابي كطرف متلق مشترك في تأويل هذا الخطاب،بل في إنتاج نص موازٍ يتمخض عن قدرته على كشف هذه الروابط التي

تجمع طرفي التشبيه، بما يحقق المقصدية التواصلية التي تهدف بالأساس إلى الاستمالة من خلال الإمتاع والتأثير العاطفي؛ في الوقت الذي وظف فيه المرسل علائق أخرى يمكن أدراجها ضمن الروابط المنطقية والشبه المنطقية، وهي التي سنحاول الكشف عنا لاحقاً من خلال الفصل الثاني.

على أن توظيف الصور البيانية لم يقتصر على أسلوب التشبيه بل تعداه إلى صور تمثيلية أخرى، كالاستعارة التي تعد هي الأخرى آلية بلاغية غاية في الفاعلية ،وهو ما برهنا عليه من خلال استجلائنا لأهم الأقوال الاستعارية دون أن نلجأ لتفريق بينها وبين التعابير المجازية لأن العلاقة المجازية هي علاقة استعارية بالأساس، كما أو هناك أضرب بلاغية أخرى تم توظيفها مثل البديع الذي تعد بعض صوره آلية حجاجية ذات فعالية.

وهو ما دفع بالعديد من الدارسين إلى نقلها من مجرد زخرف لفظي إلى واحدة من الأساليب الإبلاغ بل وحتى الإقناع والتأثير، وهو الأمر الذي نراه محفزاً لاستقراء بعض من هذه الأساليب البديعية، ومحاولة ربطها بمقاصدها الحجاجية، ومن خلالها التأكيد على حجاجية هذا الجنس الأدبي( القصة الشعبية العربية)، خاصة وأننا نجد أن هذه الأخيرة تهتم كثيراً بالجانب الصوت المتمخض أساساً عن توظيف هذه الأساليب خاصة الجناس والسجع، بغية إحداث جرس موسيقي تطرب له الأذن حيناً، وتستمال إليه النفوس أحايين أخرى؛ ولعلّ أبرز هذه الأساليب نذكر:

**- المقابلة:**

-إن صح منك الرضى ≠ لا أبالي بكل الناس إن غضبوا ⟵ مقابلة ⟵ التأكيد عن مدى الاهتمام برضى الحبيب ،وإن كلفه الأمر غضب الجميع ⟵ حجة لإثبات دعوى الحب.

-إن تبدى محياك الجميل ≠ لا أعبئ بكل ملوك الأرض إن حجبوا ⟵ مقابلة ⟵

إثبات مكانة الحبيب الذي لا ينافسه فيه أحد،حتى الملوك والعظماء، فوجوده يغني حبيبه عن ترقب غيره ⟵ حجة لإثبات دعوى الحب .

**- الطباق:**

-سوداء ≠ بيضاء الفعال ⟵ طباق الإيجاب ⟵ إثبات حسن الخلق من خلال لفظة "أبيض " التي أضيق إليها ضدها( أسود) لتأكيد المعنى، بنسبته إلى الجارية التي تتمتع بهذا اللون، وهي حجة للتأكيد على صدق دعوى الأفضلية للجارية السوداء.

- وأن بياض العين يقبح بالفتى ≠ وأن سواد العين يرمي بأسهم ⟵ مقابلة ⟵ التأكيد على جمال سواد العين، بإيراد نقيضها وهي هو بياض العين الذي يعد عاهة وقبحاً، وهي حجة لإثبات صدق دعوى الأفضلية للون الأسود ومنه الأفضلية للجارية السوداء.

تجدر الإشارة على أن توظيف الأساليب البديعية لا تتضمن دائما مقصدية حجاجية إلاّ« إذا أحدثت تغييراً في الرؤية،وكذا إذا بدا استعمالها طبيعياً في ذلك الموقف...(وإلاّ عدت) من قبيل الزخرف...»[1]،لذلك فنحن لا ندعي ذلك في كل الصور الموظفة في القصة، إلاّ فيما رأينا له تخريجاً - ولو بسيطا- قد يرفد المقصدية الحجاجية ، وهو ما لا نراه متحققاً في توظيف السجع، والجناس على نحو:

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب،ص 499.

-فلوني آية،وجمالي غاية وحسني نهاية .

-لون المداد وهباب الحداد.

-إذا نزل المشيب ،ذهبت اللذات، ودنت أوقات الممات.

-غصن بان، أو قضيب خيزران،أو عود ريحان.

-طلعة البوم، وطعام الزقوم... إلخ.

والتي نرى أن توظيفها جاء لغرض إحداث جرس موسيقي تأنس بسماعه الأذن ، باعتبار أن الخطاب هو قصة شعبية،تقوم على المشافهة التي تستلزم لفت انتباه السامع، وشد انتباهه؛بما يجعله في تفاعل مستمر مع مجريات القصة، بالتالي إبقاءه طرفاً رئيساً في العملية التواصلية ،وهو ما عده الكثير من الدارسين رافداً من روافد الحجاج باعتبار أن « ما كان أملك للسمع كان أفعل باللب وبالنفس...»[1]،والأمر بهذا لا يقتصر على الموسيقى الداخلية فحسب، بل يتعداه إلى الموسيقى الخارجية المتولدة عن الوزن والقافية.

[1] الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص 127.

## ثانياً: بنية الحجاج وروابطه :

لقد سبقت الإشارة إلى أهم الأساليب البلاغية في علاقتها بمقصدية الخطاب الحجاجية، في محاولة إلى التأكيد على الوظيفة الشعرية التي تضطلع بها اللغة ضمن هذا الجنس الأدبي ،خاصة وأننا أكدنا أن المقصدية الخطابية الكامنة فيها لا تهدف إلى مخاطبة العقل فحسب، بل إلى استمالة النفس بما تهيئه لها من انفعال وتفاعل ايجابي مع مجرياتها.

ولما كانت الإشارة إلى هذا النسق الحجاجي مرتبط بالأساس بالشق الانفعالي دون العقلي؛ كان لزاماً علينا البحث عن الأنساق الاستدلالية البرهانية التي اعتمدها المرسل بصفته مالك الخطاب موجها له ،لحمل المرسل إليه على الإذعان لما يقول ،أو الزيادة في درجة هذا الإذعان إذا كان مناصراً له في رأيه ،بما يتيح له تقبل هذا الرأي بقدر أكبر، وبصفة أكثر ديمومة.

وعليه فإننا سنعمد من خلال هذا المبحث إلى النظر في مختلف الحجج التي وظفت في القصة من خلال حصرها وتصنيفها في وقت واحد، والبحث عن نصيبها في العملية الحجاجية، دون أن نغفل عن تبيان دور بعض الروابط الحجاجية في تهيئة الأرضية المناسبة لنقل المقدمات من مجرد منطلقات ممكنة أو محتملة إلى نتائج تتمتع بطاقة إلزامية عالية.

## 1 - أنواع الحجج:

إن البحث في أصناف الحجاج يسوقنا إلى زخم من المفاهيم والأصناف المتداخلة، التي قد لا يتفق حولها جميع الدارسين، بسب أن النص الأدبي - على عكس النصوص العلمية - هو نص مفتوح يحتمل أكثر من قراءة ،وعليه فإن«عبارة ما يمكن أن تقرأ أكثر من قراءة ،فتندرج ضمن أكثر من صنف...»[1]، وهو ما يجعل تصنيفنا مجرد اجتهاد خاص قائم على قراءتنا وتأويلنا لهذه الحجج،مما قد لا يتفق مع التصنيفات الأخرى التي تفرزها قراءة ثانية اتفاقاً كلياً، ولكن دون أن يصل هذا الاختلاف إلى درجة التعارض؛لذلك فقد ارتأينا تصنيف الحجج الموظفة عبر محورين اثنين هما:

**المحورالأول**: وهو الحجج شبه المنطقية، والتي تتفرع عنها:

- الحجج شبه المنطقية القائمة على بنى منطقية.
- الحجج شبه المنطقية القائمة على بنى رياضية.

**المحور الثاني**: و هي الحجج المؤسسة لبنية الواقع، والتي تنقسم بدورها إلى:

- الحجج الجاهزة.
- الحجج التي تستدعي المشترك

ولكن وقبل التفصيل في هذه الآليات التي تنقل المقدمات – كما سبق لنا وأن أشرنا- من مجرد افتراضات ممكنه ومحتملة، إلى قواعد ضرورية ملزمة،حري بنا أن نتفحص هذه المقدمات التي انطلق منها المرسل لبناء خطابه الحجاجي.

[1] الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم،ص181.

فالمقدمات وكما هو معروف لا تعد صادقة بقدر ما هي منطلقات متفق عليها مبدئياً بين المرسل والمتلقي على نحو يدفع بالأول إلى تثبيت هذا الاتفاق أو الزيادة في درجته،وإلاّ انتقلت العملية الحجاجية إلى عملية برهانية تنطلق مما هو صادق لإثباته؛ لذلك فإنه يمكننا القول إن المقدمات التي انطلق منها راوي حكايتنا –شأنه في ذلك شأن المرسل في كل الأجناس الأدبية خاصة الشعبية منها- تقوم على مجموعة وقائع وقيم، تشكل في مجملها أرضية مشتركة بين أفراد هذه البيئة (البيئة العربية) في ذلك العصر:

**1-الوقائع:** ويتم قراءتها من طرف أفراد هذه البيئة من زاوية واحدة،وهي العرق والدين واللغة، وهي منطلقات لا تتعارض مع أي قراءة قد تتجه اتجاهاً مغايراً بسبب اختلاف البيئة أو الايدولوجيا أو المعتقد،لأن الخطاب الحجاجي يمكن الحكم على نجاعته من مدى ملاءمته لهذا الواقع المشترك بين المحاجج والمحاج له، الذي لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يهضم حقه في رد الادعاء بمجرد اختلاف الرؤية.

وعلى هذا فإن الوقائع التي انطلق منها الراوي في حكاية اليمني والجواري ست،تتضمن مختلف الظروف الاجتماعية السائدة في تلك الفترة،والتي تتسم بالمغالاة في جلب الجواري، والتنافس على شرائهن ببذل أموال طائلة، وحرص الخلفاء وأرباب النعم على إبقائهن على مقربة منهم، وهو ما سبق لنا الإشارة إليه فيما يتعلق بالمعرفة المشتركة التي وظفها المرسل أيما توظيف لتحقيق التواصل الايجابي مع المرسل إليه،بانتقاء هذه الحكاية من جملة ما توفر لديه من قصص، توافقاً مع أهواء الخليفة وميولاته،وطبيعة الحياة الاجتماعية السائدة آنذاك.

لذلك فإن انطلاقه من واقع مفاده أن الجواري عنصر أساسي في الحياة الاجتماعية للخليفة ومن وقع في منزلة مقاربة له، تعد مقدمة أحسن المرسل انتقاءها وبناء كل الحجج على أسسها، بما يعضد هذا التواجد الشبه الضروري،وبالتالي تأكيد هذه المقدمة بنقلها من مجرد معطى متفق عليه،إلى التزام يجب الإذعان له،والإقرار بأهميته،وهو ما استطاع المرسل

من خلال كفاءته التداولية التي تمظهرت بأشكال أسلوبية وأنساق منطقية متعددة الوصول إليها.

**2- القيم:** وهي ما تعارف عليها المجتمع في نظرته لقيمة إنسانية هامة، وهي الجمال الذي يعد حكماً قيمياً إلى حد ما،مقارنة بالعدل والسلم والحرية...إلخ التي تعد قيماً متفق حولها. ومع ذلك سنعتبره مقدمة اعتمدها المرسل لبناء خطابه الحجاجي من خلال البحث عن معايير هذا الجمال والتي لا يمكن أن نحصرها في عناصر ثابتة، بل هي المحور الذي تدور حوله مناظرة كل جارية لضرتها،إذ تنطلق كل واحدة من فكرة أنها فعلاً جميلة، وهو ما حاول المرسل التأكيد عليه خطابياً من خلال مؤشرين:

- شراء السيد اليمني الجواري الست لأنه رأى في كل واحدة أمارة لهذا الجمال بشكل أو بآخر.
- الاحتفاظ بهن جميعاً بعد سماع مناظرتهم، دليل على اقتناعه بأن كل جارية تتمتع بقدر معين من الجمال الذي عضده علمهن وأدبهن، الذي لم يستطع الفصل في معايير هذا الجمال، بقدر ما عززه.

لذلك فإن ادعاء كل جارية لهذه القيمة ومن خلالهن ادعاء المرسل( محمد البصري) لهذا الطرح،يؤكد أن الجمال يعد بالفعل مقدمة حجاجية، سعى هذا الأخير على عرض –لا حصر وتحديد- معاييرها،التي تظل أمراً مختلفاً فيه مهما بلغت الحجج من القوة والصدق والإقناع لأن الحكم في النهاية هو حكم ذوقي ،وبالتالي ذاتي لا يحتمل أي اتفاق عام،لأنه هو بالفعل« قيمة مطلقة ذات طابع إنساني واضح ،بحيث لا يتقيد بالزمان

ومكان...»[1]؛ وعلى هذا النحو يتحرك المرسل بخطابه في فضاء يزخر بالمشترك يحتمل تعدد القراءة ولكنه يعمل على توحيدها أو -على الأقل- إيجاد قواسم مشتركة بينها .

## 1-الحجج شبه المنطقية:

لقد صنفت هذه الحجج ضمن أهم التقنيات الحجاجية لما تختص به من قوة كبيرة في تمكين الاقتناع وترسيخ اليقين، فبها «يحصل التوافق بين الاعتبار التأويلي والمرمى الإقناعي،وتثبت ملكة العقل من جهة كونها تستقر فيها الحقائق استقراراً برهانياً ،لا ينجر عنه مكر السامع ولا اضطراب ملكاته، بل ينجم عنه الخضوع والطاعة...»[2]، لذلك فإن هذا الصنف من الحجج يبنى على مبادئ منطقية وأخرى رياضية، كالتطابق والتعدية والتناقض...إلخ، لذلك سنعمد على استقراء بعضها والكشف عن طبيعة العلاقة الكامنة بين جزئياتها.

### 1-1- العلاقات شبه المنطقية القائمة على بنى منطقية:

### أ-حجة التنافض وعدم الاتفاق:

ويتأسس هذا النوع من الحجاج على إتيان النقيض لإثبات الأصل،وإن كان الكثير من اللسانيين قد أكدوا أن توظيف الاستدلال بالخلف أو النقيض على نحو ابيض /أسود ، أمر نادر في الخطابات الأدبية الخالصة، مقارنة بالاستدلال الذي يعتمد عدم الاتفاق؛ والذي يبدو أن المرسل في خطابنا قد اعتمده بمساحة واسعة ، نظراً لطبيعة العلاقة التناظرية التي تحكم أدوار الشخصيات؛والتي جاءت على النحو التالي:

[1] الدريدي سامية :الحجاج في الشعر العربي القديم،ص184.

[2] الشبعان علي: الحجاج وآفاق التأويل ،ص275.

1_الأطروحة الأولى: ادعاء الحب والوفاء: ولعل أبرز ما وظف لتأكيد صدقها نذكر:

-قال لي عاذلي: أتسلو هواه *** قلت ما لا يكون كيف يكون

إذ اعتمد المرسل في إثبات قضيته وهي استحالة نسيان الحبيب وهجره، على إتيان نقيضه وهو التأكيد على استحالة الأمر مطلقاً،سواءً تعلق الأمر به أو بغيره،فنفى إمكانية الصبر على الهجر نفياً مطلقاً يتعارض أو على الأقل لا يتفق مع إمكانية فعله هو ذلك،هي حجة وظفتها لجارية البيضاء للتأكيد على مدى ارتباطها بمن تحب، ويمكن أو نوضح ذلك بالرسم التالي:

عدم اتفاق/ تعارض

الدعوة إلى الاصطبار لهجره ⟺ الصبر أمر مستحيل مطلقاً

استحالة فعله هو ذلك ⟸ علامة على الحب

-قلت: يا عاذلي امض عني ودعني *** لا تهون علي ما لا يهون

وهي الحجة نفسها التي وظفتها الجارية البيضاء لتأكيد استحالة جلدها وتحملها هجران من تحب، من خلال دعوة حسادها إلى الانصراف عن تهوين ما لا يمكن تهوينه ،لأنه أمر جلل لا ينفع معه التهوين، فكيف لهم أن يدعوها على ما لا يمكن أن يكون، وهي حجة أيضاً مدعمة لأطروحتها الأولى وهو ادعاء الحب والوفاء.

على أن التعارض أو عدم الاتفاق لا يقتصر على الفكرة وضدها ، بل يمتد إلى التعارض بين الفكرة الواحدة ونتائجها السلبية، التي تشكل واقعاً معارضاً أو مناقضاً للفكرة الأساس، وهو ما حاولنا تبيانه من خلال هاذين الشاهدين:

-كلما قلت يا فؤادي دعه *** لا يميل الفؤاد إلاّ إليه.

فالجارية السوداء لتأكيد ادعائها استحالة الهجر والانصراف عمن تحب، قابلت بينه وبين ما تمخض عنه من نتائج تتعارض معه تعارضاً شديدا، فمحاولة النأي لم تؤت نتائجها مطلقاً بل ضاعفت من ميل القلب إليه وهي نتيجة معارضة تماماً.

-ألا يا عين بالعبرات جودي*** فوجدي قد عدمت به وجودي

فالمدعية بتوظيفها لهذا الشاهد الشعري ،تريد التأكيد مجدداً على قضيتها الأولى، وهي عبثية الصبر إزاء فراق الحبيب، من خلال التأكيد على نتائج هذا الصبر والتي جاءت مناقضة للمتوقع، فالبون والابتعاد كان الغرض منه السلو والتصبر إلى حين نسيانه كلياً والمضي في الحياة من جديد ، بيد أن الواقع أثبت عكس ذلك ،حينما أكدت من خلال قول الشاعر أن البعد أعدم وجودها ووافاها أجلها، وهي كناية على ما ألم بها من حزن الذي تراه أقسى من الموت، وهي حجة أيضاً معضدة لادعائها الحب والوفاء.

2-الأطروحة الثانية: إدعاء الأفضلية و دحض حجج الخصم مسبقاً:

-ألم تر أن الدر يغلو بلونه*** وأن سواد الفحم حمل بدرهم

فإحداث مقابلة بين غلاء الدر للونه الأبيض وثمن حمل كامل من الفحم الذي لا يتجاوز الدرهم للونه الأسود، تعد حجة اعتمدتها الجارية البيضاء لتأكيد أن البياض غال وإن قلّ مقداره على نقيض السواد وأن كثر وزنه،تعزيزاً لادعائها الأفضلية على السوداء؛ونفس الحجة وظفت في البيت الثاني من هذا الشاهد الشعري:

-وأن الوجوه البيض تدخل جنة *** وأن الوجوه السود حشو جهنم

إذ إن المقارنة بين الوجوه البيض ومآلها( دخول الجنة) وبين نقيضها وهي الوجوه السود ومصيرها(الخلود في جهنم)، بعد حجة لإثبات أفضلية البياض على السواد، خاصة وإن علمنا

أن هذا البيت الشعري يتناص خارجياً مع نص أخر (الآية القرآنية)، وهو ما يجعله نصاً نافذاً حجاجياً.

تجدر الإشارة إلى أن الشاهد الشعري ككل ( البيت الأول والثاني) يمكن أن يدرج ضمن الحجج القائمة على التعارض وعدم الاتفاق، كما يمكن أن يدرج كل شطر منه ضمن الحجج القائمة على بنى رياضية ضمن علاقة التعدية، وهو ما سنوضحه لاحقاً.

-أما علمت أن السواد زينة الشباب، فإذا نزل المشيب ذهبت اللذات ودنت أوقات الممات.

فالجارية السوداء من خلال قولها هذا لم تكتف بتأكيد أن السواد علامة الشباب بل أتت بما يعارض هذه الفكرة،وهو أن البياض أمارة على دنو الأجل وزوال اللذات؛ ومن خلال الإقرار بأن السواد أفضل لأنه مبعث الحياة والأمل بينما البياض فهو نذير بالموت، ولترفد ادعائها أضافت إلى قولها قول الشاعر:

لم أعشق السمر إلاّ من حيازتهم *** لون الشباب وحب القلب والحدق

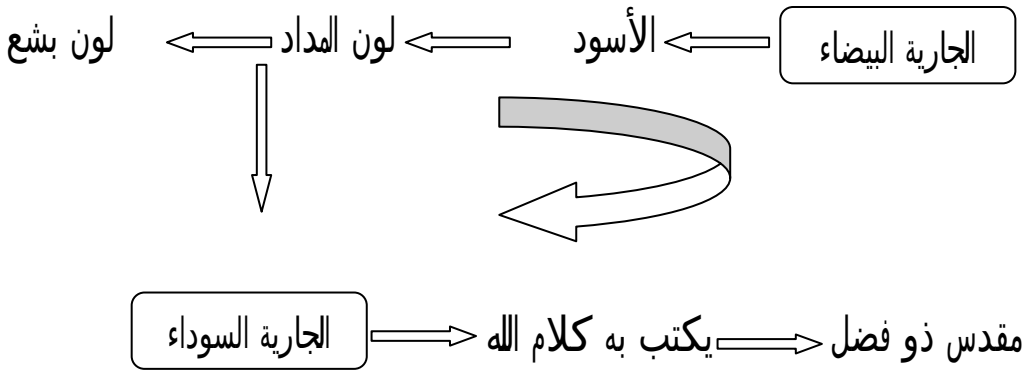
لا ما سلوت بياض البيض عن غلظ *** إني من المشيب والأكفان في فرق

للإشارة فان هناك حجة أخرى ربطها البعض بهذا النوع بهذا النوع من الحجج ، وهي ما تعرف بـ" قلب البرهان على صاحبه" و تنص على« اعتماد حجة الخصم وإثبات أنها في حقيقة الأمر تناقض ما ذهب إليه...»[1]، وكأننا نقول له"لقد احتججت على نفسك لا لها"، ومن ذلك:

-ومن فضيلة السواد أن منه المداد الذي يكتب به كلام الله.

[1] الدريدي سامية :الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 196.

فأصل هذه الحجة هي أنها حجة اعتمدتها الجارية البيضاء لتأكيد بشاعة اللون الأسود،إذ قالت: "سوف أبتدى بذمك يا سوداء يا لون المداد..." قلبتها الجارية السوداء لنقض حكم البيضاء من خلال ربط المداد بوظيفته ، وهي كتابة قول الله تعالى . ويمكن أن نوضح هذا من خلال هذا الرسم:




-ولا يليق باللحم السمين غير الذبح وليس فيه شيء من موجبات المدح.

فالجارية الهزيلة بقولها هذا تفند ادعاء الجارية السمينة الأفضلية لأن " بنو آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه"، بتأكيد قولها الذي يتعارض مع ما هن فيه من مقام إذا كان اللحم السمين مطلوب للأكل لا لشيء آخر، في حين أن المراد من المناظرة هو التأكيد على الأفضلية في المعاشرة .

-ألم تر أن المسك يعظم قدره *** وأن بياض الجير حمل بدرهم

هذا الشاهد الشعري استندت إليه الجارية البيضاء لإثبات أفضليتها، وذلك بالمقابلة بين المسك وهو غالي الثمن و الفحم الذي هو رخيص ولو كان مقدار حمل، لتقلبه الجارية السوداء لصالحها بإحداث مقارنة بين المسك وهو أسود غال الثمن وبين الجير وهو الأبيض الرخيص.

**1-2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى الرياضية:**

**أ- حجة التعدية:**

وهي الحجة التي تنطلق من فكرة مفادها :إذا كان ( أ ) مرتبط بـ( ب )، وهذا الأخير مرتبط بـ (ج)، فإن نفس العلاقة تربط( أ ) بـ( ج )، وهي الحجة التي وظفت بصورة مكثفة على مدار الخطاب ،مقارنة بغيرها من الحجج، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال بعض الشواهد التي تدعم أطروحة الأفضلية :

| | الادء_ _ _ _اء | الاعتـ_ _ _ ـراض |
|---|---|---|
| الجارية البيضاء | **الحجج:**<br>- أن الثلج ينزل من السماء أبيض ← الطهارة<br>الجارية بيضاء<br>النتيجة: مفضل(ة)<br>_الدر يغلو بلونه ← لأنه أبيض<br>الجارية بيضاء<br>الجارية غالية النتيجة: مفضل(ة) | **الحجج:**<br>-وأن سواد الفحم بدرهم ← أسود ← رخيص<br>الجارية سوداء<br>رخيصة ← النتيجة: مذموم (ة) |

| | | |
|---|---|---|
| الجارية السمراء | **الحجج:**<br>-السواد زينة الشباب ← الأمل والحياة<br>الجارية السمراء<br>النتيجة: محمود (ة) | **الحجج:**<br>-إذا نزل المشيب... ← لون الكفن<br>الجارية بيضاء نذير الموت<br>النتيجة: مذموم(ة) |
| الجارية الصفراء | **الحجج:**<br>- | **الحجج:**<br>-(الأسود) من علامات الحزن ← الشؤم<br>الجارية سوداء<br>النتيجة:مكروه(ة) |

**ب- حجة الاشتمال:**

وهذا الصنف من الحجج قائم على فكرة أن ما ينطبق على الكل ،ينطبق تبعاً لذلك على الجزء من هذا الكل، مثل:

-وبنو آدم يشتهون أكل اللحم السمين.

فمن خلال هذا القول تؤكد الجارية السمينة أنها المفضلة عند سيدها باعتبار أنها مفضلة عند جميع البشر، وما ثبت عندهم ،يثبت عنده، لأنه جزء من هذا الكل.

-لوني ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غني وصعلوك.

هي حجة اتخذتها الجارية السمراء لإثبات أفضليتها من خلال التأكيد على أنها محبوبة عند الجميع، وذلك بذكر أعلى طبقة ( طبقة الملوك) وأدنى طبقة (طبقة الصعاليك)، وما يصح على هذا الكل يصح أيضاً على الفرد ، ونقصد به السيد المستهدف بالمناظرة.

**ج- حجة تقسيم الكل على أجزائه:**

والمراد بها أن ما يصح على الجزء، يصح منطقياً على الكل، وقد لا نستشف حضور هذه في النص إلاّ في قول الجارية الصفراء:

-لي حبيب إذا نظرت إليه*** سلّ سيفاً علي من مقلتيه

فاستخدام الجارية للاستعارة التصريحية، يعد حجة يمكن الاعتماد عليها لتأكيد ما يحوز هذا الحبيب من جمال العين والنظرة، وهو حكم ينطبق على جزء من هذا الكل( المتغزل به)، ويصح أن نعممه عليه، لأن من يمتلك جمال العين بالضرورة يحوز على الجمال ككل.

-و في قول الجارية الهزيلة في اعتراضها على الجارية السمينة: "وما رأيت أحدا وصف حبيبه فقال: حبيبي قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل".

فما نفي عن هذا الفرد، ينتفي بالضرورة عن الجماعة، وبالتالي لن نجد جماعة تتغزل بالسمينة لأن لا فرد منها يفعل ذلك.ومن ثم فإن السمينة مذمومة.

-وكذا في قول الجارية الهزيلة :" وفي مثلي تهيم العشاق ".

فبما أنه قد صح حب وهيام كل العشاق بالهزيلة، وهم الطبقة الأكثر اهتماماً بالجمال، فإنه حكم يصح بالضرورة على كل الناس، باعتبار أن هذه الفئة هي جزء من كيان أكبر وهو المجتمع.

وهي الحجة نفسها التي اعتمدتها الجارية السمراء لتأكيد أفضليتها عن غيرها بقولها:"جعل لوني معشوقاً لأولي الألباب وسائر الشعراء"، فما يصح على هذه الفئة ،يصح على الجماعة، وإن كان تخصيص أولي العلم والشعراء يحمل دلالة أكثر قوة و إنجازية، باعتبار أنها طبقة نخبوية ضمن هذا المجتمع، وآراؤها لما من الثقل الشيء الكثير.

**2 - الحجج المؤسسة لبنية الواقع:**

وهذا الصنف من الحجج لا يقوم كسابقيه على أسس منطقية ، بل على سلطة خارجية تتشكل من مجموع الصلات التي تربط المحاج بمحيطه الاجتماعي، وهي بذلك لا تتأسس على بنية هذا المحيط بل تسعى إلى تأسيسه وبنائه، من خلال ربط بعض العلاقات بعضها بعض ، واستخلاص ماهية ما خفي منها.

وبما أن خطابنا هو قصة شعبية ،فإن الحديث عن هذا النوع من الحجج، يجرنا للحديث عن طبيعة العلاقة التي تربط طرفي الخطاب،والتي تتضمن مجمل العقائد والمعتقدات، وكذا الخلفية التراثية التي تسند توظيف بعض من ملامحها من طرف المرسل،

وتتيح للمرسل أليه تلقف المكني منها دون حاجة إلى شرح أو تفصيل؛ لذلك يمكن تقسيم هذا الصنف إلى قسمين هما:

## 2-1- الحجج الجاهزة:

وتعد هذه الشواهد ، واحدة من حجج السلطة التي تتمتع بفاعلية كبيرة، حتى أن بعضهم عدها ركناً « من أركان بنياته، وهي إلى جانب كونها حجة مركزية تأتي لتدعم ما أدمج في الخطاب من حجج تستجمعها داخل مدارها وتستقطبها في نواة محيطها... »[1]، وهو ما سنحاول الكشف عنه من خلال استنباط بعض منها وتحديد دورها في تعزيز دوافع الإقناع، لما تتمتع به من سلطة معترف بها مسبقاً.

على أنه بعرضنا لهذه الشواهد الحجاجية سنأتي إلى ترتيبها وفق ما هو متعارف عليه، إي اعتماداً على درجة اعتراف المتلقي بها ، وهي على النحو التالي:

### أ-الشاهد القرآني:

يتمتع الشاهد القرآني في ثقافتنا الإسلامية والشعبية على وجه مخصوص بسلطة رمزية راسخة لا يمكن الحط من قيمتها، الأمر الذي جعل النص القرآني حاضراً في خطابنا الشعبي ، وظف بصورة مباشرة لتأكيد صدق ادعاء المرسل على لسان شخصيات القصة، وان كان هذا التوظيف قد لقي من التغيير ما أخرجه نسبياً من دائرة الشواهد الجاهزة، إلى مجرد أقوال مسندة لغوياً حيناً ، وإلى نصوص متناصة خارجياً وأحايين أخرى، على أن هذه الاختلافات البسيطة لا تسقط عنها – في رأينا – سلطتها العقدية ، بل حافظت عليها من خلال التزام كل طرف بإسناد القول إلى صاحبه( الله سبحانه وتعالى)، ومن ذلك ما ورد على لسان الجواري لإثبات ادعائها بالأفضلية :

[1] الشبعان علي :الحجاج وآفاق التأويل ،ص 158.

-الجارية البيضاء:

- وقد قال الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام: وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء.

⇩

قال تعالى: وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ (سورة النمل الآية 12).

إذ ورد في فتح البيان لمقاصد القرآن، أن المراد من قوله "تخرج بيضاء " أنها « تتلألأ نوراً يظهر لكل مبصر...وقيل لها شعاع غلب نور الشمس...»[1]، وهي حجة جاهزة اعتمدتها هذه الجارية لإفحام معارضتها، بالتأكيد على أن البياض لون محبوب ، مثير للنفس، بل هو لون مبهر و معجز .

-وقال تعالى: وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون.

⇩

قال تعالى: وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (آل عمران الآية 107).

[1] خان صديق حسن: فتح البيان في مقاصد القرآن_ تفسير سلفي أثري خال من الإسرائيليات والخرافات- مطبعة العاصمة، القاهرة،د/ط،د/ت، ج 03،ص382.

فقد ورد في "تفسير المنار" أن « ...ولا شك أن من ابيضت وجوههم بما تقدم (من عملهم) يكونون خالدين في النعمة بالدنيا ما داموا على تلك الحال والأعمال التي بها ابيضت وجوههم...»[1]، فبياض الوجه من خلال هذه الآية سمة من سمات العمل الصالح، فهو بهذا

لون مرغوب ، بل مشرف، وفي هذا قالت العرب:«البياض أفضل، والسواد أهول، والحمرة أجمل، والصفرة أشكل...»[2]، وهو الشاهد الذي أرادت من خلاله هذه الجارية التأكيد على صدق إدعائها الأفضلية.

-الجارية السوداء:

-أما علمت أنه ورد في القرآن المنزل على نبيه المرسل قوله تعالى: والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى.

⇩

قال تعالى: وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (سورة الليل الأية01-02 ).

فأسبقية القسم بالليل دليل – حسب المدعية- على قدره الأعلى، ومقامه الأسمى، وهو ما وظف للتأكيد على أفضلية السواد على البياض،اعتمادا على الترتيب الذي ورد عليه القسم.

-الجارية السمينة:

-إذ ذكرني في كتابه العزيز فقال تعالى: وجاء بعجل سمين.

⇩

قال تعالى: فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ( الذاريات الآية 26).

[1] رضا السيد محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار-، دار المنار، مصر، 1373هـ/1954م،ط04،ج4،ص 54.
[2] المرجع نفسه،ص 52.

فتوظيف هذا الشاهد القرآني ،جاء على النحو الذي يخدم القضية المحتج لها، إذ ورد أن المقصود بالعجل السمين ما انتقاه سيدنا إبراهيم - مما ملك - إكراماً لضيوفه، إذ اختار لهم الأحسن والأجود ، لأن هذا العجل عد حسب "ابن كثير"«من خير ماله...»[1] ، وهي الحجة التي تؤكد أن السمين – حسب المدعي- هو دائماً الأفضل والأحسن.

-الجارية الصفراء:

-أنا المنعوتة في القرآن ...بقوله تعالى في كتابه المبين: صفراء فاقع لونها،تسر الناظرين

⇩

قال تعالى: قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ سورة البقرة الآية 69.

فتفضيل الله سبحانه وتعالى للبقرة الصفراء التي أمر بني إسرائيل بذبحها،اعتمدته الجارية حجة ترتكز عليها لتأكيد ادعائها، إذا علمنا أن المراد من هذا التفضيل هو تعجيز هؤلاء، بسبب تنطعهم وخوضهم في ما لا ينفعهم، فعاقبهم الله بالبحث عن هذه البقرة النادرة الوجود، يضاف إلى ذلك أن اللون الأصفر هو اللون « الفاقع الشديد الصفرة في صفاء لا يخالطه لون أخر، و(أن) بعض أهل اللغة لا يخصه بالأصفر، بل يجعله وصفاً لكل لون صافٍ...»[2]، الأمر الذي يؤكد أن اللون الأصفر لون نقي لا تشوبه أي شائبة، فهو إذن الأفضل دون غيره من الألوان.

[1] بن كثير الحافظ أبي الفداء بن اسماعيل الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث،د/ت،د/ط،ج4، ص 1978.
[2] رضا السيد محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ص349.

**ب- الشاهد الشعري:**

إن حضور الشعر في قصص ألف ليلة وليلة ، يعد سمة أساسية في بناء لغته السردية، التي وظفت إلى جانب القول المنثور العديد من الشواهد الشعرية التي لا يحسبها القارئ شواهد جاهزة ،إلاّ عندما يحال إليها بالقول مثلا " قال الشاعر، أما سمعت قول الشاعر، وقول آخر..."، وهو الأمر الذي نراه شفيعاً لنا في اعتمادنا في استنباط الكثير من الحجج والأساليب البلاغية على تحليل بنية هذه الشواهد الشعرية ، إيمانا منا أن ما وظفه المرسل على لسان الشخصيات ومنها على لسان بعض الشعراء من أقوال شعرية يعد حججاً اعتمدها لإثبات جملة القضايا التي سعى من خلال خطابه إلى تأكيدها قصد إقناع المرسل إليه بها،بل دعوته إلى التحرك الايجابي اتجاهها، بغض النظر عما إذاكانت مقصدية الإقناع والإذعان في هذا الخطاب مقصدية أساسية أم فرعية طارئة.

وعليه فإننا اعتمدنا هذه الأقوال الشعرية من ناحية البنية حججاً مؤسسة من طرف المرسل إليه، خاصة وأننا التمسنا تحويراً في أحدها وهو:

ألم تر أن الدر يغلو بلونـ ـه وأن سواد الفحم حمل بدرهـ ـم

أن الوجوه البيض تدخل جنة وأنّ الوجوه السود حشو جهنم

وهي حجة وظفت على لسان الجارية البيضاء لتأكيد ادعائها أفضلية اللون الأبيض على سائر الألوان، لتوظف فيما بشيء من التغيير على لسان الجارية السوداء لتأكيد النقيض، بقولها على لسان الشاعر:

ألم ترى أن المسك يعظم قدره وأن بياض الجير حمل بدرهم

وأن بياض العين يقبح بالفتى و أن سواد العين يرمي بأسهم

كما أننا اعتمدنها شواهد جاهزة من الناحية الشكلية ، من منطلق أن الثقافة العربية تحفل بهذه التوظيفات التي تعد تداولياً وجها« من أوجه البرهان ... و مصدراً من مصادر الاحتجاج...يثبت القواعد ويرشح التخريج ، كما يرفد حركة التأويل يدعمها ويرفع من قدرها.»[1]، وهو الأمر الذي فقهه المرسل جيداً ، فأضاف إلى حججه النثرية، نظائر شعرية على مدار الخطاب وبمساحة كبيرة جداً مما يؤكد خبرته وإدراكه بمجريات الكلام وما يناسبها من مقامات.

**ج- الأخبار والمثل:**

وتتمتع هذه الأمثال والأخبار بسلطة لا يستهان بها، نظراً لارتباطها بهذا الموروث الفكري والاجتماعي المقدس بالنسبة للجماعة، لذلك فإن استثمارها خطابياً يشكل عتبة سلطوية، تسهم في انقياد المرسل إليه انقيادا شبه آلي، لما تحظى به هذه الأمثال والأخبار - خاصة ما ارتبط منها بأخبار الأنبياء والصالحين- بسلطة التصديق المسبق، إذا لم نقل التقديس،على أن استثمار المرسل في خطابنا لهذا النوع من السلطة، لم يتحقق بصورة كبيرة على غرار الشعر أو القرآن ، بل بتجليات باهتة على نحو ما نذكر:

▪**الأمثال:** ولا نجد لها حضوراً إلاّ في موضع واحد فيما ورد على لسان الجارية البيضاء في تبكيت ادعاء الجارية السوداء مسبقاً بقولها:

-وفي المثل يقول القائل: كيف يوجد عاقل؟

تأكيداً على قلة عقل السود، فالاستفهام في هذا المثل جاء لغرض التوكيد؛ تجدر الإشارة إلى أننا لم نتمكن من الوقوف على بيئة هذا المثل ، إلاّ ما أشار إليه "ابن خلدون" في مقدمته حين تطرقه لأثر الهواء في أخلاق الناس،بقوله:« قد رأينا من خلق السودان على العموم الخفة

[1] الشبعان علي: الحجاج وآفاق التأويل، ص 169.

والطيش وكثرة الطرب، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع، موصوفين بالحمق في كل قطر...»[1]؛ وهو الاعتقاد الذي يبدو أن هذا المثل قد استمد منه.

▪ **الأخبار:**وقد ورد بصورة أكبر مقارنة بالأمثال، على النحو التالي:

-الجارية البيضاء:

-وقد ورد أن أحسن الألوان البياض: وهو خبر احتجت به هذه الجارية لتأكيد ادعاء أفضلية اللون الأبيض ومن خلاله ادعاء أفضليتها، وإن كان عدم إسناده إلى أي جهة يضعف نوعا ما من قيمته الحجاجية ، باعتبار أن هذا النوع من الحجج يكسب قوته من بيئته الاجتماعية التي ورد فيها، فأعطته رمزية معينة وبالتالي ثقلاً ، وهو ما لا يتوفر في هذا الخبر لأنه عام، لا يمكن التحقق من مصداقيته، ولكنه مع ذلك يعد موروثاً شعبياً يتمتع بنوع من الاحترام خاصة لدى طبقة العوام.

-وقد ورد في بعض الأخبار المروية عن أخيار، أن نوحاً عليه السلام نام في بعض الأيام...وخرج هارباً إلى بلاد الحبشة وجاءت السودان من نسله.

فالقصة الموظفة في هذا السياق، تحمل من القوة الإنجازية المقدار الذي يجعلها حجة مقنعة للرأي المحتج (أفضلية اللون الأبيض) و مدحضة لرأي معارضه ( الجارية السوداء) في الوقت نفسه، لأنها أسندت إلى شخصية تتمتع بالسلطة المعنوية، ونقصد به سيدنا أدم.

فإلى جانب أنه نبي من أنبياء الله ، وهو أبو البشرية جمعاء ، الأمر الذي أسهم في توجيه هذه الحجة توجيها خدم الأطروحة المدعاة، بغض النظر عما أن كانت هذه القصة واقعية أم لا، لأنها تظل وجها ومن أوجه تفاسير هذا الإنسان البسيط للعديد من مظاهر الطبيعة المحيطة به، ومنها قضية الخلق والنشوء، وما صاحبها من اختلافات في الأجناس البشرية

[1] ابن خلدون :مقدمة ، ص68.

من ناحية اللون واللغة وما شابه، مما أفضى إلى نشوء هذا النوع من الأساطير التي شكلت ضمن إطارها الزماني والمكاني حقائق لا تقبل الجدل ولا النقاش، وهي واحدة من القضايا التي تناولها الأدب الشعبي، خاصة المرويات الشعبية، التي أولت عناية خاصة لما يدور في خلد هذا الإنسان البدائي تجاه قهر الطبيعة وغياهب المجهول ، فحفظت الكثير منه بصور فنية ، حافظت عليه بدورها رغم مرور الزمن و اختلاف الرؤى.

الجارية السوداء:

-وقد ورد أن البرد والزمهرير في جهنم لعذاب أهل النكير.

هذا الخبر الذي لم تنسبه الجارية أي جهة، وظفته لذم الجارية البيضاء بأن نسبت هذا اللون إلى البرد الذي يعد –حسبها- من عذاب أهل النار، وبالتالي التأكيد على قبحها وشؤمها، بغض النظر عن صحة الخبر من عدمه، ولكنه يبدو أنه هو الآخر يعد رؤية شعبية لما جهل من خفايا العالم الآخر، تحظى بالكثير من التصديق ، وبالتالي بقوة انجازية لا يستهان بها.

**د- حجة الإجماع:**

يعد الإجماع في الثقافة العربية أصلاً من أصول الاعتقاد الذي ينبني عليه العرف في العديد من هذه المجتمعات، الأمر الذي يجعله صاحب سلطة على كل من ترسخ في ذهنه، فانقاد إليه طوعاً، من منطلق أن ما اتفقت الجماعة عليه، هو بالضرورة قانون يجب الإقرار بصدقه، وهو ما حاول المرسل استثماره – ولو في موضع واحد – على لسان الجارية البيضاء بقولها:

-وقد أجمعت الناس على قلة عقل السودان.

في إشارة منها إلى أن إجماع الناس – دون تحديد البيئة – يعد حجة سلطوية تستوجب الاعتراف بها من طرف المرسل إليه، فما أقرته الجماعة ، على الفرد أن ينحو منحاهم فيه، فيؤكد ما سبق لهم تأكيده، وهو قلة عقل أهل السودان، في مسعى للحط من قيمة الجارية السوداء والنيل منها.

## 2-2- الحجج التي تستدعي المشترك:

و نقصد بها تلك الحجج التي تعمل على استغلال جملة المعارف الشائعة بين جماعة معينة، استغلالاً يستدعي هذه الاتفاقات ، بما يتيح للمتكلم التأثير من خلالها، ذلك «أن للمشترك سلطته على النفوس، فهي تذعن لما تعودت عليه ... وتنفر مما يخالف ما عرفته، ويجانب ما آمنت به وصدقته...»[1]؛ على أن هذا المشترك قد يكون إنسانياً متعارف عليه في كل الأصقاع ونقصد بذلك المواضع المطلقة، كما يمكن أن يكون خاصاً بيئة محدودة ، كالبيئة العربية مثلاً ، وهو ما سنحاول الكشف عن بعض ملامحه داخل هذا الإطار الحضاري، رغم أننا وجدنا أنه لم يستغل بالصورة المطلوبة ، خاصة وأننا إزاء نص شعبي ، يرجح أنه يحفل بهذا الجانب بمساحة أوسع، ولعلّ أبرز هذه المواضع نذكر:

- ويفتخر المسلمون بالعمائم البيض.

إن توظيف الجارية البيضاء لهذه الحجة يعد من قبيل استدعاء بعض ما يجمعهم من مشترك عقائدي وتراثي في نفس الوقت، له مكانته الخاصة في هذه البيئة، إذا علمنا أن لبس العمامة

[1] الدريدي سامية:الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص287.

بالنسبة للعربي، يعد مظهراً من مظاهر الانتماء لها، وفقد ورد عند الجاحظ أن « العمائم تيجان العرب.»[1]،وأن العرب بالفعل كانت تفخر بهذا الملبوس، حتى أنهم قرنوا جمال الرجل بعمامته،

وفي هذا ورد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :« جمال الرجل في عمته، وجمال المرأة في خفها»[2]، وهو الأمر الذي حاولت الجارية البيضاء توظيفه،باستدعاء هذه الخلفية التراثية واستغلالها كحجة لإثبات أفضليتها رغم أننا لم نجد أي نص يعضد أفضلية العمامة البيضاء عما سواها.

- يا... وجه الغراب المفرق بين الأحباب.

فتشبيه الجارية البيضاء لنظيرتها السوداء بوجه الغراب، لجامع بينهما ، وهو سواد الوجه، له ما يعضد قيمته الحجاجية، فرمزية هذا الحيوان ضمن ما يعرف" بالكليات البشرية" التي تحيل على ذلك « الفاسق المخادع الذي خان أمانة نوح لما بعثه رائداً أو (الذي) سلب الديك جناحه ورهنه في خمارة وسخر منه وطار ولم يعد.»[3]، أعطت هذه الحجة قدراً كبيراً من القوة؛ وعاى نفس المرتكز الأسطوري اعتمدت الجارية السمراء في تشبيه ضرتها الصفراء بالبوم، بقولها:

- طلعة البوم.

فالبومة أو "الهام" في الأساطير هي« رمز الموت والخراب...»[4]، فهي إذن مصدر شؤم، تنفر منه كل النفوس، وهي النتيجة التي أرادت هذه الجارية إلحاقها بمعارضتها.

[1]-[2] الجاحظ : البيان والتبيين، ص88.

[3] عجينة محمد: موسوعة أساطير العرب – عن الجاهلية ودلالاتها – دار محمد علي للنشر ودار الفرابي، لبنان/ تونس، د/ط،2005.ص342

في الأخير وبعد عرضنا لبعض أصناف الحجج الموظفة في الخطاب محل الدراسة، يتبين لدينا أن القصة الشعبية ورغم أنها استعانت بمختلف الأساليب البلاغية قصد التأثير العاطفي والاستمالة الروحية،لم تغفل عن استثمار –وبصورة موازية- العديد من الحجج المنطقية والواقعية،لجر المتلقي للاذعان لما يسمع ، أو لزيادة تصديقه لما يعي، وهو ما أفضى إلى تنوع واضح لأصناف الحجاج، خاصة ما ارتبط منها بالحجج شبه المنطقية القائمة على علاقة التعدية، وهي تقنية تجر العقل للتصديق تبعاً لما عرض عليه مقدمات ترتبط بطريقة آلية بقضايا أخرى تتمتع بنوع من القبول المسبق، الأمر الذي ينجر عنه ربط علاقة ثالثة، هي في الأساس صلب الأطروحة المراد تأكيد صدقها.

على أن توظيف الحجج المنطقية لم تغن المرسل عن توظيف نظائرها الواقعية، خاصة ما تعلق بالحجج الجاهزة فيما ارتبط بالشاهد الشعري، فالقرآني، باعتبارهما نصوصاً سلطوية تحظى بالاعتراف، وبالتالي بالتأثير والنفوذ،على غرار الحجج التي تستدعي المشترك ، والتي نرى أنها لم توظف بالصورة المفترضة، خاصة وأننا إزاء نص شعبي يحفل بهذا المشترك ،بل يسعى إلى ترسيخه وإعادة بعثه، إلاّ فيما ذكرنا وحاولنا تأويله بحسب ما توفر لدينا من نصوص مدعمة .

وعليه يمكن القول إن الحكاية الشعبية، ورغم بنيتها الفنية الجمالية التي تستهدف الإثارة و التأثير العاطفي وهما الوجه الآخر للحجاج ،لم تغفل عن توظيف شبكة من العلاقات المنطقية والشبه المنطقية لتحريك الشق الثاني ونقصد به الجانب العقلي.

## 2- الروابط الحجاجية :

والمراد بها مجمل الأدوات اللغوية التي لا تعد حجة في ذاتها ، وإنما يكمن دورها النصي في الربط الحجاجي بين قضيتين للوصول إلى النتيجة المراد تأكيدها،لأن الخطاب الحجاجي في أصله هو عبارة«مجموعة قضايا (أطروحات) تتناسق وتترابط فيما بينها ،اعتماداً على هذه الروابط»[1]، فالبعض منها يقدم الحجة ويعرضها وفق ما يتلاءم ومسار الخطاب الحجاجي مثل: لكن، الواو، حتى، إلاّ...إلخ، والبعض الآخر يظهر النتيجة من خلال ترتيب الحجج حسب درجة قوتها، وفق ما يعرف بالسلم الحجاجي مثل: لأن، مع ذلك، إذا...إلخ.

ولبيان أهمية هذه الروابط في بناء الخطاب الحجاجي بناءً سليماً يحقق هدفه ومقصديته المسطرة، اجتهدنا في البحث عن بعضها في خطاب المدروس، واستظهار دورها في عرض المعطيات واستخلاص النتائج، على النحو التالي:

### -لكن:

وقد أولاها اللسانيون اهتماماً كبيراً، نظراً لدورها الموجه للحركة التلفظية، القائمة على«استدراك حكم ما و معارضته»[2]، و« كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم الثاني مثل ذلك...»[3] ، فتأتي" لكن "بعد ذلك إما:

**1- دحضية:**إذ يرتبط من خلالها نفي حكم أو إثباته بدحض اعتراضه على نحو ما جاء في قول الشاعر على لسان الجارية الصفراء:

---

[1] Dominique maingueneau : Pragmatique pour le discours littéraire, Nathan université , paris, 2001, p53.

[2] jacques moeschler , Anne reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique ,p283 .

[3] الشهري عبد الهادي بن ظافر :استراتيجيات الخطاب، ص 509.

-هو سؤلي في الأنام ولكن *** حسدتني عين الزمان عليه

فهذه الجارية أرادت التأكيد على أن هذا المحبوب كان أملها وغاية مسعاها، غير أن هذا الأخير لم يتحقق لأن هناك من اعترض هذا الرجاء، وتقصد بهم الحساد والوشاة، فاعتراضهم كان أقوى ، وهو ما انجر عنه هذا العذاب والحزن ، اللذان ترى أنهما مؤشران على صحة ما تدعيه (الحب والوفاء).

-وفي قول الشاعر أيضاً على لسان الجارية السوداء:

لا أعشق الأبيض المنفوخ من سمن *** لكنني أعشق السمر المهازيلا

فالجارية تحتج لادعائها من خلال نفي الحكم الأول، وهو عشق البيضاء السمينة، واثبات حكم آخر يعارضه باستخدام "لكن "، وهو التأكيد على عشق السمراء الهزيلة.

**2- لكن الحجاجية:** وتوظف لغرض إظهار القوة الحجاجية لأطروحة ما على حساب أخرى، أو حجة عل حساب حجة أخرى، نحو ما ورد على لسان السيد اليمني بدعوته جواريه لمناظرة كل واحدة لضرتها بقوله:

-... وتمدح كل واحدة منكن نفسها وتذم ضرتها... ولكن يكون بدليل من القرآن الشريف والأخبار والأشعار...

إذ يتضح أن السيد اليمني بقوله هذا، يقطع شرطاً لهذه المناظرة، من خلال التأكيد على أن أفضل المدح ما كان وفق الشرط الذي حدده، ليرتب بذلك هذا الحكم في مرتبة أعلى من الحكم الآخر وهو المدح والذم من غير ما حدد من شروط، ولو شئنا ترجمة ذلك بيانياً لنتج لدينا هذا المخطط:

التحقق من أدبها وحسن كلامها

- الجارية تمدح وتذم ببيان (أكثر قوة)
- **لكن**
- الجارية تمدح وتذم من غير بيان ( أقل قوة)

**- الواو:**

و من خلالها يمكن أن نربط بين مجموعة من الحجج للوصول إلى نتيجة معينة، مثل ما ورد على لسان الجارية الصفراء من خلال هذا الشاهد الشعري:

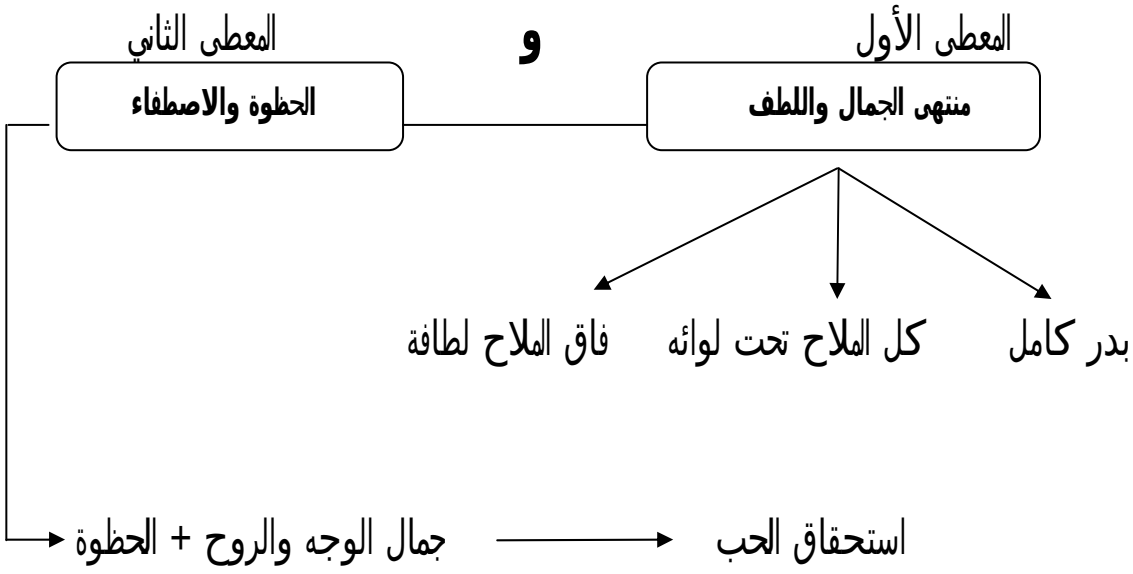
يا بدراً تمِ بالجمال مبرقعـاً *** كل الملاح تسير تحت لواكا

أنت الذي فقت الملاح لطافة *** والله رب العالمين حباكـا

إذ يتضح أن المراد من هذه الحجة الجاهزة هو التأكيد على أن هذا المحبوب جدير بهذا الحب الذي تدعيه الجارية، وهو النتيجة التي أسست لها معطيات مسبقة تقوم على حجج رتبت من حيث قوتها الإنجازية ترتيباً يخدم الهدف، ويمكن أن نوضح هذا الترتيب وفق السلم الحجاجي التالي:




كما يمكن لنا أن نرسم المسار الحجاجي لهذا الشاهد الشعري وفق هذا المخطط:

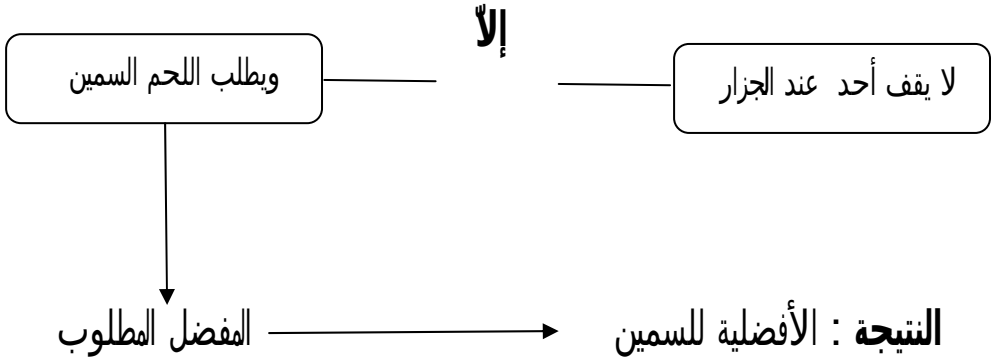


**-إلاّ :**

ويتمثل دورها الحجاجي في الربط بين قضيتين ،مع ترجيح الكفة للأطروحة التي تأتي بعدها، نحو ما ورد على لسان الجارية السمراء في ادعائها الأفضلية:

-ما رأيت أحداً يقف على الجزار إلاّ ويطلب اللحم السمين.

فالجارية أرادت ترجيح الكفة للحجة التي تخدم أطروحتها وذلك بحصرها بإلاّ ، على الشكل التالي:




تجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الروابط الحجاجية مثل : حتى، أن، لأن، مع ذلك...إلخ ، والتي لا تقل أهمية من نظائرها المذكورة، لم يتسن لنا بيان دورها الحجاجي من خلال النص، لأنها لم توظف أساساً.

# خاتمـــــــــــــــــــــة

## خاتمة

مما لا شك فيه – ونحن نقطع الشوط الأخير من هذه الدراسة التي ارتأينا من خلالها رفع اللثام على منهج لساني حديث، وتطبيقه على الخطاب العربي- أن تجاوز ما أقرته الدراسات اللسانية الوصفية بات أمراً لا مناص منه ،خاصة إذا ما تعلق الأمر بمعطيات جديدة دفعت الدارسين إلى الخروج من بوتقة التأريخ والمقارنة، إلى عوالم التقصي واستجلاء أثار اللغة من حيث هي استعمال وتغيير للواقع لا وصفاً له فقط، تحت مظلة منهج عرف بالمنهج التداولي.

والدراسات التداولية-كما هو معروف- اتجاه مستقل نتجت ضمنه العديد من النظريات اللسانية، التي جعلت من القصدية الخطابية منطلقاً رئيساً، في علاقتها بالمقام وعناصره وجملة المحددات التي تؤطر العلاقة بينهما ؛ على أن هذه الاهتمامات وإن كانت الأبحاث الغربية قد أولتها عظيم العناية من خلال التنظير والتطبيق معاً، فإن السبق في هذا الباب-مما لا ينكره إلاّ جاحد-كان ثمرة اجتهادات بلاغية عربية ضاربة في القدم، من خلال تنظيرات السكاكي والجرجاني والجاحظ وغيرهم، ممن أحاطوا المقصدية الإقناعية في علاقتها بالمقام بهالة من الاهتمام، جعلت من "لكل مقام مقال" لسان حال يصدح بتوجهاته التنظيرية وممارساتهم العملية على حد سواء.وهذا لا يعني أن التعصب والادعاء هو مثار هذا الطرح ، بل هي المادة العلمية التي فرضت على الكثير من الباحثين سبر أغوارها والإحاطة بما تفرق من شواردها، فجاءت محاولتنا بعد هذا أشبه بالقطرة من فيض المحيط، خاصة إذا ما تعلق الأمر بمزاوجة ما هو نظري بدراسة تطبيقية اجتهدنا في بلورة معالمها من خلال الوقوف على المقاصد الحجاجية للحكاية الشعبية العربية ممثلة في واحدة من قصص ألف ليلة وليلة، من منطلق أن هذه الأخيرة خطاب يقترب من حيث الصياغة إلى الخطاب العادي ، الذي اعتمدته النظريات التداولية محوراً للدراسة ، قالبة بذلك سلم الأولويات السوسيرية في التفريق بين ما هو تأدية فعلية( الكلام) ، وما هي قواعد تواضعية ذهنية(اللسان).

على أن دراستنا لحجاجية السردية العربية ممثلة في واحدة من قصص الليالي، انطلقت من فكرة مفادها أن هذه الحكايات هي بالفعل خطاب ، اعتماداً من الحد الذي قدمه " بنفست" والذي يقر بأن الخطاب هو كل مسار تواصلي يفترض متكلماً و مستمعاً ، يهدف الأول إلى التأثير في الثاني بطريقة أو بأخرى، لننتقل فيما بعد إلى التأكيد على منطلق ثانٍ ،هو أن القصص الشعبية شأنها في ذلك شأن كل الخطابات،تسعى إلى الإقناع واستمالة المتلقي، سواءً كانت هذه المقصدية مقصدية أساسية بني عليها الخطاب لحظة التلفظ به،أم فرعية طارئة تمخضت عنه بعد هذه النقطة، خاصة وأننا التمسنا مباركة العديد من اللسانيين لأن كل خطاب هو بالأساس حجاج، فالإنسان بمجرد أن يتلفظ بخطاب ،إنما هو يهدف إلى الإقناع والاستمالة من خلاله، بغض الطرف إن كان هذا التأثير يستهدف العقل أو الوجدان، وإلاّ تحول الكلام إلى مجرد هذيان.

واعتماداً على هذه المنطلقات شرعنا في رسم المسار التواصلي للقصة المنتقاة وهي حكاية " اليمني و الجواري الست"، والتي تبدت فيها مستويات الرواية متداخلة إلى حدٍ صعب فيه الفصل بين هذه المستويات، الأمر الذي دفعنا للإشارة إلى جميعها (المستويات الأربعة)، فيما اعتمدنا في التحليل على المستوى الثالث ، وهو الخطاب الذي صدر عن محمد البصري كمرسل، والخليفة المأمون كمتلقٍ، مستأنسين في ذلك بعلامات التلقي التي تبدت بصورة جلية على هذا المستوى، وبالتالي تثبت انجازيته، وإن كان هذا الطرح لا ينفي مطلقاً انجازية الحكاية على جميع المستويات، بل هي طبيعة النص التي تضمنت هذه المؤشرات ، في الوقت الذي كان فيه من الصعب علينا التأكيد عليها في المستوى الأول ، ونقصد به مستوى( المؤلف / القارئ) ،إلاّ من خلال الإشارة إلى تأثير هذا السفر العظيم ( كتاب ألف ليلة وليلة) على باقي الآداب خاصة الغربية منها، ولا على المستوى الثاني (شهرزاد/ شهريار)، إلاّ بما ورد عن أن شهرزاد حكت من أجل أن تحيا وشهريار استمع لكي يتمتع، الأمر الذي أفضى إلى نجاح شهرزاد في إنقاذ نفسها وبنات جنسها من الهلاك، من خلال إغراء الملك بحكايات عجيبة لمدة فاقت الألف ليلة ، وهو مؤشر على انجازية الحكايات ككل في الوقت الذي ننشد فيه التأكيد على حجاجية حكاية واحدة فقط، نزولاً عند متطلبات البحث الأكاديمي في هذا المستوى التي تتطلب الدقة والتخصيص لا العمومية.

وعليه فإنه وباعتمادنا على هذا المستوى نكون قد أسقطنا المستويين المشار إليهما، في الوقت الذي احتفظنا به بالمستوى الرابع ، وهو (مستوي الجواري/ الرجل اليمني )،كمعضد للمستوى المعتمد في التحليل، لأننا رأينا أن تحريك شخصيات الحكاية، يعد فعلاً سردياً تولاه المرسل لتحقيق مقصديته؛ الأمر الذي دعانا في ما بعد إلى استقراء جملة الظروف المحيطة بهذا المستوى، في إشارة منا على كفاءة المرسل السردية، وكفاءة المرسل إليه التأويلية، خاصة وأننا التمسنا غياباً شبه كلي لسلطة الأول المسبقة،إلاّ في مكمن واحد وهو حيازته على كم لا يستهان به من القصص والحكايات، مما أسهم بطريقة مباشرة في تمليكه سلطة موازية لسلطة الخليفة المأمون، ونقصد بها سلطة الخطاب القائمة على كفاءته المعرفية، مدعمة بالحظوة التي يتمتع بها ، والتي عكسها توجيه الخليفة طلبه بسرد الحكاية له دون غيره، في الوقت الذي كان فيه بالإمكان أن يوجهه إلى غيره من الندماء ممن حضر مجلسه.

والإشارة إلى سلطة الطرفين قادتنا إلى الحديث عن التقاطعات الاجتماعية والمعرفية واللغوية التي يتضمنها هذا المستوى، والتي وجدنا أنها لا تخرج عما تعارفت عليه الجماعات اللغوية، من وحدة اللغة والمعتقد والعرف، والإرث الفكري والتراثي.

أما عن محددات السياق المقامي فلم تتضح معالمها إلاّ بسبر أغوار عناصره الأخرى، ونقصد بها الإشاريات الشخصية و الزماكانية؛ فمن خلال الأولى استطعنا الكشف عن مواقع المرسل والمرسل إليه داخل الخطاب، في علاقتهما بمقصديته وطبيعة المسار التواصلي داخل الحكاية، مما أفضى إلى علاقة انعكاسية بين (أنا/ أنت) على مدار القسم الأول، نظراً للعلاقة التناظرية الحوارية بين الطرفين، لتنطلق العلاقة في ما بعد إلى علاقة نمطية لهذين الضميرين ،إذ اكتفى المرسل بالسرد والمرسل إليه بالاستماع ، إلاّ في الموضع الأخير من القصة، حيث عادت العلاقة بينهما إلى علاقة حوارية ، كشفت عن رد فعل المرسل تجاه ما سمع.

أما عن الإشاريات المكانية و الزمانية، فإن الكشف عنها لم يتح لنا إلاّ هامشاً بسيطاً من محددات هذا السياق، بسبب الطبيعة السردية للخطاب السردية الذي غابت في طياته هذه المؤشرات إلاّ فيما أشرنا إليه من خلال البحث، هذه المرتكزات اعتمدناها أرضية عمل للبرهنة على حجاجية القصة الشعبية العربية، انتهت بنا إلى تحديد مستويين لهذه المقصدية وهما:

**- مستوى الإثارة والتأثير:**

والذي وظف بمساحة كبيرة مقارنة بنظيره الاستدلالي ، نظراً لطبيعة الخطاب ، الذي يستهدف استمالة المتلقي ودغدغة عواطفه لأنه خطاب يهدف إلى الإمتاع والمؤانسة، وهو الأمر الذي لا يمكن أن ننفيه بمجرد أننا توجهنا في البحث توجهاً لسانياً حجاجياً، بل نحن نؤيده ونؤكده، من خلال اعتقادنا بأن الاستمالة والتأثير العاطفيين يعدان الوجه الآخر للحجاج الاستدلالي، باعتبار أن القاسم المشترك بينهما ، هو استهداف المتلقي .

والحجاج عبر هذا المستوى تبدى على محورين:

- محور الأفعال اللغوية: والتي تجلت بنمطين:

-النمط المباشر: الذي عكس سلطة المرسل إليه في أمره المرسل واستفهامه منه.

-ونمط غير مباشر: والذي سعى المرسل من خلاله إلى تعويض سلطته المنتفية ، بسبب وضعيته على السلم الاجتماعي، مقارنة بالمرسل إليه، إذ عمد إلى توجيه خطابه بما يخدم مقاصده، سواءً كانت هذه المقصدية إمتاعاً أو إقناعاً.

- محور الأساليب البلاغية : وقد وظف بمساحة واسعة، نظراً لفنية وجمالية الخطاب –محل الدراسة- خاصة فيما تعلق بالتشبيه الذي توزع بصورة مكثفة على مدار القصة ، تماشياً ومستوى الطبقة المتلقية( الطبقة العامة) التي تحتاج إلى تجسيد ما هو معنوي في صورة ما هو مادي يسهل بذلك تمثله.

كما كان للاستعارة أيضاً حظاً في التوظيف، ولكم بدرجة أقل شأناً، شأنها في ذلك شأن بقية الأساليب البيانية، والتي اكتفينا بالتلميح لها دون التعمق في دراستها، لأنها -حسب رأينا- لم توظف بالدرجة التي تستدعي ذلك.

وحجاجية الحكاية الشعبية العربية لم تتبد من خلال هذا المستوى فقط ،بل على مستوى ثانٍ وهو:

- **مستوى الاستدلال العقلي**: الذي يقوم على حجج شبه منطقية وواقعية؛ تراوحت الأولى بين ما بنى على أسس منطقية على غرار التعارض وعدم الاتفاق، وإلى ما بني على أسس رياضية، كعلاقة التعدية والتي احتلت مساحة لا يستهان بها، فيما تضمن الصنف الثاني ( الحجج الواقعية)، حججاً سلطوية استمدت قوتها الحجاجية من الشواهد القرآنية حيناً، والشعرية حيناً، والتقاطعات التراثية والفكرية أحايين أخرى، وهو مؤشر واضح على أهمية المعارف المشتركة، ومدى إسهامها في نقل الخطاب من مجرد وصف للواقع، إلى نص مكني مثقل بالدلالة و الإنجازية .

كل هذه الآليات ما كان المرسل ليرسم من خلالها معالم مساره التواصلي الحجاجي، دون أن يوظف بعض الروابط، التي أسهمت في نقل المعطيات الممكنة والمحتملة إلى قواعد ملزمة، أذعن لها المرسل إليه وانقاد إلى تصديقها، نحو: لكن ،إلاّ،الواو...إلخ، وإن كنا لم نلمس حضورها المكثف ، مقارنة بالمتوقع ، نظراً للغة الخطاب السردية الواصفة بالأساس.

كل هذه النتائج المتوصل إليها، تؤكد أن الحكاية الشعبية العربية -ممثلة في حكاية اليمني و الجواري الست- هي خطاب حجاجي، وحجاجيته من **النمط التوجيهي** القائم على **الادعاء والتبكيت** في نفس الوقت، وهو ما تبدى من خلال مناظرة الجواري القائمة على ادعاء الأفضلية في الوقت الذي تسعت فيه كل واحدة إلى تكذيب ضرتها ، اعتماداً على توقع الحجة مسبقاً ودحضها، وهي الآلية التي وظفها المرسل في حقيقة الأمر، إذ بنى خطابه على توقع رد فعل المرسل إليه، خاصة إذا علمنا أن الأطروحة المحتج لها (الجمال في علاقته بلون البشرة) ، هي حكم قيمي مطلق يحتمل أكثر من رأي ، وأن هذا المتلقي هو خليفة له خبرة كبيرة بالجواري، باعتبارهن عنصر هام في حياة الاجتماعية ككل؛ الأمر الذي أفضى إلى نهاية القصة دون اتفاق

موحد، بل بجمع كل الآراء والاحتفاظ بها، على الرغم من أننا نرى أن المقصدية الأساسية من وراء هذه المناظرة ليس التأكيد على أفضلية اللون ، بل الأفضلية القائمة على اتساع المعرفة وحسن البيان ، وهو الهدف الذي أصابه المرسل بقصته، إذ تحرك الخليفة المأمون بشأنها تحركاً ايجابياً، عندما أوعز إلى نديمه مهمة شراء الجواري،لانبهاره بقولهن لا بجمالهن لأنه لم يكن قد رآهن إلى ذلك الحين .

كل هذا يؤكد أن هذه الحكاية هي خطاب اتخذ من أساليب المتعة والمؤانسة قناة لاستثارة المتلقي عاطفياً والتأثير فيه، لينقل في مرحلة لاحقة إلى إقناعه وتحريك الشق المنطقي فيه، وكأن القصة الشعبية العربية لم تكتف بهذا المتلقي إلاّ مذعناً ومستأنساً، مقبلاً بعقله ووجدانه، بغض النظر إن كان هذا الإقناع مقصدية أساسية أو فرعية طارئة، فكثيراً ما تتحول اللعبة إلى انجاز متقن، واللغة لا تختلف كثيراً عن ذلك، فهي أشبه بالمتفجرات إضافة عنصر واحد يمكنه أن يتسبب في انفجار خطير، فحذار من اللعب بنار الكلمات ، فقد تتحول اللعبة إلى فعل قاتل أو إنجاز عظيم.

# المدونـــــــــــــــــة

## حكاية اليمني والجواري الست

ومما يحكى أن أمير المؤمنين المأمون، جلس يوماً من الأيام في قصره وأحضر رؤساء دولته وأكابر مملكته جميعاً، وكذلك أحضر الشعراء والندماء بين يديه. وكان من جملة ندمائه نديم يسمى محمد البصري. فالتفت أليه المأمون وقال له: يا محمد، أريد منك في هذه الساعة أن تحدثني بشيء ما سمعته قط.فقال له: يا أمير المؤمنين أتريد أن أحدثك بحديث سمعته بأذني أو بأمر عاينته ببصري.فقال المأمون : حدثني يا محمد بالأغرب منهما.فقال:اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان في الأيام الماضية رجل من أرباب النعم وكان موطنه باليمن،ثم إنه ارتحل من اليمن إلى مدينة بغداد هذه ،فطاب له مسكنها،فنقل أهله وماله وعياله إليها.

وكان له ست جوار كأنهن الأقمار:الأولى بيضاء والثانية سمراء،والثالثة سمينة والرابعة هزيلة والخامسة صفراء والسادسة سوداء.وكن حسان الوجوه كاملات الأدب عارفات بصناعة الغناء وآلات الطرب؛فاتفق انه أحضر هؤلاء الجواري بين يديه يوماً من الأيام وطلب الطعام والمدام ،فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم ملأ الكأس ،وأخذه في يده وأشار للجارية البيضاء وقال لها:يا وجه الهلال،أسمعينا من لذيذ المقال. فأخذت العود وأصلحته ورجعت عليه الألحان حتى رقص المكان. ثم أطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات :[من الخفيف]

لي حبيب خياله نصب عيـ ـ ـ ـني  واسمه في جوارحي مكنـ ـ ـون
إن تذكرته فكلي قلـ ـ ـ ـ ـ ـوب  أو تأملته فكلي عيـ ـ ـ ـ ـون
قال لي عاذل: أتسلو هـ ـ ـ ـ ـواه  قلت : مالا يكون كيف يكـون
قلت: يا عاذلي امض عني ودعنـ ـي  لا تهون علي ما لا يهـ ـ ـ ـون

فطرب مولاهن وشرب قدحه وسقى الجواري،ثم ملأ الكأس وأخذه في يده وأشار إلى الجارية السمراء وقال لها: يا نور المقباس وطيبة الأنفاس،أسمعينا صوتك الحسن الذي من سمعه

افتتن. فأخذت العود ورجعت علية الألحان حتى طرب المكان .وأخذت القلوب باللفتات وأنشدت هذه الأبيات:[من الكامل]

وحياة وجهك لا أحب سـ ـ ـواك حتى أموت ولن أخون هواكـا
يا بدرتم بالجمال مبرقـ ـ ـ ـ ـعاً كل الملاح تسير تحت لواكـ ـا
أنت الذي فقت الملاح لطافـ ـ ـ ـة الله رب العالمين حباكـ ـ ـ ـا

فطرب مولاهن وشرب الكأس وسقى الجواري،ثم ملأ القدح وأخذه في يده وأشار إلى الجارية السمينة وأمرها بالغناء وتقليب الأهواء.فأخذت العود وضربت عليه ضرباً يذهب الحسرات وأنشدت هذه الأبيات:[من البسيط]

إن صح منك الرضى يا من هو الطلـب فلا أبالي بكل الناس إن غضبـوا
وإن تبدى محيال الجميل فلـ ـ ـ ـ ـم أعبأ بكل ملوك الأرض لو حجبوا
قصدي رضاك من الدنيا بأجمعـ ـ ـها يا من إليه جميع الحسن ينتسـب

فطرب مولاهن وشرب الكأس وسقى الجواري،ثم ملأ القدح وأخذه في يده وأشار إلى الجارية الهزيلة وقال: يا حور الجنان اسمعينا الألفاظ الحسان .فأخذت العود وضربت عليه أحسن الضربات وأنشدت هذه الأبيات:[من الطويل]

ألا في سبيل الله ما حلّ بي منكما بصدك عني حيث لا صبر لي عنكا
ألا حاكم في الحب يحكم بينـنا فيأخذ لي حقي وينصفني منكـ ـا

فطرب مولاهن وشرب الكأس وسقى الجواري،ثم ملأ القدح وأخذه في يده وأشار إلى الجارية الصفراء، وقال:يا شمس النهار اسمعينا من لطيف الأشعار،فأخذت العود ،وضربت عليه أحسن الضربات وأنشدت هذه الأبيات:[ من الخفيف]

لي حبيب إذا نظرت إليه سلّ سيفاً علي من مقلتيـ ـ ـ ـه
أخذ الله بعض حقي منه إذ جفاني ومهجتي في يديـ ـ ـه
كلما قلت يا فؤادي دعه لا يميل الفؤاد لا يميل الفؤاد إلاّ إليه
هو سؤلي من الأنام ولكن حسدتني عين الزمان عليـ ـ ـه

فطرب مولاهن وشرب الكأس وسقى الجواري،ثم ملأ القدح وأخذه في يده وأشار إلى الجارية السوداء،وقال: يا سوداء العين أسمعينا ولو كلمتين.فأخذت وأصلحته وشدت أوتاره وضربت عليه عدة طرق،ثم رجعت إلى الطريقة الأولى ،وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:[ من الوافر]

ألا يا عين بالعبرات جـودي فوجدي قد عدمت به وجودي
أكابد كل وجد من حبيـب ألفت به ويشمت بي حسودي
وتمنعني العواذل ورد خـ ـد ولي قلبي يحن على الـ ـورود
لقد دارت هناك كؤوس راح بأفراح لدى ضرب وعـ ـود
ووافاني الحبيب فهمت فيـه وأشرق بالوفى نجم السعـود
تصدى للصدود بغير ذنـب وهل شيء أمر من الصـدود
وفي وجناته ورد جـ ـ ـني فيا لله من ورد الخـ ـ ـدود
فلو أن السجود يحل شرعـاً لغير الله كان له سجـ ـودي

ثم بعد ذلك قامت الجواري ،وقبلن الأرض بين يدي مولاهن،وقلن له :أنصف بيننا يا سيدي .فنظر مولاهن إلى حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ،ثم قال لهن: ما منكن إلاّ وقد قرأت القرآن وتعلمت الألحان وعرفت أخبار المتقدمين ،واطلعت على سير الأمم الماضين،وقد اشتهيت أن تقوم كل واحدة منكن وتشير بيدها إلى ضرتها،يعني أن تشير البيضاء إلى السمراء، والسمينة على الهزيلة،والصفراء إلى السوداء،وتمدح كل واحدة

منكن نفسها وتذم ضرتها،ثم تقوم ضرتها وتفعل مثلها، ولكن بدليل من القرآن الشريف وشيء من الأخبار والأشعار،للنظر أدبكن وحسن ألفاظكن،فقلن سمعاً وطاعة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت:بلغني أيها الملك السعيد،أن الرجل اليمني قالت له جواريه: سمعاً وطاعة؛ ثم قامت أولاهن وهي البيضاء، وأشارت إلى السوداء :أنا البدر الطالع لوني ظاهر وجبيني زاهر في الحسن. قال الشاعر:[ من البسيط]

بيضاء مصقولة الخدين ناعمـ ـة كأنها لؤلؤ في الحسن مكنون
فقدها ألف يزهو ومبسمـ ـها ميم وحاجبها من فوقه نون
كأن ألحاظها نبل وحاجبـ ـها قوس على أنه بالموت مقرون
الخد والقد والجيد ووجنتـ ـها ورد وآس وريحان ونسريـن
والغصن يعهد في البستان مغرسه وغصن قدك لم تشهده بساتين

فلوني مثل النهار الهني و الزهر الجني والكوكب الدري.وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز لنبيه موسى عليه السلام:أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء .وقال تعالى: وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون.فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية، وعلى مثلي يحسن الملبوس وإليه تميل النفوس، وفي البياض فضائل كثيرة منها: أن الثلج ينزل من السماء أبيض. وقد ورد أن أحسن الألوان البياض،ويفتخر المسلمون بالعمائم البيض.و لو ذهبت أذكر فيه من المدح لطال الشرح، ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى. وسوف أبتدي بذمك يا سوداء يا لون المداد وهباب الحداد و وجه الغراب المفرق بين الأحباب. وقد قال الشاعر يمدح البياض ويذم السواد:[ من الطويل]

ألم تر أن الدر يغلو بلونـ ـه وأن سواد الفحم حمل بدرهـم
وأن الوجوه البيض تدخل جنة وأن الوجوه السود حشو جهنم

وقد ورد في بعض الأخبار المروية عن الأخيار، أن نوحاً عليه السلام نام في بعض الأيام وولداه سام وحام جالسان عند رأسه، فجاء ريح فرفعت أثوابه وانكشفت عورته. فنظر إليه حام وضحك ولم يغطه فقام سام و غطّاه. فانتبه أبوهما من منامه وقد علم بما جرى من ولديه، فدعا لسام ودعا على حام. فابيض وجه سام وجاءت الأنبياء والخلفاء الراشدون والملوك من أولاده ،واسود وجه حام وخرج هارباً إلى بلاد الحبشة وجاءت السودان من نسله وقد أجمعت الناس على قلة عقل السودان ،وفي المثل يقول القائل : كيف يوجد أسود عاقل؟

فقال لها سيدها: اجلسي ففي هذا القدر كفاية،فقد أسرفت.ثم أشار إلى السوداء فقامت وأشارت بيدها على البيضاء وقالت: أما علمت أنه ورد في القرآن المنزل على نبيه المرسل قول الله تعالى: والليل إذا يخشى والنهار إذا تجلى. لولا أن الليل أجل لما أقسم به وقدمه على النهار،وقبلته ألوف البصائر والأبصار.أما علمت أن السواد زينة الشباب فإذا نزل المشيب ذهبت اللذات ودنت أوقات الممات، ولو لم يكن أجلّ الأشياء ما جعله الله في حبة القلب والناظر، وما أحسن قول الشاعر:[ من البسيط]

لم أعشق السمر إلاّ من حيازتهـم  لون الشباب وحب القلب والحدق
لا ما سلوت بياض البيض من غلظ  إني من الشيب والأكفان من فرق

وقول الآخر :[من المجزوء الرجز]

السمر دون البيض هم  أولى بعشقي وأحـق
السمر في لون اللمى  والبيض في لون البهق

وقول آخر:[من الكامل]

سوداء بيضاء الفعال كأنهـا  مثل العيون تخص بالأضـواء
أنا إن جننت بحبها لا تعجبـوا  أصل الجنون يكون بالسوداء
فكأن لوني في الدياجي غيهب  لولاه ما قمر أتى بضيـاء

وأيضاً،فهل يحسن اجتماع الأحباب إلاّ في الليل؟ فيكفيك هذا الفضل والنبل.فما ستر الأحباب عن الواشين واللوام مثل سواد الظلام،ولا خوفهم من الافتضاح مثل بياض الصباح.فكم للسواد من مآثر وما أحسن قول الشاعر:[ من البسيط]

أزورهم و سواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وقول آخر:[ من الطويل ]

وكم ليلة بات الحبيب مؤانسي وقد سترتنا من دجاها ذوائب
فلما بدا نور الصباح أراء ـني فقلت له:إن المجوس كواذب

وقول آخر:[من البسيط]

وزارني في قميص الليل مستتـراً يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
وقمت أفرش خدي في الطريق له ذلاً وأسحب أذيالي على أثـ ـ ـري
ولاح ضوء هلال كاد يفضحـنا مثل القلامة قد قدت من الظفـ ـر
وكان ما كان مما لست أذكـره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبـ ـ ـر

وقول آخر:[ من البسيط]

لا تلق إلاّ بليل من تواصله فالشمس نمامة والليل قواد

وقول آخر:[ من البسيط]

لا أعشق الأبيض المنفوخ من سمن لكنني أعشق السمر المهازيـ ـلا
إني امرؤ أركب المهر المضمـر في يوم الرهان وغيري يركب الفيلا

وقول آخر:[ من مجزوء الرمل]

زارني المحبوب ليـ ـ ـ ـلاً فتعانقنا جميـ ـ ـعاً
ثم بتنا وإذا قـ ـ ـ ـ ـ ـد طلع الصبح سريـ ـعا
أسأل الله إلهـ ـ ـ ـ ـ ـي يجمع الشمل رجوعاً
ويديم الليل لي مـ ـ ـ ـ ـا دام لي الإلف ضجيعا

ولو ذهبت أذكر ما في السواد من المدح لطال الشرح، ولكنى ما قلّ وكفى خير مما كثر وما وفى.وأما أنت يا بيضاء ،فلونك لون البرص ووصالك من الغصص. وقد ورد أن البرد والومهرير في جهنم لعذاب أهل النكير.ومن فضيلة السواد أن منه المداد الذي يكتب به كلام الله . ولولا سواد المسك والعنبر ما كان الطيب يحمل للملوك ولا يذكر. وكم للسواد من مفاخر وما أحسن قول الشاعر:[ من الكامل]

ألم تر أن المسك يعظم قدره وأن بياض الجير حمل بدرهم
وأن بياض العين يقبح بالفتى وأن سواد العين يرمي بأسهم

فقال لها سيدها:اجلس ففي هذا القدر كفاية فجلست.ثم أشار إلى الجارية السمينة فقامت،وأشارت بيدها إلى الهزيلة وكشفت عن سيقانها ومعاصمها وكشفت عن بطنها،فبانت طيّاته وظهر تدوير سرتها، ثم لبست قميصاً رفيعاً ،فبان منه جميع بدنها وقالت: الحمد لله الذي خلقني فأحسن صورتي،وسمنني فأحسن سمنتي وشبهني بالأغصان وزاد في حسني وبهجتي،فله الحمد على ما أولاني وشرفني إذ ذكرني في كتابه العزيز،فقال تعالى: وجاء بعجل سمين وجعلني كالبستان المشتمل على خوخ ورمان.وإن أهل المدن يشتهون الطير السمين، فيأكلون منه ولا يحبون طيراً هزيلاً.وبنو آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه. وكم للسمن من مفاخر وما أحسن قول الشاعر:[من البسيط]

دع حبيبك إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجـل
كان مشيتها في بيت جارتها مشي السمينة لا عيب ولا ملل

وما رأيت أحداً يقف على الجزار إلاّ ويطلب منه اللحم السمين. وقالت الحكماء: اللذة في ثلاثة أشياء:أكل اللحم والركوب على اللحم وإدخال اللحم في اللحم.وأما أنت يا رفيعة،فسيقانك كسيقان العصفور ومحراك التنور،وأنت خشبة المصلوب ولحم المعيوب. وليس فيك شيء بسر الخاطر كما قال فيك الشاعر:[من البسيط]

أعوذ بالله من الأشياء تحوجني إلى مضاجعة كالدلك بالمسـد
في كل عضو لهل قرن يناطحني عند المنام فأمسي واهي الجسـد

فقال لما سيدها:اجلسي ففي هذا القدر كفاية .فجلست.ثم أشار على الهزيلة فقامت كأنها غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وقالت: الحمد الله الذي خلقني فأحسنني وجعل وصلي غاية المطلوب وشبهني بالغصن الذي تميل إليه القلوب.فإن قمت قمت خفيفة و إن جلست جلست ظريفة.فأنا خفيفة الروح عند المزاح طيبة النفس من الارتياح. وما رأيت أحداً وصف حبيبه فقال:حبيبي قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل،و إنماحبيبي له قد أهيف وقوام مهفهف.فاليسير من الطعام يكفيني والقليل من الماء يرويني.لعبي خفيف ومزاحي ظريف وأنا أنشط من العصفور وأخف حركة من الزرزور.وصلي منية الراغب ونزهة الطالب.وأنا مليحة القوام حسنة الابتسام كأني غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان. وليس لي في الجمال مماثل كما قال فيّ القائل:[من المتقارب]

شبهت قدك بالقضيب وجعلت شكلك من نصيبي
وغدوت خلفك هائماً خوفاً عليك من الرقيـب

وفي مثلي تهيم العشاق ويتوله المشتاق،و إن جذبني انجذبت إليه وإن استمالني ملت له لا عليه. وها أنت ياسمينة،فإن أكلت الفيل ولا يشبعك كثير ولا قليل، وعند الاجتماع لا يستريح معك خليل،ولا يجد في راحته معك سبيل.فكبر بطنك يمنعه من جماعك، وعن التمكن من فرجك يدفعه غلظ أفخاذك، أي شيء في غلظك من الملاحة؟ أو في فضاضتك من اللطف

والسماحة؟ ولا يليق باللحم السمين غير الذبح،وليس فيه شيء من موجبات المدح. إن مازحك أحد غضبت وأن لاعبك حزنت،فإن غنجت شخرت وإن مشيت لهثت، وإن أكلت ما شبعت. وأنت أثقل من الجبال وأقبح من الخبال والوبال،مالك حركة ولا فيك بركة وليس لك شغل إلاّ الأكل والنوم. وإن بلت شرشرت وإن تغوطت بطبطت كأنك زق منفوخ أو فيل ممسوخ.إن دخلت بيت الخلاء تريدين من يغسل لك فرجك وينتف من فوقه شعرك وهذا غاية الكسل وعنوان الخبل. وبالجملة ليس فيك شيء من المفاخر وقد قال فيك الشاعر:[من البسيط]

ثقيلة مثل زق البول منتفـ ـ ـ ـخ أوراكها كعواميد من الجـ ـبـل
إذا مشت في بلاد الغرب أو خطرت سرى إلى الشرق ما تبدي من الهبل

فقال لها سيدها:اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست.ثم أشار إلى الصفراء وقامت على قدميها وحمدت الله وأثنت عليه،وأتت بالصلاة والسلام على خيار خلقه لديه. ثم أشارت بيدها على السمراء وقالت: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت بلغني أيها الملك السعيد،أن الجارية الصفراء قامت على قدميها وحمدت الله وأثنت عليه،ثم أشارت بيدها على السمراء وقالت لها: أنا المنعوتة في القرآن ووصف لوني الرحمان وفضله على سائر الألوان بقوله تعالى في كتابه المبين: صفراء فاقع لونها تسر الناظرين،فلوني آية وجماعي غاية وحسني نهاية، لأن لوني لون الدينار ،ولون النجوم و الأقمار و التفاح،وشكلي شكل الملاح ولون الزعفران يزهو على سائر الأوان . فشكلي غريب ولوني عجيب وأنا ناعمة البدن غالية الثمن وقد حويت كل معنى حسن،ولوني في الوجود عزيز مثل الذهب الإبريز، وكم من مآثر،وفي مثلي قال الشاعر:[من البسيط]

لما اصفرار كلون الشمس في البهج وكالدنانير في الحسن من النظـر
ما الزعفران يحاكي بعض بهجتـها كلا ومنظرها يعلو على القمـر

وسوف أبتدي بذمك يا سمراء اللون، فلونك لون الجاموس تشمئز منه النفوس.إن كان لونك في شيء فهو مذموم وإن كان في الطعام فهو مسموم، فلون لون الذباب وفيه بشاعة الكلاب وهو محير بين الألوان ومن علامات الأحزان. وما سمعت قط بذهب أسمر ولا در ولاجوهر،إذا دخلت الخلاء تغير لونك وإذا خرجت ازددت قبحاً على قبحك.فلا أنت سوداء فتعرفي ولا أنت بيضاء فتوصفي. وليس لك شيء من المآثر كما قال فيك الشاعر:[البسيط]

لون الهباب لها لون فغبرتها كترب ترهسه في أقدام قصـادي
لما نظرت إليها قمت أرمقها وقد تزايد بي همي وإنكـ ـادي

فقال لها سيدها :اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست. ثم أشار إلى السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال، لما جسم ناعم وشعر فاحم معتدلة القد موردة الخد ،ذات طرف كحيل وخد أسيل ووجه مليح ولسان فصيح وخصر نحيل وردف ثقيل. ثم قالت الحمد الله الذي خلقني لا سمينة مذمومة ولا هزيلة مهضومة ولا بيضاء كالبرص ولا صفراء كالمغص ولا سوداء بلون الهباب ، بل جعل لوني معشوقاً لأولي الألباب وسائر الشعراء يمدحون السمر بكل لسان ويفضلون ألوانهم على سائر الألوان. فاسمر اللون حميد الخصال والله در من قال:[من الطويل]

وفي السمر معنى لو علمت بيانه لما نظرت عيناك بيضاً ولا حمرا
لباقة ألفاظ وغنج لواحـ ـظ يعلمن هاروت الكهانة والسحرا

وقال آخر:[من البسيط]

من لي بأسمر تروي من معاطفه السمر الرشاق العوال السمهريات
ساج الجفون حريري العذار له في قلب عاشقه المضني مقامـات

وقول الآخر:[ من الكامل]

بالروح أسمر نقطة من لونـ ـ ـه تدع البياض يفاخر الأقمـارا
ولو استقل من البياض بمثلـ ـ ـها لتبدلت منه الملاحة عـ ـارا
ما من سلافته سكرت وإنمـ ـ ـا تركت سوالفه الأنام سكارى
حسد المحاسن بعضها حتى استهت كل المحاسن أن تكون عـذارا

وقوله:[ من الكامل]

لم لا أميل إلى العذار إذا بدا من أسمر كالصعدة السمراء
مع أنه قصص المحاسن كلها في نملة الأنفال للشعـ ـراء
ورأيت كل العاشقين تهتكوا في الخال تحت المقلة السوداء
أتلومني العذّال في من كلـه خال فخلوني من السفهـاء

فشكلي مليح وقدي رجيح ولوني ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غني وصعلوك، وأنا لطيفة خفيفة مليحة ظريفة ناعمة البدن غالية الثمن.و قد كملت في الملاحة والأدب والفصاحة فظاهري مليح ولساني فصيح ومزاحي خفيف ولعبي ظريف.وأمّا أنت فمثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق. فتعساً لك يا قدرة الرواس ويا صدأ النحاس وطلعة البوم وطعام الزقوم.فضجيعك مضيق الأنفاس مقبور في الأرماس وليس لك في الحسن مآثر. وفي مثلك قال الشاعر:[من الطويل]

عليها اصفرار زاد من غير علة يضيق له صدري وتوجعني راسي
إذا لم تتب نفسي فإني أذِلهـا بلثم محياه فتقلع أضراسـ ـ ـي

فلما فرغت من شعرها قال لها سيدها:اجلسي ففي هذا القدر كفاية.ثم بعد ذلك .وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الجارية لما فرغت من شعرها قال لها سيدها: اجلسي ففي هذا القدر كفاية. ثم بعد ذلك أصلح بينهن وألبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية. فما رأيت يا أمير المؤمنين في مكان ولا زمان أحسن من هؤلاء

الجواري الحسان. فلما سمع المأمون هذه الحكاية من محمد البصري أقبل عليه وقال له: يا محمد هل تعرف لهؤلاء الجواري وسيدهن محلاً؟ وهل يمكنك أن تشتريهن لنا من سيدهن؟ فقال له محمد:يا أمير المؤمنين، قد بلغني أن سيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مفارقتهن.

قفال المأمون: خذ معل إلى سيدهن في كل جارية عشرة آلاف دينار، فيكون مبلغ ذلك الثمن ستين ألف دينار، فاحملها صحبتك وتوجه إلى منزله واشترهن منه. فأخذ محمد البصري منه ذلك القدر وتوجه به، فلما وصل إلى سيدهن أخبره بأن أمير المؤمنين يريد اشتراءهن منه يذلك المبلغ. فسمح ببيعهن لأجل خاطر أمير المؤمنين وأرسلهن إليه. فما وصلت الجواري إلى أمير المؤمنين هيأ لهن مجلساً لطيفاً وصار يجلس فيه معهن وينادمنه، وقد تعجب من حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن وحسن كلامهن. وقد استمر على ذلك مدة من الزمان، ثم إن سيدهن الأول الذي باعهن، لما لم يكن له صبر على فراقهن. أرسل كتاباً إلى أمير المؤمنين المأمون يشكو إليه فيه ما عنده من الصبابات ومن صمنه هذه الأبيات:[ من الخفيف]

سلبتني ست ملاح حســ ـان فعلى الستة الملاح سلامي
هن سمعي وناظري وحيـ ـاتي وشرابي ونزهتي وطعامـ ـي
لست أسلو من حسنهن وصالاً ذاهب بعدهن طيب منامي
آه يا طول حسرتي وبكائـ ـي ليتني ما خلقت بين الأنام
وعيون قد زانهن جفـ ـ ـ ـون كقسي رميتني بسهـ ـام

فلما وقع الكتاب في يد الخليفة المأمون، كسا الجواري من الملابس الفاخرة وأعطاهن ستين ألف دينار وأرسلهن إلى سيدهن. فوصلن إليه وفرح بهن غاية الفرح أكثر مما أتى إليه من المال. وأقام معهن في أطيب العيش وأهناه إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات.

# قائمة المصادر والمراجـــــــــع

# قائمة المصادر والمراجع

## I.المصادر:

**القرآن الكريم**

1.ألف ليلة وليلة،دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1999، ج1-ج 3.

## II.المراجع:

### أولاً: المراجع العربية:

1. إبراهيم عبد الله ـ التلقي والسياقات الثقافية. دار الكتاب الجديد المتحدة ودار أوبا للنشر والتوزيع .لبنان /ليبيا . د/ط.2000.

2. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ المتخيل السردي –مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة- المركز الثقافي العربي. بيروت.1990.

3. ابراهيم نبيلة: أشكال التعبير في الأدب الشعبي .دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.القاهرة.ط03.د/ت..

4. ابن خلدون: المقدمة. دار الكتب العلمية.لبنان.ط9. 1428هـ/ 2006.

5. ابن كثير بن اسماعيل بن عمر أبو الفداء:تفسير القرآن العظيم،دار الكتاب الحديث،د/ط،د/ت،ج04.

6. ابن منظور :لسان العرب ،دار صادر بيروت ،المجلد الرابع ،ط1 ،2000.

7. بدير حلمي: أثر الأدب الشعبي في الأدب الفصيح. دار الوفاء. الإسكندرية. د/ط.2000.

8. البطبوطي ماهر:الرواية الأم ألف ليلة وليلة والآداب العالمية –دراسة في الأدب المقارن- مكتبة الأداب .القاهرة.د/ط. 2005.

9. بلخير عمر:تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية.منشورات الاختلاف.الجزائر.ط1. 2003.

10. بورايو عبد الحميد :المسار السردي وتنظيم المحتوى –دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة- دار السبيل للنشر والتوزيع. الجزائر.د/ط.2008.

11. بومزبر الطاهر: التواصل اللساني والشعرية- مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون- الدار العربية للعلوم-ناشرون/ منشورات الاختلاف.لبنان/الجزائر.ط1 .2007 .

12. الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر: البيان والتبيين.دار إحياء التراث العربي.لبنان.د/ط. 1986.المجلد 1.

13. الجرجاني عبد القاهر: ـ أسرار البلاغة في علم البيان.تح/ محمد الإسكندراني و م مسعود.دار الكتاب العربية.د/ط. 1426هـ/ 2005.

14. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ دلائل الإعجاز. تح/ محمود محمد شاكر .مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة.ط3 .1413هـ/1992م .

15. حرب طلال: أولية النص –نظرات في النقد والقصة والأسطورة في الأدب الشعبي- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.بيروت.د/ط.1999.

16. حسان تمام: الأصول –دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو،فقه اللغة، البلاغة، - تمام حسان، علم الكتب ،القاهرة، 1425هـ/2004م.

17. الحسن شاهر: علم الدلالة السمانتيكية والبراخماتية في اللغة العربية. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الأردن.ط1. 2001.

18. حمدي محمد بركات أبو علي: البلاغة في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق.دار وائل للنشر والتوزيع.الأردن.ط1 .2003.

19. خان صديق حسن: فتح البيان في مقاصد القرآن- تفسير سلفي أثري خالٍ من الإسرائيليات والخرافات- مطبعة العاصمة. القاهرة.د/ط. د/ت. ج 3.

20. خضير محمد أحمد: التركيب والدلالة والسياق-دراسة تطبيقية- مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. د/ط.2005.

21. خليل عبد المنعم: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين-دراسة لغوية نحوية دلالية- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.الإسكندرية .ط1. 2007.

22. درويش أحمد :تقنيات الفن القصصي عبر الراوي والحاكي.الشركة المصرية العالمية للنشر.لونجمان. القاهرة. ط1. 1998.

23. الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم( من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري) بنيته وأساليبه.عالم الكتب الحديث. الأدرن.د/ط. 2008.

24. رضا السيد محمد رشيد :تفسير القرآن الحكيم- تفسير المنار.دار المنار. مصر.ط4 1373هـ/ 1954.مج 1.

25. زايد علي عشيري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة.د/ط. 2006.

26. السكاكي أبي يعقوب يوسف : مفتاح العلوم. ضبطه: نعيم زرزور.دار الكتب العلمية. لبنان. ط2. 1987.

27. سليمان موسى: الأدب القصصي عند العرب.دار الكتاب اللبناني.ط3.د/ت.

28. السيد عبد الحميد مصطفى : دراسة في اللسانيات العربية (المشاكلة ،التنغيم ،رؤى تحليلية) دار حامد للنشر والتوزيع، عمان،ط1.2004.

29. شبعان علي: الحجاج وآفاق التأويل( بحث في الأشكال والإستراتيجيات).دار الكتاب الجديد. لبنان. ط1.مارس 2008.

30. الشهري عبد الهادي بن ظافر :استراتيجيات الخطاب.دار الكتاب الجديد المتحدة.لبنان.ط1. 2004.

31. شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفلكلور و الأساطير العربية.مكتبة مدبولي.القاهرة. ط2. 1996.

32. الصباغ رمضان: النظرية الجمالية عند ستيفن بيير. دار الوفاء لدنيا النشر والتوزيع. الإسكندرية.د/ط. د/ت.

33. الصباغ مرسي: دراسات في الثقافات الشعبية.دار الوفاء.الإسكندرية.د/ط . 2000.

34. صحراوي مسعود: التداولية عند العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني- دار الطليعة للطباعة والنشر.بيروت.ط1. تموز 2005.

35. صمود حمادي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم( فريق البحث في البلاغة والحجاج). مطبوعات جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.تونس 1 .المجلد XXX1X.

36. صولة عبد الله :الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية.دار الفرابي.ط2. 2007.ج1، ج2.

37. الطلبة محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر- دار الكتاب الجديد المتحدة. لبنان. ط1. حزيران 2008.

38. طه عبد الرحمان: - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي.المركز الثقافي العربي.الدار البيضاء.د/ط. 1998.

39. ـ ـ ـ ـ ـ ـ في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. المؤسسة الحديثة للنشر التوزيع.ط1. يناير 1997.

40. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة. الرباط.د/ت،د/ط.

41. عبد المجيد جميل: ـ بلاغة النص – مدخل نظري ودراسة تطبيقية- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة.د/ط. 1999.

42. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ البلاغة والاتصال ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرةد/ط،2000.

43. عجينة محمد: موسوعة أساطير العربية –عن الجاهلية ودلالتها- دار محمد علي / دار الفرابي.لبنان/ تونس.د/ط.2005.

44. عشير عبد السلام: عندما نتواصل نغير – مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج. إفريقيا الشرق.تونس.د/ط. 2006.

45. العسكري أبو الهلال :الصناعتين .تح / علي محمد البجاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم .دار الفكر العربي .لبنان .ط2 .د/ت .

46. عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة- مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي- دار العربية للعلوم ناشرون /منشورات الاختلاف. لبنان/ الجزائر. ط1. 2009.

47. العمري أحمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي.دار الثقافة. الدار البيضاء. ط1. 1993.

48. فضل صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص.عالم المعرفة.الكويت.د/ط.أغسطس 1992 .

49. قاسم سيزا: بناء الرواية –دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ- الهيئة المصرية العامة للكتاب.د/ط. 1984.

50. قريش روزلين ليلى: القصة الشعبية ذات الأصول العربي. ديوان المطبوعات الجامعية.د/ط. 2007.

51. الكردي عبد الرحيم: الراوي والنص القصصي. دار النشر للجامعات. القاهرة.ط2. 1996 .

52. لحمداني حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط3. 2000.

53. مقبول إدريس :الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحو عند سبويه. دار الكتاب العالمي/عالم الكتاب الحديث. الأردن.ط1. 2007.

54. المعايطة ريم فرحان: براغماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة. اليازوردي العلمية للنشر والتوزيع. عمان .د/ط. 2008.

55. يقطين سعيد: قال الراوي البنية الحكائية في السيرة الشعبية. المركز الثقافي العربي الدار البيضاء.ط1 . 1997.

## ثانياً: المراجع المترجمة

1. ارمينكو فرانسواز: المقاربة التداولية. تر/سعيد علوش. مركز الإنماء القومي .الرباط.د/ط. 1986.

2. ايكو أمبرتو :القارئ في الحكاية- التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية- تر/ لأنطوان أبو زيد . المركز الثقافي العربي.بيروت. د/ط . 2001.

3. سيرفوني جان: الملفوظية.تر/ قاسم مقداد.منشورات اتحاد الكتاب العرب. القاهرة.د/ط. 1998.

4. فان ديك: النص والسياق. تر/ عبد القاهر قنين. أفريقيا الشرق.المغرب. د/ط. 2000.

## ثالثاً: المراجع الأجنبية

1. Armengaud Françoise : La pragmatique . presses universitaire de France .paris. 4éme édition corrigé. mars1999.

2. Chaim perlman et Lucie Olbrechs –tyteca . Traité de l'argumentation . Editions de L'université de Bruxelles., 6éme édion. 2008.

3. jacques moeschler , Anne reboul Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique .édition du seuil .octobre 1995.

4. Maingueneau Dominique: Pragmatique pour le discours littéraire. Nathan université. paris. 2001.

5. Marie-Anne Paveau et Georges-élia Sarfati : les grandes théories de la linguistique – de la gramaire comparée à la pragmatique- édition Armand colin , France. décembre 2003 .

6. Ruth AMOSSY : L'argumentation dans le discours. Armand colin éditeur .paris, 2e édition.2006.

**رابعاً: الدوريات**

1. مجلة عالم الفكر :وزارة الإعلام ،الكويت ، المجلد الثالث ،العدد الأول ،أبريل 1972.

2. مجلة اللغة والأدب ،قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة الجزائر ،العدد 17،جانفي 2006.

3. مجلة المبرز: مجلة فكرية أدبية تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية ، الجزائر،1998.

**خامساً: الرسائل الجامعية:**

1.بن عروس مفتاح: الاتساق والانسجام في القرآن –رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة ـ تخصص لسانيات نص .جامعة الجزائر.2007-2008.

# الفهـــــــــــــــــرس

**فهرس المواضيع:** **الصفحة**

مقدمة
تمهيد.....2-6
الفصل الأول: بين الحجاج والسياق..... 7
أولاً الحجاج.....8
I.–أهم الدراسات المتعلقة بالحجاج.....9
أ-الحجاج عند الغرب.....9
أ-1- الحجاج في البلاغة اليونانية.....9-15
أ-2- الحجاج حديثاً.....15-19
ب-الحجاج عند العرب.....19
ب-1- الحجاج في التراث العربي.....19-22
ب-2- الحجاج في الدراسات اللسانية الحديثة.....22-23
II. روافد الحجاج ومسوغاته.....24-25
III. بنية الخطاب الحجاجي.....26-29
IV. خصائص الخطاب الحجاجي.....30-33
V. تقنيات الحجاج.....34
1-الطرائق الاتصالية.....34-38
2-الطرائق الانفصالية.....38-44
VI. أصناف الحجاج.....45-48
VII. مراتب الحجاج.....49-38
ثانياً: السياق.....53
1-مفهوم السياق.....53
1-1- عند البلاغيين العرب.....53-56
1-2-عند اللسانين الغرب.....57-61
الفصل الثاني: التواصل الحجاجي في الحكاية.....63

1- بين يدي النص.....63-70
2- بنية الخطاب في الحكاية.....71-102
2_1-علاقة المرسل بالمتلقي.....73-89
2-1-علاقة المتخاطبين بالخطاب.....88-102
الفصل الثالث: البعد الحجاجي في الحكاية.....104
أولاً:مستوى الإثارة والتأثير.....106
1-الفعل الانجازي في الحكاية.....107-120
2-المستوى البلاغي ودوره الحجاجي .....120-134
ثانياً: بنية الحجاج وروابطها.....135
1-أنواع الحجج.....136
1-1-الحجج شبه منطقية..... 139-148
1-2-الحجج المؤسسة لبنية الواقع..... 148-159
2-الروابط الحجاجية.....160-164
خاتمة.....165-171
المدونة.....172-184
قائمة المصادر والمراجع.....185-196
الفهرس.....198